بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزائر
معهد التاريخ

دولة بني مدرار بسجلماسة

ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين

رسالة لنيل شهادة الماجستير

تقديم الطالب
شنايت العيفة

إشراف الأستاذ
الدكتور: موسى لقبال

السنة الجامعية: 1410 _ 1411 هـ
1990 - 1991 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى روح والـدي

الى والدتـــي

الى أخـي الذي يعود اليه الفضل في تعليمي

الى زوجتي أم ياسـمين التي وقفت الى جانبي في السراء والضراء

الى زينـة حـياتي الدنيا ياسمين

الى أخي وصديقي احمد شريفي

أهدي هذا الانجاز العلمي

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر لكل من قدّم لي يد المساعدة العلميه والتقنية هذا البحث ، وأخص بالذكر منهم القيمين على المكتبات ومن ساعدني على الترجمة ، والمساهمين في طبعها واخراجها .

تقـــــديـــم

بالرغم من أن المذهب الخارجي كان مشرقي النشأة ، الا أن مبادئ وآمال رجالاته لم تتجسد في واقع ملموس وهو تكوين الدولة الخارجية الا على أرض المغرب الاسلامي . وقد تمثل ذلك في قيام امارتين خارجيتين ، احداهما اباضية النزعة اتخذت من تيهرت بالمغرب الأوسط عاصمة لها ، ونعني بها امارة بني رستم ، والثانية انتحلت الصفرية ، وكانت مضاربها في سجلماسة باقليم تافيلالت من المغرب الأقصى ، ونقصد بذلك امارة بني مدرار التي أقام أول لبنة لها عيسى بن يزيد الاسود ، وذلك سنه 140 هـ/ 757 م ، هذه الاخيره التي حاولت أن أجعلها موضوعا لرسالتي كخطوة أولى على درب البحث التاريخي الطويل .

عوامل اختيار الموضوع :

ويرجع اختياري لهذا الموضوع الى ثلاثة عوامل رئيسية ، ويأتي في مقدمة هذه العوامل أن الدراسات التاريخية الجزائرية المتعلقة بالفترة الاسلامية غلب عليها الطابع المحلي والوطني ، في وقت تسعى فيه شعوب هذا المغرب الكبير الى الوحدة ، لذلك وجهت اهتمامي الى دراسة هذه الدولة التي كانت مواقعها في الجناح الغربي من وطننا المغربي الكبير .

أما ثاني هذه العوامل فمردّه الى ما لهذه الدولة (موضوع الرسالة) من علاقات وطيدة كانت تربطها بالدولة الرستمية بوطننا المفدّى ، وهي علاقة حبك خيوطها التقارب المذهبي ، ووحدة المصير أمام الخطر الشيعي الفاطمي ، الذى كان السبب في زوال الدولتين معا في آخر المطاف. وقد زادت المصاهرة بين الاسرتين الحاكمتين في سجلماسة و تيهرت من توثيق عرى هذه العلاقة التي أقلّ ما يقال فيها أنها كانت حسنة .

و يعود العامل الثالث الى أن جلّ الدراسات حول سجلماسة بني مدرار ركزت اهتمامها على الجانب السياسي ثم الجانب الاقتصادى بدرجة ثانية ، بينما أهملت بصفة تكاد تكون كلية الجانب الفكرى . كما انها كتبت في معظمها بلغات أجنبية ، و بأقلام استعمارية أحيانا فجاءت مزيفة متحاملة على الحقيقة التاريخية والموضوعية العلمية .

وشأني في هذه الرسالة هو شأن جلّ الطلبة ومريدى البحث من حيث الصعوبات التي تكتنف الدارس أو الباحث سيما اذا كان مبتدئا مثلي .

ومن جملة الصعوبات التي اعترتني على سبيل المثال لا الحصر ، قلة المصادر حول الموضوع ، وما هو موجود منها صعب المنال ، نظرا لافتقار المكتبة الجزائرية الى الكثير منها . ولا يخفى على أحد أن شق الطريق للوصول اليها يعتبر من باب المستحيل وذلك لعوامل لا داعي الى الخوض فيها ، فهي كالمعلوم من الدين بالضرورة .

ومما زاد في تعثري في اكمال هذه الرسالة في أقرب وقت وعلى أحسن وجه ما أعانيه من ارهاق نظرا لما أقوم به من مسؤوليات ادارية زيادةً على التدريس بمعهد التاريخ ، ونظرا لأسباب صحية وأسرية أخالها قاسما مشتركا في غالب الأحوال بين طلبة الدراسات العليا في بلادنا .

الجديد في الرسالة:

ولعلّ الجديد في هذه الرسالة لا يكمن في طرق الموضوع في حد ذاته ، اذ سبقتني اليه دراسات عامة وخاصة ، بقدر ما يكمن في انه أول عمل لنيل شهادة الماجستير في هذا الموضوع بالذات وباللغة الوطنية . ثم ان الدراسات التي سبقت هذا البحث ركّزت على الجانب السياسي وأحيانا الاقتصادي ، فأضفت اليها الجانب الفكري ، هذا زيادةً على ما في طيات الرسالة من آراء واستنتاجات شخصية خالفت فيها أحيانا آراء واستنتاجات من سبقوني .

المنهجية المتبعة (أو المحتوى) :

ولقد عنونت هذا البحث بـ" دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين" .

وقسمته الى خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وعرض للمصادر والمراجع المعوّل عليها .

فتحدثت في الفصل الاول عن الاطار الجغرافي لدولة بني مدرار بشقيه الطبيعي والبشري ، لا سيما ما تعلّق منه بالناحية الاجتماعية من حيث : أصل التسمية والموقع الجغرافي وأهميته والأصول الاولى لنشأة سجلماسة وعناصر السكان وفئاتهم الاجتماعية ونشاطهم الحرفي ، ثم خطة سجلماسة ومظاهر العمران بها .

أما الفصل الثاني فقصرته على الأوضاع السياسية الداخلية من حيث المراحل التاريخية التي مرّت بها وهي دور النشأة ، ودور القوة ، ودور الضعف ، الذى سبق الزحف الشيعي الفاطمي ، ثم الدور الفاطمي ، وأخيرا دور الانبعاث الذى زالت دولة بني مدرار في أخره بعد أسر رائد هذا الدور وهو محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله سنه 347 هـ/ 958 م من طرف الفاطميين .

وخصصت الفصل الثالث للعلاقات الخارجية لدولة بني مدرار ، فتحدثت في بدايته عن الخلفيات التاريخية المتمثلة في ثورات الصفرية على ولاة بني أمية بالمغرب الاسلامي خاصة في وقعتي (الاشراف) و(الاصنام) ثم تطرقت الى العلاقات المدرارية الرستمية ، فالمدرارية الفاطمية ، ثم علاقة بني مدرار مع أدارسة فاس ، ثم علاقتهم ببني امية في الاندلس ، وأخيرا مع الخلافة العباسية في المشرق .

وكان موضوع الفصل الرابع دراسة اقتصادية تمحورت حول الفلاحة والصناعة ، ثم التجارة ومسالك القوافل التجارية خاصة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي واخيرا العملة وموارد الدولة .

وخلصت في الفصل الخامس الى الحديث عن الناحية الفكرية فأشرت الى المذاهب والفرق التي كانت تحتضنها سجلماسة ونوعية العلاقات التي كانت تكتنفها كما أشرت الى العلم والعلماء الذين عرفتهم سجلماسة على عهد بني مدرار ، وتحدثت عن المناظرات التي كانت تتم بين العلماء وبين رجالات المذاهب .

وأخيرا لا يفوتني أن أقدّم خالص شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الدكتور موسى لقبال ، لما كان له علي من أفضال ، ولما أحاطني به من رعاية علمية سمت الى درجة الأبوة ، فلم يبخل علي يوما بالنصح والتوجيه والتحفيز ، فجزاه الله عني وعن العلم كل خير .

أود أن أشير في هذا المضمار الى أن المصادر الأصلية حول سجلماسة بني مدرار تكاد تكون في حكم المعدوم ، اذ لا نملك أى مصدر كتبه علماء ورجالات المذهب الصفرى في سجلماسة ، وربما يرجع ذلك الى عوامل الزمن التي قد يكون لها دخل في افتقارنا الى هذا النوع من المصادر وربما كانت الحروب المتعاقبة التي عرفتها المنطقة احدى هذه العوامل .

وفي انتظار ما يسعفنا به المستقبل من امكانيات العثور على مصادر قريبة من الأحداث موضوع الرسالة ، فانني حاولت جهدى الاستفادة من المصادر الأخرى وهي متنوعه بين المصادر التاريخيه والجغرافية وكتب الطبقات والتراجم ، ومصنفات الملل والنحل الاسلامية .

أولا : المصادر التاريخيه :

وقد قسمتها حسب مذاهب مؤلفيها الى مصادر سنيه ، وشيعيه ، وخارجيه اباضيه .

ويأتي في مقدمه المصادر السنية المغربية كتاب أعمال الاعلام للسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنه 776 هـ/ 1374 م ، فأفدت من الجزء الثالث منه ، والذى نشره كل من ابراهيم الكتاني واحمد مختار العبادى بعنوان (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) . وقد وضع فيه صاحبه جردا لأمراء بني مدرار والأحداث التي

شهدتها سجلماسة على عهدهم .

ومن المصادر الهامة ايضا كتاب (نقط العروس في تواريخ الخلفا) لابن حزم ، المتوفى سنه 456 هـ/ 1064 م ، وهو شبيه الى حدّ ما بكتاب أعمال الاعلام ، وقد نشره شوقي ضيف في مجله كلية آداب جامعة القاهرة ، كما نشره احسان عباس ضمن رسائل ابن حزم . وتتجلى أهمية هذا الكتاب في أنه كان سابقا لغيره في الحديث عن الشاكر لله آخر أمراء بني مدرار في تنسبيه للمذهب السني واعتبره ابن خلدون مصدرا حول هذه النقطة بالذات .

وثالث المصادر المغربية السنية الهامه هو كتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي الذى كان حيا في القرن السابع الهجرى الموافق للثالث عشر الميلادى ، وتكمن أهميته في أنه خلّد لنا مع عبر ابن خلدون الكثير من أخبار المؤلفين الذين سبقوهما ، وما كنا لنعرفهم ولا لنعرف تصانيفهم لولا جهودهما .

مضافا الى ذلك الكتب المشرقية كتاريخي الطبرى وابن الأثير .

أما المصادر الشيعيه فيتصدر قائمتها كتاب المجالس والمسايرات ، للقاضي النعمان المتوفى سنه 363 هـ/ 973 م . وقد حققه كل من الانسة وداد القاضي وفرحات الدشراوى ، وكذلك كتاب سيرة الحاجب جعفر محمد بن محمد اليمانى ، الذى كان موجودا في أواخر القرن الرابع الهجرى الموافق للقرن العاشر الميلادى ،

وقام بنشر الكتاب (ايفانوف) في مجلة كلية آداب جامعة القاهرة ايضا . وترجع أهمية هذين المصدرين الى كونهما ألّفا من طرف شاهدي عيان على تحركات عبيد الله المهدى وأبي عبد الله الشيعي منذ خروجهما من المشرق حتى قدومهما الى أرض المغرب .

وينفرد كتاب سيرة الحاجب جعفر بالاشارة الى تواجد المذهب الشيعي بسجلماسة حتى قبل وصول المهدى اليها .

كما استعنت بأخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لابن حماد الصنهاجي و(عيون الأخبار) لعماد الدين ادريس . والدواداري في كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) ، لا سيما الجزء السادس من الكتاب ، والذى يحمل عنوان (الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية) بالاضافة الى المقريزى ، المتوفى سنه 845 هـ/ 1442م في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الائمه الفاطميين الخلفا .

أما المصادر الخارجية عموما فيأتي في مقدمتها كتاب (الكامل) (1) لأبي العباس المبرّد الذى لا يخلو من فائده في أخبار الخوارج ، لاسيما أشعارهم ومراسلاتهم بالاضافه الى ابن عبد الحكم المتوفى سنه 257 هـ / 870 م الذى يعتبر كتابه

---

(1) بالرغم من أن الكتابين من تأليف المشارقه وهما ليسا خاصين بالحديث عن الخوارج الا أنني ارتأيت ان أدرجهما ضمن قائمه المصادر الخارجيه نظرا لأهميتهما في هذا المجال .

فتوح مصر والمغرب أقدم مصدر لثورات الخوارج الصفرية .

وأفدت من المصادر الخارجية الاباضية أيضا وفي مقدمتها عمدة المصادر الرستمية اخبار الائمة الرستميين لابن الصغير الذى كان حيا بين سنتي 261 - 281 هـ/ 874 - 894 م على ايام الامام الرستمي اليقظان بن أفلح ، وقد نشر الكتاب موتيلينسكي ضمن أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد بالجزائر سنة 1905 ، وأعاد نشره كل من الدكتور محمد ناصر والاستاذ ابراهيم بحاز في طبعة محققة .

ووجدت في سير أبي زكريا الذى كان حيا خلال القرن الخامس الهجرى ، الموافق للحادى عشر الميلادى ، وفي طبقات الدرجيني الذى توفي بعد 650 هـ / 1252 م ضالتي في العثور على بعض الاعلام الاباضية الذين نالوا قسطا من العلم بسجلماسة كابن الجمع وابن زرقون وغيرهما .

ثانيا : كتب الطبقات والتراجم :

وهي مكملة للمصادر التاريخية ، نظرا لما تسلطه من أضواء على الشخصيات الواردة في البحث ، سواء كانت موضوع الدراسة أو جاءت عرضا في سياق الكلام ومنها : كتاب (طبقات علماء افريقية) لأبي العرب تميم ، المتوفى سنه 333 هـ / 944م ، و(رياض النفوس) للمالكي ، وهو من مؤرخي المغرب في القرن الخامس الهجرى / 11م ، و(ترتيب المدارك) للقاضي عياض اليحصبي ، المتوفى سنة 544 هـ/ 1149م . وأخص بالذكر منها كتابي (الصلة) لابن بشكوال الخزرجي ، المتوفى سنه 578 هـ/ 1183م . و(تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس) لابن الفرضي ، المتوفى سنه 403 هـ/ 1013م ، فقد ترجما لبعض الأعلام كعيسى بن سعادة الفقيه وعباس الزاهد ، وهما من علماء سجلماسة الذين لعبوا دورا في الحياة العلمية بين الأندلس وسجلماسة بني مدرار . هذا عدا كتب الطبقات الاباضية التي سبق وذكرتها مع المصادر التاريخية كالدرجيني وأبي زكريا .

ثالثا : المصادر الجغرافيه وكتب الرحلات :

وتتأتي أهميتها في أنها - زيادة على قيمتها في تحديد المواقع - فانها جاءت حافلة بالحديث عن الحياة الاقتصاديه ، لا سيما التجارية منها ، كما أنها لا تخلو من فائدة تاريخية . ولعل من أهم هذه المصادر كتاب (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) وهو من تأليف أبي عبيد الله البكري ، المتوفى سنه 487 هـ/ 1094 م ، وقد تتبع فيه صاحبه تسلسل الأمراء المدراريين بدءا بعهد عيسى بن يزيد وانتهاء بعهد محمد بن الفتح الشاكر لله .

وأفدت من الشريف الادريسي ، المتوفى سنه 560 هـ/ 1164م في كتابه (نزهة المشتاق) ، وقد جمع كل من اسماعيل العربي وهنرى بريس ما يتعلق بافريقية والأندلس من الكتاب في مؤلفين ، الاول أسماه (القارة الافريقية وجزيرة الاندلس) ، والثاني أسماه بـ(وصف افريقية الشمالية والصحراوية) . وتبرز أهمية كتاب (نزهة المشتاق) في كونه يكشف النقاب عن المسالك وطرق القوافل التجارية الرابطة بين سجلماسة وبعض مواقع المغرب الاسلامي ، وبين سجلماسة ومراكز التجارة في بلاد السودان الغربي . وفي (تحفة النظار) لابن بطوطة المتوفى سنه 779 هـ/ 1377 م نجد الطريقة التي كان يستعين بها التجار في ادخار الماء لوقت الحاجة واستعمال الجمال المصبّره على العطش لهذا الغرض ، كما نجد الوسيله التي يلجأ اليها

التجار حتى يضمنوا لأنفسهم أكبر قدر من الراحة والأمن . وكانت قبيلة مسوفة خير من يقدم خدمات التجار في هذا المجال .

وينفرد صاحب كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار) وهو من أحياء القرن السادس الهجرى الموافق للقرن الثاني عشر الميلادى بذكر يهود سجلماسة ومكانتهم الاقتصاديه وعلاقاتهم بالفاطميين عندما دكّت جيوش عبيد الله أرض سجلماسة .

ولكتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) لعبد المنعم الحميرى ، المتوفى في أواخر القرن التاسع الهجرى الموافق للقرن الخامس عشر الميلادى ، أهمية في التعرف على العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين سجلماسة والأندلس .

ولعل الأهمية المشتركة في كل هذه المصادر الجغرافية السابقه الذكر تتأتى من كون أصحابها مغاربة وهم أدرى بالمنطقة من غيرهم .

ومن المصادر الجغرافيه المشرقية الهامة كتاب (صوره الارض). لابن حوقل النصيبي ، المتوفى بعد سنة 367 هـ/ 977 م ، وتتجلّى هذه الأهمية في كون المؤلّف زار المنطقة بما فيها سجلماسة وأودغست ووصفها وصفا دقيقا ، وفي حدود علمنا فانه أول من تحدث عن التعامل بالصكوك في سجلماسة وأودغست من طرف التجار .

ويضاف الى كل ما سبق مصادر أخرى حاولت الافادة منها كالمعجم

البلدان) لياقوت الحموى ، المتوفى سنه 626 هـ/ 1229م ، و(وصف افريقيا) للحسن الوزان المعروف بليون الافريقي ، المتوفى نحو سنة 957 هـ/ 1550م ، وكتاب (أحسن التقاسيم في معرفه الأقاليم) للمقدسي ، المتوفى سنه 387 هـ / 997م ، وكتاب (الجغرافيا) لابن سعيد المغربي ، المتوفى سنه 673 هـ / 1275م . و(مسالك الابصار في ممالك الامصار) لابن فضل الله العمرى ، المتوفى سنه 749 هـ/ 1349م ، و(نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) للدمشقي ، المتوفى سنه 728 هـ/ 1327م ، و(تحفه الألباب) لابي حامد الغرناطي .

رابعا : المراجع الحديثة باللغة العربية:

وهي كثيرة و تأتي قيمتها العلمية في كونها من الكتب التي ألفها المتخصصون في (المغرب الاسلامي) وجاءت مشبعه بالتحليل والتوثيق ، كما مكنتني من الاستفادة من الكثير من المصادر التي نقلت عنها ولم يسعفني الحظ في العثور عليها .

فقد استفدت من كتب استاذي الجليل موسى لقبال ، كـ(دور كتامة في الخلافه الفاطمية) لا سيما في القسم الخاص بكتامه وحركه التوسع السياسي ، والصراع المذهبي منذ قيام الخلافه الفاطمية حتى أواخر القرن الرابع بعد الهجرة" ، وكذلك (الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربية) و(المغرب الاسلامي) .

٤٢٠٢٢٨

وأفادني ايضا كتاب الاستاذ عبد العزيز فيلالي (العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب) في التعرف على نوعية العلاقات التي كانت قائمة بين أموي الاندلس وبني مدرار أصحاب سجلماسة". ونفس الافادة نلتها من كتاب (العلاقات الخارجية للدولة الرستمية) لجودت عبد الكريم يوسف ، وفيه حديث عن العلاقات بين بني رستم في تيهرت وبني مدرار في سجلماسة . ولا نغفل ايضا كتاب (الخوارج في المغرب الاسلامي) لمحمود اسماعيل ، والذي احتوى على دراسة شاملة عن الخوارج الاباضية والصفرية" في بلاد المغرب قبل و بعد قيام الدولتين الرستمية والمدرارية".

بالاضافة الى كتابي علي ابراهيم طرخان : (امبراطورية غانة الاسلامية) ،

و(د ولة مالي الاسلامية) .

خامسا : المصادر والمراجع العامة :

وهي تختلف بين كتب اللغة كـ(لسان العرب) لابن منظور ، و (تاج العروس) للزبيدى ، وغيرهما . وقد أفادتني في فهم الكثير من الكلمات الغامضة في تعابير مؤرخي وجغرافيي العصور الاسلامية .

كما أفدت من كتب الملل والنحل في التعرف على الفرق الاسلامية ومبادئها مثل الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم الظاهرى ، والملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادى .

وأرشدتني كتب الفقه والنوازل مثل كتاب (المعيار) للونشريسي الى التعرف على القضايا الفقهية التي كانت تعرض للمجتمع وفصل فيها العلماء المغاربة .

واخيرلا نغفل الكثير من المقالات سواء المنشورة في دوائر المعارف أو في المجلات والدوريات المتخصصة والعامة ، وأخص بالحديث عنها دائرة المعارف الاسلامية ومجلة كلية آداب جامعة القاهرة وحوليات الجامعة التونسية ومجلتي الاصالة والثقافة الجزائريتين .

سادسا : المراجع الأجنبية :

وهي وان كانت لا تخلو من فائدة جمة لا سيما في الجانب الاقتصادي وخاصة تجارة بلاد المغرب مع السودان الغربي ، الا انها في جانبها السياسي كانت متحاملة كثيرا على الفترة في بلاد المغرب، لدرجة أن بعضها اعتبر هذه الفترة فترة (ظلام) مثل غوتيي ، الذي عنون كتابه ب E.F. GAUTIER: Le passé de l'Afrique du Nord, Les Siècles obscurs.

فقد نعت هذه الفترة بالقرون المظلمة.

كما ركزت هذه الكتب على الثورات التي قام بها الخوارج وان هذه الثورات تشبه الى حد بعيد الحركة الدوناتية التي قام بها البربر وعلى رأسهم القديس سانت اوغسطين ببلاد المغرب ايام الاحتلال الروماني ، زاعمين ان البربر ثاروا ضد الوجود العربي والاسلامي .

وعلى كل فقد رجعت الى غوتي في كتابه السابق الذكر والى شارل اندري جوليان في كتابه(تاريخ افريقيا الشمالية) والى ايفي بروفنصال في موءلفه(تاريخ اسبانيا الاسلامية) وجورج مارسي في مصنفه(بلاد البربر الاسلامية والشرق الاسلامي في العصور الوسطى) والى ماك كول في كتابه (الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة) ، مضافا الى ذلك كله المقالات المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية والدوريات التاريخية .

اشكاليه التسميه:

ضبط ياقوت الحموى لفظ (سجلماسة) بكسر السين والجيم ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، ثم ألف وسين مفتوحة[1] ، ليدل (أى اللفظ) على المدينة والاقليم الواقع الى الجنوب الشرقي من المملكة المغربية حاليا ، ويعرف هذا الاقليم أيضا باسم (تافيلالت)[2] الذى توجد به قرية (الريساني) البعيدة عن أطلال سجلماسة ببضع كيلومترات[3] .

وقد ارتبط اسم (سجلماسة) تاريخيا بدولة بني مدرار ، المعروفة أيضا بدولة بني واسول ، وهي الدولة الخارجية الصفرية التي كانت لها يد طولى في الحياة الاقتصادية ، وخاصة التجارية منها ، بين بلاد السودان الغربي والمغرب الاسلامي .

---

(1) معجم البلدان ، مج . 5 ، ص 45 ، طهران 1965 ، البغدادى (ابن عبد الحق) : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق محمد البجاوى) ، 1954، ج . 2 ، ص 694 .

(2) (تافيلالت) : اقليم بجنوب شرق المغرب الاقصى ، له شهرة في دباغة وصناعة الجلد ، حتى اصبح (الجلد الفيلالي) ذائع الصيت . انظر ليفي بروفنصال ، مادة (تافيلالت) ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج 4 ، ص521 ـ 522 .

(3) ماك كول : الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ترجمة محمد الحمداوى ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، ص 6 .

والواقع ان الغموض يكتنف الأصول اللغوية للفظ (سجلماسة) ومدلولها ، ذلك اننا لا نملك المصادر التي تفسر هذه التسمية عدا ما ذكره الناصري[1] من ان مرتضى الزبيدي ، صاحب تاج العروس ألّف كتابا في هذا الشأن سمّاه (انجاز الحاجة الماسة في تحقيق لفظ سجلماسه) .

وامام غياب المصادر التي تتحدث عن أصول لتسميه سجلماسه لا يسعنا الا أن نضع مجموعه من الاحتمالات التي قد تفسّر هذا اللفظ :

فقد يكون هذا اللفظ عربيا مركبا تركيبا مزجيا من كلمتين شكّلتا عبارة (سجلماسه) وهما (سجل) و (ماسه) .

فأما سجل فنجدها في القرآن الكريم تعني معاني مختلفة تبعا لاختلاف ضبطها ومن ذلك قوله تعالى : " يوم نطوى السماء كطيّ السّجلّ للكتاب ." [2] وهنا تحمل معنى صحيفة الكتاب[3] . وجاءت

---

(1) الناصري (محمد بن عبد السلام) : الرحلة الحجازية الكبرى، نقلا عن الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام للمراكشي (عباس بن ابراهيم) ،ج 5 ، ص 189 وما بعدها ، فاس 1937 .

(2) سوره الانبياء ، الآيه 104 .

(3) جماعة من علماء اللغه العربيه: معجم ألفاظ القرآن الكريم ،مج 1،ص 573،ط 2، مصر 1970 .

وفي آية أخرى : " وامطرنا عليهم حجارة من سجّيل منضود ." (1) وهي هنا بمعنى الطين المتحجّر (2) ومن قبيل هذا المعنى ايضا قوله تعالى : " وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل ." (3) كما أن (السّجلّ) في العربيه الدلو الضخمة المملوءة (4) .

وأما (ماسة) فانها ترد في اللغه العربية بمعنى القرابة ، والحاجة المهمة (5) .

وبناء على ما سبق ألا يمكننا أن نحمّل لفظ سجلماسة معنى الأرض أو التربه ذات الأهمية ؟ هذه الأهمية التي تأتي من كون سجلماسة بوابة الصحراء النافذة الى بلاد السودان حيث معادن التبر .

وتذهب رواية الحسن الوزان المعروف بـ(ليون الافريقي) الى ان الكلمة من أصل لاتيني وانها تحريف للفظ سيجلوم ماسه (Sigillum-mese) التي تعني الخاتم او النهايه وأن الذى أطلق هذه التسميه قائد روماني

---

(1) سورة هود ، الآيه 82 .
(2) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مج 1 ، ص 573 .
(3) سوره الفيل ، الآيه 4 .
(4) رضا (احمد) : معجم متن اللغة ، مج 3 ، ص 109 ، بيروت 1959 .
(5) رضا (احمد) : معجم متن اللغة ، مج 5 ، ص 295 ، بيروت 1960 .

كتعبير منه عن نهاية غزوه للمنطقة[1] ، لكننا لا نسلّم بصحة هذه الرواية ما دام الحسن الوزان نفسه يجعلها ضمن تفسيرات الكلمة ولا يذكر اسم هذا القائد الروماني .

وربما تبقى الفرضية الثالثة هي الاقرب الى الحقيقه وتتمثل هذه الفرضية في كون اللفظ امازيغيا صرفا . وانما نميل الى هذا الاحتمال بقرينة وجود موضع آخر في السوس الاقصى يحمل اسم ماسة ، فقد تحدث البكرى عن موقع قريب من بلاد السوس يدعى ماسّت (كذا) يبعد عنها مسيره يومين وبها نهر ماسّت الذى يصب في البحر المحيط وأن ماسّت هذه " رباط مقصود عندهم له موسم عظيم ومجمع جليل وهو مأوى للصالحين ." [2] ويذكر اليعقوبي أن ماسة هذه " قرية على البحر تحمل اليها التجارات ." [3] وقد يكون رباطها الذى ذكره البكرى متضمنا لمسجد يشير اليه اليعقوبي باسم مسجد بهلول [4] .

---

(1) وصف افريقيا : ترجمه عبد الرحمن حميد ، ص 498 ، الرياض 1399 هـ . وانظر ايضا : Colin (G.S) Art: Sidjilmessa, Encyclopédie de l'Islam, T4 P.P 420 – 421.

(2) البكرى (ابوعبيد الله) : المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، ص 161 ، نشره دى سلان ، باريس 1965 .

(3) اليعقوبي (ابن واضح) : كتاب البلدان ، ص 360 ، ليدن 1891 .

(4) اليعقوبي : المصدر نفسه .

الموقع الجغرافي وأهميته :

تقع سجلماسة في هوامش الصحراء على طرف بلاد السودان (1) ، تجاه الجنوب الشرقي لمدينة فاس .

ويحدد ابن سعيد المغربي موقعها الفلكي بانه حيث " الطول ثلاث عشرة درجة (2) واثنتان وعشرون دقيقة ، والعرض ست وعشرون درجة وعشرون دقيقة ." (3)

وهي محاطة طبيعيا بهوامش الصحراء (4) في منطقة متقفرة دون عمران جنوبا ، وبحر العدوة شمالا (5) .

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، مج 5 ، ص 45 .

(2) الدرجة في كلام الجغرافيين العرب هي ما تقطعه الشمس في يوم وليلة ، وتساوى ستين دقيقة ، وتقسم الدقيقة الى ستين ثانية ، وهذه تساوى ستين ثالثة . انظر: اسماعيل العربي ، المدن المغربية ، ص 340 ، الجزائر 1984 .

(3) كتاب الجغرافيا : تحقيق اسماعيل العربي ، ص 124 ، الجزائر 1982 .

ويحدد كولن COLIN موقع سجلماسة الفلكي بين 07 و 31 غربي خط جرينيتش وبين 34 و 80 شمال خط الاستواء . انظر:

Colin: Encyclopédie de l'Islam (Op. CIT.).

(4) مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، ص 200 ، 201 ، تحقيق ونشر سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية ، 1958 .

(5) المقصود ببر العدوة هنا مدينة فاس ، فالبكرى وهو يتحدث عن مدينة فاس =/=

وفيما يخص الحدود السياسية فالملاحظ عليها انها كانت تتاخم ممالك السودان الغربي ، وامارات كل من الرستميين بتيهرت ، والادارسة بفاس ، والأغالبة في افريقية ، والفاطميين (1) برقادة ثم المهدية.

وللمرء ان يتساءل عن الدوافع الكامنة وراء اختيار الصفرية لهذا الموقع ليشاد عليه أول كيان سياسي (2) مستقل عن الخلافة العباسية ؟

والحقيقة أن هناك من العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية ما يجعل هذا الاختيار يجانب الصواب :

فمن الناحية الطبيعية ساعد وادى زيز (3) وفرعا نهر ملوية على

=/= يذكر انها مدينتان متفرقتان ، مسورتان . . . وعدوة القرويين في غربي عدوة الاندلسيين . . . واسست عدوة الاندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة/ 807م وعدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة/ 808م . انظر المغرب ، ص 115 .

(1) تعتبر دولة الفاطميين متاخمة لحدود دولة بني مدرار وذلك على عهد محمد بن الفتح بن ميمون المعروف بالشاكر لله لأن عهده كان عهد الاستقلال عن الفاطميين .

(2) باعتبار ان دولة بني مدرار تأسست سنه 140هـ/ 757م ، وقامت دولة بني رستم سنة 150 او 160 هـ/ 776 او 784م ، بينما تاسست الدولة الادريسية سنه 172هـ/ 788م ، على حين استقل ابراهيم بن الاغلب عن العباسيين سنه 184هـ/ 800م .

(3) نهر زيز: نهر في المغرب ينحدر من الاطلس الكبير متوغلا في الصحراء ، طوله 300 كلم .

توفر المجارى المائية وهي - كما نعلم - شرط لا غنى عنه في حياة الاستقرار .

ومن هذا المنطلق نجد عيسى بن يزيد - وهو اول حاكم لدولة بني مدرار - كان يعمل على الافادة من هذه المجارى ، خاصة اذا علمنا ان نهرا مثل (زيز) كان " يزيد في الصيف كزيادة النيل ." (1)

وبالرغم من ان موقع ومناخ سجلماسة كان لهما نتائج سلبية على السكان كرطوبة الشتاء التي تصيبهم بالزكام (2) ، ورمال الصحراء التي تؤثر على العينين بالعمش ، بالاضافة الى ان حرارة الصيف صعبة الاحتمال ، الا أن ذلك كله لا ينفي عنها بعض المزايا والتي منها أنه " لا يتجذم من أهلها أحد واذا دخلها مجذم توقفت عنه علته ." (3)

اما عن عوامل هذا الاختيار فهو سياسي ، اذ قامت الدوله على عصبيه قبلية ومذهبيه شدت أزر عنصرين يحسب لهما الحساب ضمن عناصر السكان ، وهما عنصرا السودان وبربر مكناسة ، ناهيك عن تمكن المذهب

---

(1) ابن حوقل (ابو القاسم محمد النصيبي) : صورة الارض ، ص 91 ، ط 2 ، ليدن 1967 .

(2) الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ص 499 .

(3) البكرى : المغرب ، ص 148 .

الصفـرى بها ، وكـثرة مريديه بالمـقارنة مع أتباع المذاهب الدينية الأخرى .

فـقد تلقى المـكناسيون المذهب الصفرى، عن أئمـتهم وفي مـقدمـتهم أبو القاسم سمـكو الذى قد يكون مـشاركا لبربر مـكناسة في ثورتهم (1) بقيادة مـسيره المـطغرى أو المدغرى (2) ، كما تدعوه بعض النصوص ، وقد نزل هؤلاء بموضع سجلماسة على اثر الهزائم التي تلقوها خاصه بـعـد وقعة الاصنام (3) ، وتقدر الروايات عددهم باربعة آلاف شخـص (4) ، وكانت مـكناسة بمـثابه الدعامـه الأساسية التي اعتمد عليها في انشاء الدوله الجديده .

---

(1) اسماعيل (محمود) : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص86، بيروت 1976 .

(2) تختلف المـصادر في رسم اسمه (المـطغرى او المدغرى) كما يدعى احيانا بالحـقير او الخفير ومـقدم الصفريه ، وسنعرض الى ذلك في الفصول الآتيه .

(3) كانت وقعة الاصنام سنه 125 هـ/ 742 م بقيادة كل من عـكاشة وعبد الواحد وفي مواجهة كلثوم بن عياض القشيرى ثم حـنظلة بن صفوان ، وانتهت بهزيمة عـبد الواحد . انظر في ذلك ابن عذارى (ابوعبد الله محمد المراكشي) : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،ج 1 ، ص 58 و 59 ، ط 3 ، بيروت 1983 .

(4) ابن الخطيب(لسان الدين) : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام،ج 3، نشره وحققه احمد مختار العبادى، بعنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ،ص 139، الدار البيضاء، 1964 .

اما عنصر السودان ، فموقع سجلماسة في حد ذاته يستدعي حضوره ، مضافا اليه موالي العرب المسلمين من السود الذين قدموا الى المنطقة مع بداية الفتح الاسلامي . ويظهر ان عددهم كان كبيرا ، الامر الذى سمح لزعيم السودان عيسى بن يزيد أن يكون أول امام للدولة عند تأسيسها اذ يذكر ابن الخطيب ان عيسى بن يزيد نزل " بخيامه وماله" (1) . ويفهم من هذا ان عيسى بن يزيد كان بيده وسيلتان من وسائل النفوذ تتمثلان في الوسيلة البشرية المعبّر عنها بالخيام ، وقد قدرها ابن الخطيب بأربعة آلاف شخص (2) ، والوسيلة الثانية اقتصادية تمثلت في المواشي والابل التي كانت بحوزة عيسى بن يزيد والمعبّر عنها بالمال .

والظاهر أن تعيين عيسى بن يزيد في منصب الامامة بقدر ما جاء تطبيقا لمبدإ المساواة الذى يقول به الخوارج ، بقدر ما كان مشفوعا ومدعّما بثقل وزن عنصر السودان ولعلّ ما يؤكد ذلك المدة التي قضاها عيسى بن يزيد في الحكم وهي خمسة عشر عاما ، وهي مدة لا

---

(1) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص 139 . والمقصود بالمال هنا : الابل ، لأن المال " اكثر ما يطلق عند العرب على الابل لانها كانت اكثر اموالهم . " ، انظر احمد رضا : معجم متن اللغة ، مج 5 ، ص 371 ، بيروت 1959 . ولا تزال كلمة (المال) مستعمله في الارياف الجزائريه لتدل على الماشيه .

(2) ابن الخطيب : نفسه .

لا يستهان بها خاصة في دولة عرف عنها عدم الاستقرار السياسي كدولة بني مدرار، ثم ان عيسى بن يزيد تم عزله بعد خمسة عشر عاما من الحكم دون ان تعطي المصادر مبررا لعزله وتكتفي فقط بالقول انه جاء نتيجة اشياء أنكرت عليه، بل ان بعض النصوص فيها تلميح الى ان عملية العزل كانت مؤامرة مدبرة ضده اذ أن " الصفرية غرروه سنه سبع وستين (167 هـ/ 783م) فقبضوا عليه." (1) وهو ما يمكن تفسيره بالوهن الذى أصاب عنصر السودان بقدوم عناصر أخرى الى سجلماسة .

كما يعزى اختيار موضع سجلماسة الى موقعها في ارض " لا يعرف في قبليلها ولا غربيها عمران." (2) وهو ما يجعلها في مأمن من أى انتقام يأتي من عمال العباسيين في افريقية وهم الاغالبه زياده على مجاورتها لدولة تتقارب معها مذهبيا وهي دولة الرستميين بتيهرت، وللدولة الادريسية بفاس والتي وان اختلفت معها مذهبيا الا ان القاسم المشترك بينهما هو العدو المشترك، ممثلا في الاغالبة ثم العبيديين فيما بعد .

ويتمثل العامل الاخير في غنى سجلماسة وأهميتها الاقتصادية فزيادة على ازدهار الفلاحة بها فقد كانت همزة وصل تربط تجارة القوافل بين الحواضر الاسلامية بالمغرب والمشرق كتيهرت، وفاس، وتلمسان، والاندلس وافريقية وبغداد، ثم بين كل هذه الحواضر وبلاد السودان .

---

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق .

(2) لمؤلف مجهول : كتاب الاستبصار ،ص 200 .

الأصول الأولى لنشأة سجلماسة:

أشرنا سابقا الى أن الحسن الوزان أعطى تفسيرا لكلمه (سجلماسة) على أنها تحريف لكلمة (سيجللوم - Ssidjillum) اللاتينية ، ويروى بشأن ذلك روايتين : الأولى تقول : ان قائدا رومانيا انطلق من موريتانيا (1) وفي هذا احتمال أن تكون الاشارة الى حملة القائدين الرومانيين : (سوتونيوس بولينوس) و (هوسيديوس جيتا) على جنوب المغرب كما يحتمل أن تكون الاشارة الى الحملة الرومانية على المنطقة أيام (كلوديوس) (2) ، وربما تكون في ذلك اشارة الى حملة (يوبا الثاني) (3)

---

(1) نقصد بذلك موريطانيا الطنجية التي جاءت كنتيجة لتقسيم الرومان لبلاد المغرب الى ولاية افريقية وعاصمتها قرطاجة ، ونوميديا وعاصمتها قسرطة ، وموريطانيا القيصرية وعاصمتها (يول) او شرشال ، وموريطانيا الطنجية وعاصمتها طنجة . انظر شنيتي (محمد البشير) ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب ، ص 83 ، الجزائر 1982 . الناضوري (رشيد) : المغرب الكبير ، ج 1 (العصور القديمة) ، ص 291 ، بيروت 1981 .

(2) كلوديوس - Clodius : امبراطور روماني حكم بين سنتي 41 و54 م .

(3) يوبا الثاني : هو ابن الملك البربري (يوبا الاول) ، ولد سنه 50 ق م فاخذه الامبراطور (يوليوس قيصر) الى روما حيث تربى وتزوج ببنت كليوبترا ملكة مصر سنة 29 ق م واورثه قيصر عرش ابيه في نوميديا سنه 30 ق م . ثم عوضه عنها بموريطانيا القيصرية سنه 25 ق م . ومن اعماله بناؤه لشرشال . انظر:
Julien (Charle André): Histoire de l'Afrique du Nord, P.P 125-126, France 1978.

التي قضى فيها على الجداليين[1] سنه 06 م .

اما الرواية الثانية التي يوردها الحسن الوزان[2] فمفادها أن الاسكندر هو الذى بنى المدينة[3] .

وهنا نلاحظ ثلاثة أمور في روايتي الحسن الوزان :

أ - ان الحسن الوزان لا يسمّى المصادر التي استقى منها معلوماته باستثناء البكرى ، وحتى هذا المصدر لا تمدنا نصوصه بشيء مما نسبه اليه الحسن الوزان ، اللهم الا اذا كان للبكرى مصنّف آخر غير (المغرب) وقع بين يدى الحسن الوزان ولم يصل الينا .

ب - سكوته عن ذكر اسم القائد الروماني فهو يذكره بصيغة النكره ،

---

(1) الجداليون : نسبة الى (جدّاله) او (كدّاله) ، وهي قبيلة صنهاجية على مشارف البحر (المحيط الاطلسي) وعندهم رابط يوسف بن تاشفين . انظر البكرى : المغرب ، ص 146 وما يليها . ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص 111-112 ، وفيه ذكر لبعض عجائب المنطقه المتمثله في الحيات .

(2) الراجح ان المقصود بالاسكندر الكبير في كلام الوزان هو (دميتيوس الاسكندر) احد قادة الجيش الروماني الذى دخل في حرب ضد ماتسينيوس ، امبراطور الرومان واسس حصنا وراء جبال الاطلس . انظر كول : الروايات التاريخية عن تاسيس سجلماسة وغانة ، سبق ذكره ، ص 43 .

(3) وصف افريقيا ، ص 498 ، 499 .

هكـذا : " قائدا رومانيا" وهو ما يؤكد جهله هو نفسه بهذا القائد .

جـ - تردد بين روايتين احداهما ينسب فيها بناء سجلماسة الى قائد روماني والثاني الى الاسكـندر الاكبر.

وبناء على ما سبق فاننا نميل الى ان بناء سجلماسة يرجع الى سنة 140 هـ ، كما تذكر المصادر العربيه [1] والتي تصف سجلماسة انها لم تكن عند تأسيسها سوى موضع يجتمع فيه الصفرية عقب الهزائم التي لحقتهم بعد وقعة الاصنام ، ثم أخذ هذا المكان في التوسع شيئا فشيئا ، واستمرت القبائل في عمليات البناء في الضواحي والارباض [2] ، وتعوّدت على حياة الاستقرار بعد أن كانت تتخذ منها براحا تنتجعه بمواشيها [3] وسوقا تجتمع فيها [4] .

---

(1) تختلف الروايات فيمن اختط سجلماسة اولا أهو عيسى بن يزيد كما يذهب اليه ابن الخطيب في الاعلام ج 3 ، ص 138 ، ام هو ابو القاسم سمكو كما يرى ابن عذارى في البيان ، ج 1 ، ص 156 ، أم مدرار كما يتفق البكرى وصاحب الاستبصار ، انظر المغرب ، ص 200 ، والاستبصار ، ص 201 .

(2) الارباض : مفرده الربض ، له عدة معان منها أساس البناء او ضاحيته .

انظر: ابن منظور (جمال الدين محمد) : لسان العرب ، مج 7 ، ص 152 ، بيروت 1956 .

(3) الاستبصار ، ص 201 .

(4) ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 156 .

الوضــــع الاجتماعـــي :

يكـتنف الوضع الديمغرافي لسجلماسة على ايام بني مـدرار الكـثـير من الغموض ، ذلك، ان المصـادر بقدر ما ما أمدّتنا بمعلومات - ولـو مـقتضـبه - عن عناصر السكان ، وأحوالهم الدينيّة والمذهبيّة ، والحرفيـة ، وأخـلاقياتهم بقدر ما ضربت صفحا عن ذكر عدد سـكانها .

ولا نجد فيما توفّر لدينا من مـصـادر سوى اشارة واحده جاءت عن طريق ابن الخطيب يذكر فيـها أن عدد زناتة الصفرية يوم قدم عيسى بن يزيد الى سجلماسة كان يزيد عن الاربعة آلاف(1) . لكن الملاحظ علـى رواية ابن الخطيب انها تذكر عـنصرا سكانيا واحدا وهو زناتة(2) ، ولا تميّز الرواية هذا العدد أهو عدد الافراد أم عدد العائلات أم عدد الخـيام، كما انها لا تذكر هل كانت سجلماسة عامرة بالسكان قبل وصول عيسى بن يزيد اليها أم أنها كانت خالية .

وعلى افتراض صحة هذه الروايه فانها لا تمـدّنا بعدد السكان الا في مرحله النشأة ، وهو عدد لا ريـب انه تطـوّر بالزياده نظرا لكـون

---

(1) الاعلام ،ج 3 ، ص 139 .

(2) تخالف رواية ابن الخطيب المصـادر الاخرى التي ترى ان الذين اجتمعوا على عيسى بن يزيد هم صفرية مكناسه وليست زناته . انظر مثلا ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ،مج 6 ،ص 267 ، بيروت 1983 .

سجلماسة كانت عامل جذب للسكان من أجناس ومذاهب شتى .

وعلى اية حال ، فمقارنة سجلماسه بمدن أخرى كانت أقل شأناً منها ترجح أن يفوق عدد سكانها الرقم الذى ذكره ابن الخطيب ، فمدينة أغمات وريكة (1) مثلا " وهي أقل عمارة من سجلماسة ولا تبلغ أهميتها العمرانية والتجارية ." (2) يقول البكرى عن سوقها أنها كان " يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك ." (3) فاذا كانت مدينة كهذه - وهي أقل شأوا من سجلماسة - تستهلك هذا العدد من رؤوس الماشية ، فكيف يكون الامر في مدينة كسجلماسة مقصد الصادر والوارد ؟ !

ويأتي عنصر البربر بفئتيه البتر والبرانس ، وعلى رأسهم مكناسة في مقدمة الشرائح الاجتماعية المكونة لسكان سجلماسة ، وانما نخص مكناسة بالذات دون سائر القبائل لان هذه الاخيرة خبا صوتها بعد هجرة مكناسة الى هذه المنطقة ، وسيطرتها على مقاليد الحكم ، بل ان مكناسة تعدى

---

(1) أغمات وريكه : ناحية من أرض المغرب الاقصى غرب مراكش . انظر ياقوت : معجم البلدان ، مج 1 ، ص 320 .

(2) الجنحاني (الحبيب) : المغرب الاسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص 165 ، تونس 1967 .

(3) البكرى : المغرب ، ص 153 .

نفوذها المغرب ليصل الى الاندلس، واستطاع بعض افرادها التسلل الى قلوب الفاطميين فولّوا رجالاتها أمر تيهرت والمغرب الاقصى بما فيه سجلماسة، ولعلّ هذه المكانة هي التي جعلت ابن خلدون ينعت فريقيها [1] بأنهما " أصبح لهم (كذا) في الاسلام دولة وسلطان." [2]

واستوطنت سجلماسة ايضا عناصر اخرى مغربية ومشرقية نذكر منها الاندلسيين الذين يقودنا الحديث عنهم الى التساؤل حول كيفية وزمن وصولهم الى سجلماسه؟

تفيد نصوص البكري [3] وصاحب الاستبصار [4] وابن الخطيب [5] أن أبا القاسم سمكو - وهو أول حاكم للدولة من بني مدرار - قدم من قرطبه على اثر وقعة الربض [6] في خلافة الحكم بن هشام الربضي [7].

---

(1) المقصود بالفريقين في حديث ابن خلدون مكناسة بني واسول، الذين استوطنوا سجلماسة، ومكناسة بني ابي العافية الذين كانوا بجهات تازا، تسول، ملوية ومليلة بالمغرب الاقصى .

(2) ابن خلدون: العبر، مج 6، ص 265-267.

(3) المغرب، ص 149.

(4) لمؤلف مجهول: ص 201.

(5) اعمال الاعلام: ج 3، ص 140-141 وفيه" وابو القاسم سمغون (كذا) ابن يزلان الزناتي هذا هو الملقب بالمدرار، ويذكر انه كان حدادا من جالية الربض بقرطبة ايام الحكم نزل سجلماسة . . . وجدّه ممن دخل الاندلس مع طارق."

(6) المقصود بها ثورة سكان احد أحياء قرطبة ومعظمهم من المولّدين على الحكم بن هشام سنه 202هـ/ 817م، وسببها المباشر هو مقتل احد الحدادين المولّدين بسيف احد الجنود وما تبعه ذلك من قتلهم للجندي، ومحاصرتهم لجسر قرطبة.

انظر: ابن الابار (ابوعبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي): الحلة السيراء، =/=

لكننا نستبعد ما ذكره الثلاثة لسبب واحد فقط وهو أن أبا القاسم سمكو الذى يدعى عندهم بمدرار وينسبون اليه أمر الهجره من قرطبه بعد وقعة الربض تولى الحكم سنه 155 هـ/ 771م ، وكانت وفاته سنة 167 هـ/ أو 168 هـ الموافق لسنه 783م أو 784م . وهذا التاريخ أسبق بكثير من سنة تولّي الحكم الربضي الخلافة والتي كانت عام 180هـ/ 796م ، وأسبق أيضا من وقعة الربض التي حدثت سنة 202 هـ/ 817م ، كما أن عدوة الأندلسيين بفاس في حد ذاتها لم يؤسسها ادريس ابن ادريس الا في سنة 192 هـ/ 807م (1) ، لهذا لا نملك الا أن نقول ان الهجرة نحو سجلماسة من قرطبة تمت بعد تلك الوقعة ثم تأكدت على أيام عبد الرحمن الناصر (2) ، خاصة وان عوامل عديدة ساهمت

=/= تحقيق حسين مؤنس ، ج 1 ، ص43 ، القاهرة 1963 ؛ العبادى (احمد مختار) : في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص 332—333 ، بيروت 1971 ؛ بيضون (ابراهيم) : الدولة العربية في اسبانيا ، ص238—239 ، بيروت 1980 .

(7) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ، وامه زخرف ، ويكنى بابي العاص ، ولد سنة 154هـ/ 770م ، وبويع في صفر 180هـ/ 796م ، وهو في سن السادسة والعشرين ودامت خلافته ستا وعشرين سنة واحد عشر شهرا ، توفي سنة206 هـ/ 821م ، كان فصيحا وله شعر . انظر عنه : لمؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص120 ، بيروت 1981 ، والبيان المغرب ، ج 2 ، ص 68—69 .

---

(1) البكرى : المغرب ، ص 115 .

(2) هوعبد الرحمن بن محمد ويكنى بابي المطرف ، وامه أم ولد تسمى (مزنة) ، ولد في رمضان277هـ/ 890م ، وولي الحكم في ربيع الاول سنه300هـ/ 912م ، توفي في رمضان 350هـ/ 961م . وهو اول من تسمى من خلفاء بني امية في الاندلس بامير المؤمنين وتلقب باحد الالقاب السلطانية وهو(الناصر) . انظر: ابن عذارى : البيان ، ج 2 ، ص 156—157 .

في اقامة علاقات مودة بين بني مدرار والأمويين بالأندلس . ومن أبرز هذه العوامل وجود العدو المشترك المتمثل في العباسيين بالمشرق والفاطميين بالمغرب .

كما سكن سجلماسة " أهل العراق ، وتجار البصرة ، والكوفة ، والبغداديون ." (1) على حد تعبير ابن حوقل . ولا شك ان التجارة استخدمت من طرف بعضهم كتقية ، فرارا من أذى العباسيين ، خاصة اذا علمنا أن مواطن الخوارج عموما ، والصفرية خصوصا كانت أول الأمر بأرض الجزيرة بين نهري دجلة والفرات .

ومن خلال النصوص الشيعية يمكننا أن نضع احتمال تواجد الشاميين بسجلماسة ، من ذلك ما رواه الحاجب جعفر في سيرته من أنه أيام وجوده بسجلماسة مع عبيد الله المهدى اشترى هذا الأخير " خادما من حلب دخل في ذلك الوقت الى سجلماسة ." (2) وقد أطلق عليه المهدى اسم (صندل) .

ويذكر نفس المصدر ان المهدى اشترى روميا " من امرأة من أهل سجلماسة سماه مسلما ." (3) مما يجعلنا أيضا نميل الى احتمال تواجد عنصر الروم بها . والذين يمكن أن يكونوا قد وفدوا على سجلماسة بحكم

---

(1) صورة الارض : ص 61 .
(2) محمد بن محمد اليماني : سيرة الحاجب جعفر ، نشرها ايفانوف ، مجلة كلية الآداب مج 4 ، ص 122 ، القاهرة 1936 .
(3) نفسه .

التجارة ، أو مع مهاجري وقعة الربض ، لا سيما وأن ثورة الربض قام بها المولّدون ، كما يحتمل أن يكونوا من عنصر الأفارقة ، ونعني بهم البربر ، الذين اختلطوا بالروم واعتنقوا المسيحية ، أو الأجانب الذين طال بقاؤهم بالمغرب حتى أصبحوا أفارقة ، وقد تولّى بعضهم — بفضل اعتناقه للاسلام — مسؤوليات سامية في ولاية افريقية مثل عبد الأعلى بن جريج (1) مولى موسى بن نصير وأحد رؤوس أول ثورة خارجية والذى دعي بـ(امام الصفرية) (2) .

كما شجع التقارب المذهبي بين صفرية سجلماسة واباضية تيهرت ثم صلة القربى الناجمة عن المصاهرة بين البيتين المدراري

---

(1) لقبال (موسى) : المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، ص 16 ، ط 2 ، الجزائر 1981 .

(2) السلاوى (احمد بن خالد الناصرى) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج 1 ، ص 97 ، الدار البيضاء 1954 ، وفيها يقول متحدثا عن ثورة الصفرية على عبد الله بن الحبحاب : " وكان شيخهم ميسرة المذكور مقدما في ذلك المذهب فحمل البربر على الخروج عن الطاعة وزحف الى ابن عبيد الله بطنجة فقتله سنه اثنتين وعشرين ومائه (739 م) وولى عليها من قبله عبد الأعلى بن جريج الافريقي — رومي الأصل — ومولى للعرب — كان امام الصفرية في انتحال مذهبهم . "

والرستمي تنقل الصفرية والاباضية بين تيهرت و سجلماسة (1) .

عنصر آخر كان ماثل الحضور بسجلماسة انه عنصر السودان الذين تختلف الآراء فيما اذا كانوا سكانا أصليين بالمنطقة أم مولدين جاءوا ثمرة التزاوج بين البربر والسودانيات القادمات من وراء الصحراء ، علما بأنه " يوجد من بين سكان المغرب ، السكان السود الذين يعرفون حتى اليوم باسم الحراطين." (2) غير أننا نرجح أن عنصر السودان أصيل في المنطقة بحكم ظروفها الطبيعية الصحراوية ، وهذا لا ينفي تواجده بحكم الهجرة نحو سجلماسة طلبا للعلم ، أو بعامل التجارة بما فيها تجارة الرقيق (3) .

---

(1) يذكر ابن الصغير مؤرخ الدوله الرستمية في حديثه عن الامام ابي اليقظان انه "كان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل حتى ان من كان من الاباضيه بسجلماسة يبعثون اليه بزكاتهم يصرفها حيث يشاء." انظر: اخبار الائمة الرستميين ، تحقيق ابراهيم بحاز ومحمد ناصر ، ص 85 ، الجزائر 1986 . وانظر ايضا :

A. De. Mo'ylinsky: Chroni-ue d' Ibn Saghir; Acte du 14ème Congrés Inte-rnational des Orien'alis'es à Alger, 1905, 3ème par ie , P. 93, Paris 1908.

(2) ماك كول : الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ص 18 . ويقال ان أصل كلمة (الحراطين) : الحر الثاني ، اى الذى كان عبدا ثم اعتق ، اى ان الحر الاول من كان حرا بالاصل . والكلمه ما زالت مستعمله في الجزائر لدى مجتمع ادرار . انظر في ذلك: جريده اضواء ، عدد 219 ، ص 12 ، الجزائر 04 فبراير 1988 .

(3) البكري : المغرب ، ص 158 . الحميرى (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، ص 63 ، بيروت 1975 . وفيه انه كان يجلب من أودغست " سودانيات محسنات ، تباع الواحده منهن بمائه دينار وأزيد ."

وقد لعب عنصر السودان هو الآخر دوره في عموم تاريخ المغـــرب الاسلامي ، ونذكر منهم على سبيل المثال عيسى بن يزيد الأسود أول امام لدولة بني مدرار.

اما بخصوص الشرائح الدينية والمذهبية في سجلماسة فيمكن تقسيمها الى فئتين رئيسيتـين : المسلمين ، وأهل الذمـة .

فأما المسلمون فيمثلون أغلبية أفراد المجتمع السجلماسي وفيهم السنه والخوارج ، والشيعـة (1) .

وعلى الرغم من ثبوت وجود عنصر الروم النصارى (2) في سجلماسة الا أننا نخص بحديثنا هنا اليهود دون غيرهم من أهل الذمة ، نظرا للأدوار التي لعبوها في المجال السياسي والاقتصادي ، وهي أدوار اتسمت بالخداع والتدليس ، واذكاء نار الفتنة ، واحتكار التجارة . ولذلك لا نعجب من تنكيل حكام وقضاة المغرب الاسلامي لهم . ففي افريقية - على عهد بني الاغلب - يروى لنا المالكي انه عندما ولّى ابراهيم بن الأغلب عبد اللـه

---

(1) انظر ما قبل ، ص 30 .

(2) اليماني : سيرة الحاجب جعفر ، ص 122 .

احمد بن طالب[1] القضاء بدل سليمان بن عمران[2] " فولى اليه أمر النظر في الولاة والحسبة، والحدود، والقصاص، والعزل، وأمره بقطع المنكر والملاهي من القيروان، فجعل على أكتاف اليهود والنصارى رقاعا بيضاء في كل رقعة منها قرد وخنزير." (3)

أما في سجلماسة فقد نكّل بهم أبو عبد الله الداعي الشيعي، وسخّرهم في عمل الكنافة[4]. والسبب في ذلك أنهم كما يقول صاحب (الاستبصار) كانوا " محبين في سكنى بلدهم (أى سجلماسة) للاكتساب لما علموا أن التسبب بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه فهم يعاملون التجار ليخدعونهم (كذا) بالسرقة، وأنواع الخدائع، ولمّا علم أبو عبد الله الداعي ما هم عليه من ذلك عند استخراج (كذا) عبيد

---

(1) عبد الله احمد بن طالب: قاضي ولاه ابراهيم بن احمد بن الاغلب قضاء القيروان- ذكره الخشني (محمد بن الحارث بن اسد): فقال: " ودارت على عبد الله بن احمد ابن طالب دائرة من ابراهيم فعزله عن القضاء وحبسه وأحال عليه السودان فركضوا بطنه حتى مات." انظر طبقات علماء افريقية، ص 228، بيروت، بدون تاريخ.

(2) سليمان بن عمران: كان كاتبا للقاضي سحنون ثم ولّي قضاء باجة ثم ولاه ابراهيم بن احمد بن الاغلب قضاء القيروان بعد وفاة سحنون. انظر: الخشني: طبقات، ص180- 183. المجدوب (عبد العزيز): الصراع المذهبي بافريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص76-77، ط 2، تونس 1985.

(3) المالكي (ابو بكر عبد الله): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ج 1، ص 381، تحقيق حسين مؤنس، مصر 1951.

(4) الكنافة: لها عدة معان، وحسب السياق الوارد في النص فهي تعني تنظيف المراحيض - جاء في تاج العروس " ومنه سمي المرحاض كنيفا وهو الذى تقض فيه حاجة الانسان." انظر: مج 6، ص239. وانظر ايضا: R. Do y: Supplémen aux dic ion- =/=

الله من سجن اليسع بن مدرار - وكان الذى نصّ عليه ونمّ به لليسع يهودى - وحكى عبيد الله ما جرى معهم تتل منهم الأغنياء وأخذ أموالهم بالعذاب (كذا) وأمر من شاء أن يقيم منهم بالبلد في أن يتصرف في هاتين الخلتين (يقصد الكنافة والبناء)." (1)

كان المجتمع السجلماسي شأنه شأن باقي المجتمعات الاسلامية خاضعا في سلوكه ومعاملاته الى القواعد التي أملتها الشريعة والأخلاق. واسترعت الخصال الحميدة لهذا المجتمع انتباه الغرباء كابن حوقل الذى راح يصفهم بـ" سيادة في الأفعال، وحسن كمال في الأخلاق والأعمال، يخرجون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملاتهم وعاداتهم الى عمل بالظاهر كثيره وتقدم في أفعال الخير شهيره وحنو بعض على بعض من جهة المروءة والفتوة، وان كانت بينهم الحنات والترات (2) (كذا) القديمة، تواضعوها عند الحاجة واطّرحوها رياسة وسماحة، وكرم سجية تخصهم وأدب نفوس وقف عليهم، بكثرة أسفارهم وطول تغربهم عن ديارهم ... الى سعة نفوس عالية وهم سامقة سامية." (3)

---

moires Arabes, 1. pp. 494-495, 3eme édi ion, Paris 1967. =/=

(1) المؤلف مجهول: ص 209 .
(2) ربما يقصد الثارات جمع ثأر ويفهم ذلك من سياق الكلام .
(3) صورة الأرض: ص 99 . ويلاحظ على هذا النص بعض الركاكة في التعبير تركناها احتراما لأمانة النقل .

واحتلت المرأة مكانة مرموقة في السياسة والاقتصاد . فقد بزّت نساء سجلماسة نساء مصر في صناعة الغزل والنسيج بما لهن من " يد صناع (كذا) في غزل الصوف ، فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذي بمصر." (1)

كما مارست المرأة السجلماسية التجارة بما فيها امتلاك العبيد والتجارة فيهم ، فقد ذكر الحاجب جعفر أن المهدي اشترى بسجلماسة روميا " من امرأة من أهل سجلماسة سماه مسلما." (2) .

ومارست بعض نسوة سجلماسة السياسة من ذلك ان جدة المنتصر سمكو بن محمد - أحد أمراء البيت المدراري - تولت أمر الوصاية عليه (أي على المنتصر سمكو) ومن ثمّ على العرش أيام كان قاصرا ، فأمسكت بزمام الحكم (3) .

ويحتمل أن تكون لأروى (4) بنت عبد الرحمن بن رستم ، وزوج مدرار بن

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، مج 5 ، ص 46 .

(2) اليماني : سيره الحاجب جعفر ، ص 122 .

(3) البكري : المغرب ، ص 151 . ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 147 . القلقشندي (احمد بن علي) : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج 5 ، ص 167 .

(4) تختلف المصادر في رسم اسمها فهي عند البكري (أروى) : المغرب ، ص 150 ، وكذلك عند ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 268 ، بينما يرسمها ابن عذارى (أروا) : البيان المغرب ج 1 ، ص 157 . واذا سلّمنا بان هذا الاختلاف مرده الى اختلاف في النسخ فان الذي نجهله هو مصدر ابن الخطيب الذي سماها (هنو) . انظر: اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 143 .

اليسع ، وكذلك لتقية[1] زوج مدرار الثانية هي الأخرى - يد فيما حدث من خلافات سياسية وفتن بين الأهواء من بني مدرار - فكلتاهما - على ما يبدو - كانت متخوفة من انفراد الأخرى وابنها بالحكم بعد وفاة مدرار. وفعلا فقد وقع صراع بين ولديه من أروى ، وتقية ، سنعرف تفاصيله في فصل (السياسه الداخلية للدولة) .

ولم يحجم المجتمع السجلماسي عن العمل بمبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبالرغم من أن المصادر شحيحه في هذا المجال حيث لم تذكر لنا ما اذا عرفت سجلماسة بني مدرار نظام الحسبة[2] أم لا ،

---

(1) عند ابن خلدون (تقي) : العبر،مج 6،ص 268. وعند البكرى (ثقيه) : المغرب ، ص 150 . وعند ابن عذارى (بقيه) : البيان المغرب ،ج 1،ص157، وكذلك عند ابن الخطيب: اعمال الاعلام،ج 3،ص 143 . بينما يرسمها السلاوى (بقي) : الاستقصا ج 1،ص 112 . ونرجّح ان هذا الاختلاف راجع الى خطإ في تنقيط الحروف من طرف النساخ .

(2) عرّفها ابن خلدون على انها" وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين ، يعيّن لذلك من يراه أهلا له، فيتعيّن فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ، ويعزّر ويؤدّب على قدرها ، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة: مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الاكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وازالة ما يتوقّع من ضررها على السابلة، والضرب على أيدى المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ (كذا ، والمقصود ربما المبالغة) في ضربهم للصبيان المتعلمين ." انظر: المقدمة،ص 398، بيروت 1983 .

ومن أشهر ما ألف في الحسبة: (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) لعبد الرحمن=/=

لكن ما ذكرته المصادر في مواطن غير سجلماسة يسمح لنا بامكانية وجود هذا النظام بسجلماسة ، خاصة وأن سجلماسة " كانت مجتمعا خارجيا محافظا تقوم حياته على أساس التجارة الخارجية مع الرستميين ومع السودان الغربي ، ولما كانت سجلماسة مركزا تجاريا ومحطة هامة للقوافل التجارية فاننا نرجح أن تكون عرفت نظام المراقبة على الأسواق ، ومحاربة الغش وأنواع المخالفات الأخرى ." (1) كما ان هذا النظام لم يكن غريبا عن بلاد المغرب الاسلامي عامة (2)

=/= الشيزرى ، و(معالم القربة في احكام الحسبة) لمحمد بن محمد القرشي بن الاخوة ، و(آداب الحسبة) لابي عبد الله محمد بن احمد السقطي المالقي ، و(التيسير في احكام التسعير) لاحمد بن سعيد المجيلدى . ومن المراجع الحديثة نذكر: (الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي) موسى لقبال ، و(الحسبة والمحتسب في الاسلام) للدكتور نقولا زياده .

(1) لقبال (موسى) : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، ص 93 ، ط 1 ، الجزائر 1971 .

(2) يبدو ان نظام الحسبة في بلاد المغرب يرجع الى عهد يزيد بن حاتم المهلبي الذى حكم افريقية عام 156 هـ/ 772م ، فقد ذكر ابن عذارى انه كان " حسن السيرة فقدم افريقية واصلحها ، ورتّب أسواق القيروان ، وجعل كل صناعة في مكانها ." انظر البيان المغرب ، ج 1 ، ص 78 - وكان من أهم قضاة ومحتسبي القيروان وعموم المغرب القاضي ابو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي الذى قال: " . . . وأصبحت ، وقد وليت أمر هذه الأمة ، أؤدبهم على دنياهم فلعمرى ان من لم تصلح له دنياه فسدت له اخراه ، وفي صلاح الدنيا ، اذا صح المطعم والمشرب صلاح الآخرة فكلا الامرين متصل بالآخر أؤدبهم في معاشهم وادفع ظالمهم عن مظلومهم ." انظر القاضي عياض (ابو الفضل موسى اليحصبي) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ج 1 ، ص 597 ، بدون تاريخ .

ولا عن دولة الخوارج الاباضية بتيهرت[1] اذ عرفته هذه الاخيرة في شكل هيئة تدعى (العزابة) [2] .

---

(1) عرفت الدولة الرستمية نظام الحسبة من خلال أئمتها مثل ابي بكر افلح الذى يذكر ابن الصغير ان أخاه (اى اخا ابي بكر افلح) لما قدم من العراق ووجده اميرا " والعجم على أحوالهم ، والنفوسة (كذا) على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه فلم يغير شيئا ولم ينكره ، ولا ادعى امارة ولا نازع فيها اخاه ، بل يظهر القيام له والحسبة بين يديه . " انظر ابن الصغير: اخبار الائمة الرستميين ، ص 63 ، كما يذكر ايضا في ص77 ان ابا اليقظان " امر قوما من نفوسة يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه ، وان رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها انزلوا حملها ، وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها ، وان رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه . "

(2) يعرّف الدرجيني العزابة فيقول " هذه اللفظة واحدهم عزابي استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسيرا (كذا ، ولعلها ساير) أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها . . . وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه فاستعير لمن بعد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة . " انظر طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 1 ، ص 3 ، 4 ، تحقيق ابراهيم طلاى ، قسنطينة ، بدون تاريخ .

ويعرّفها موسى لقبال على انها " مجالس دينية تؤدى خدمات دينية واجتماعية وترتبط بنظام المسجد عند الاباضية . . . ومهمتها مباشره الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل على السير الحسن للحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية . " انظر: الحسبة المذهبية ، ص 87 - 88 .

ويذكر صالح باجية ان " لهذا الصنف سيما انفردوا بها وأحوالا عرفوا بها ، وذلك في تسميتهم وخطابهم ومؤاكلتهم ولباسهم وأوقات نومهم وقيامهم واورادهم وصيامهم وعباداتهم . وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتجاوزونها . " انظر: الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الاولى ، ص 185 ، تونس 1976 .

وقد ذكر ابن عذاري ان الصفرية بعد ما بايعوا عيسى بن يزيد " أنكروا عليه أشياء ، فأخذوه و شدوا وثاقه ، وربطوه الى شجرة في رأس جبل وتركوه حتى مات." (1)

كما أنكروا على ميمون بن مدرار من زوجته (تقية) أفعاله عندما " استبدّ بالامر وأساء السيرة ، فقام عليه (كذا) أهل سجلماسة وخلعوه." (2) .

---

(1) البيان المغرب : ج 1 ، ص 157 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 143 ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 165 .

النشاط الحرفي :

وتأتي في مقدمة النشاطات الحرفية التجارة التي ازدهرت بفضل أهمية موقع سجلماسة بالنسبة للتجارة مما أدر على محترفيها أموالا طائلة ، وكان من مشاهير تجارها أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله ، اذ كان له دين بذمة رجل من أودغست بما قيمته اثنان واربعون ألف دينار ، وقد تعجب لذلك ابن حوقل وعندما حكى القصة لأهل العراق وفارس وخراسان استظرفوها (1) .

كما عرفت الفلاحة انتعاشا خاصة وانها حظيت باهتمام الأمراء ذاتهم ، فقد أشرفوا على خطط سجلماسة ، وعلى عملية تصريف المياه ، مثل عيسى بن يزيد الذى قسّم مياه سجلماسة بنفسه على السكان وبقدر موزون ، وصرف الى كل ناحية نصيبها . كما أمر بغرس النخيل والاكثار منه (2) .

---

(1) صورة الارض : ص 99 ، وفيها يقول ابن حوقل : " ولقد رأيت بأودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم (أى تجار سجلماسة) على رجل من تجار أودغست باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيرا ، ولقد حكيتها بالعراق ، وفارس وخراسان فاستظرفت " ، ويضيف انه سمع " ابا اسحق ابراهيم بن عبد الله المعروف بفرغ (كذا ، ولعلها بفرط) شغله وهو صاحب الدين والصك الذى قدمت بأودغست . " وفي موضع آخر يفصح ابن حوقل عن صاحب الدين فيقول : " ولقد رأيت صكا كتب بدين على محمد بن ابي سعدون بأودغست وشهد عليه العدول باثنين واربعين الف دينار . "

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 140 .

ولهذا ، عندما اجتمعت ارادة السكان مع تشجيع امراء بني مدرار لهم غدت سجلماسة " كثيرة التمور والأعناب والزبيب ، والفواكه ، والحبوب ، والرمان ، والخيرات ." (1)

وانتعشت حرفة الحدادة التي مارسها الامراء المدراريون أنفسهم قبل توليهم حكم سجلماسة ، فقد كان مدرار نفسه حدادا يحضر سوق سجلماسة ويعدّ آلات الحديد (2) .

وكانت نسوة سجلماسة ماهرات في صناعة الغزل والنسيج ، وقد فقن فيها المصريات (3) .

بينما كانت مهنتا الكنافة والبناء مقصورتين على اليهود ومن يوالونهم على اثر العقاب الذى سلطه عليهم أبو عبد الله الشيعي كما وضحنا من قبل (4) .

وبالنسبه لمستوى المعيشة ، وما وصل اليه المجتمع في سجلماسة نلاحظ انه ارتقى الى درجة معتبرة نظرا للدور الذى لعبته التجارة مع بلاد السودان .

---

(1) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 231 .
(2) البكرى : المغرب ، ص 149 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 140 .
(3) انظر ما قبل ، ص 36 ، هامش 1 .
(4) انظر ما قبل ، ص 34 ، هامش 1 ، وص 35 .

وغــدا السكان بذلك " سراة مياسير ." (1)

وبهذا أصبح المجتمع يستقى من أرقى مراكز الحضارة العربية الاسلامية ويتجلّى ذلك – مثلا – في نمط العمارة التي نسجت على منوال أبنية الكوفة (2) . ويرجّح ان هذه المحاكاة هي وليدة تأثر السجلماسيين بهندسة البناء الكوفية أثناء أسفارهم نحو المشرق للحج أو لطلب العلم ، أو للتجارة ، كما لا يستبعد أن يكون للمقيمين بسجلماسة من العراقيين تأثير في هـــذا المجال .

---

(1) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 100، 101 .

(2) نفسه ، ص 91 .

خـــطة سجلمـــاسة(1):

رأينا فيما سبق العوامل التي أدت الى اختيار موقع سجلماسة لانشاء أول دولـــة صفريـــة ، وهذه العوامل في حد ذاتها هي التي جعلها ابـــن خلدون أساسا لاختيار الموقع المـــناسب لتأسيس المدن ، فاشترط أن يكـــون الموقع دافعا لمـضرة ، وجالبا لمـنفعة ، ومسهّلا الحصول على المرافق(2) .

ومهما اختلفت الآراء فيمن اختط مدينة سجلماسة من بني مدرار(3) فان ذلك لا يمنع أن تخطيط المدينة تم بعد أن كانت مرتعا للمواشـــي وسوقا يجتمع فيه السكان .

من المنشآت التي شمـلتها خطة المدينة ، شأنها في ذلك شأن بقية المدن الاسلاميه : الجامع ودار الامارة(4) ، والحمامات(5) ، والمـدارس(6) والأسواق .

---

(1) عن دواعي انشاء المدن انظر القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 7 ، 8 ، بيروت 1960 .

(2) المـقدمة ، ص 617 الى 620 .

(3) انظر ما قبل ، ص 23 وما بعدها .

(4) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 231 .

(5) البكري : المغرب ، ص 148 .

(6) الوزان : وصف افريقيا ، ص 499 .

فأما الجامع فهو من أهم المنشآت في المدينة الاسلامية لما له من دور أساسي ، فالمسجد في الدولة الاسلامية لم يكن مكانا للعبادة فقط بقدر ما كان " مركزا لبحث الشؤون السياسية والدينية والاجتماعية." (1)

ويراودنا سؤال فيما اذا كانت (دار الامارة) بسجلماسة مجرد اقامة خاصه بأمراء بني مدرار ، أم أنها كانت مقرا للحكومة بالمفهوم العصري = وقياسا على جارة دوله بني مدرار وهي دولة الرستميين (2) فاننا نرجح أنها كانت مقرا للأسرة الحاكمة أو في أبعد الاحتمالات تتقاسم الدور مع المسجد الجامع (3) فيما يخص دراسة قضايا الدولة والمجتمع.

وكانت أبنية سجلماسة التي أقيمت على شكل عمارات متصلة (4) تتكون من طوابق ، وتصميمها المعماري يشبه أبنية الكوفة (5).

وبالرغم من أن الحمامات العامه كانت معروفة في المدن الاسلامية وكثيرة العدد حتى ان بغداد عدت حماماتها بعشرة آلاف حمام أو أكثر (6) ، الا

---

(1) عثمان (محمد عبد الستار) : المدينة الاسلامية، ص 234، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1988.

(2) ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين، ص29و34.

(3) عن التصاق دار الامارة بالجامع انظر عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق، ص 239.

(4) الادريسي : ص 37.

(5) ابن حوقل : صورة الارض، ص 91.

(6) عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق، ص 248.

أن سجلماسة ، وصفت حماماتها بانها " رديئة البناء غير محكمة الصنع ." (1)

وهنا نتساءل عن علة هذه الحال التي كانت عليها حمامات سجلماسة فهل مرد ذلك الى انعدام وسائل البناء الضرورية اذ " غالبا ما يستخدم في بناء الحمامات الآجر والحجر والرخام ، وهي مواد تتحمل الماء ." (2) ونظرا لطبيعة سجلماسة الصحراوية وصعوبة نقل هذه المواد من أماكن تواجدها فقد تحتم بناؤها بمواد لا تتحمل الماء والحرارة الشديدة فوصفت انها غير محكمة البناء ، ونضيف الى هذا الاحتمال ان بعض المتشددين من المسلمين لم ينظروا الى الحمامات بعين الرضا وساقوا في ذلك أحاديث منها ما روى عن اسحاق بن خزيمة السلمي انه " قيل له يوما ، لو حلقت شعرك في الحمام . فقال لم يثبت عندى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حماما قط ." (3)

واضافة الى ذلك فقد احتوت المدينة على مدارس (4) ومصانع (5)

---

(1) البكري : المغرب ، ص 148 .

(2) عثمان (محمد عبد الستار) : المدينة الاسلامية ، ص 247 .

(3) السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 3 ، ص 110-111 تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، مصر 1965 .

(4) الوزان : وصف افريقيا ، ص 150 .

(5) الاستبصار : ص 201 .

وأسواق (1) ، وبساتين (2) .

ونظرا لنشاط الحركة التجارية ، فلا يستبعد أنها عرفت الفنادق أو الخانات وربما كانت الدار التي أقام بها عبيد الله في حد ذاتها خانا من الخانات .

وبما أن الأمن عنصر أساسي للمجتمع المستقر ، لم يغب عن أمراء بني مدرار أمر تحصين المدينة بحصن عرف بالعسكر (3) .

وقد يكون هذا الحصن تطور في السور الذى بناه ابو القاسم سمكو سنه 179هـ/795م ، والذى هدمه ابنه اليسع فيما بعد وأعاد بناءه " بناء أحسن من الأول وأنفق فيه أموالا جليلة " .

ويعتبر عمل اليسع تكملة لما شرع فيه أبوه ، قاصدا بذلك تحديث المدينة (4) ، على أننا لا نغفل من حسابنا عاملا آخر له دخل في بناء السور من جديد يتمثل في ما شنه اليسع من حروب ضد القبائل وخاصة ببلاد درعة التي انتصر عليها وأخذ خمس معادنها (5) .

وتذكر النصوص أن محيط سور سجلماسه بلغ اثنى عشر فرسخا وكان له اثنا عشر بابا (6) ، ثمانية منها من حديد (7) .

(1) انظرعن الاسواق في المدينة الاسلامية عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق ص 253-260 . (2) البكرى : المغرب ، ص 148 .
(3) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 231 . (4) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 268 .
(5) نفسه . (6) المقدسي : المصدر السابق ، ص 231 .
(7) نفسه .

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية الداخلية

لدولة بني مدرار

يتعين علينا أولا أن نشير الى أن الامارة الصفرية بسجلماسة عرفت بتسميات مختلفة ، فتارة نجدها باسم (امارة سجلماسة) ومرة (امارة بني مدرار) ، وأحيانا باسم (امارة بني واسول) .

واذا كانت التسمية الأولى تنسب هذه الامارة الى المنطقة التي أقيمت عليها الدولة ، فان التسميتين الأخيرتين هما اللتان تأخذان عدة تفسيرات :

فقد تكون نسبتها الى بني مدرار اشارة الى الجد الأول الذى ترجع اليه الأسرة الحاكمة ، خاصة وأن هذه الامارة شهدت حكما وراثيا اذا استثنينا عهد عيسى بن يزيد المؤسس الأول للدولة ، والعهد الفاطمي الذى تولّى فيه حكم سجلماسة ولاة كانوا أحيانا من غير بني مدرار . ونستنتج هذه النسبة من قول البكري في حديثه عن بني مدرار " وذكر آخرون أن مدرارا كان حدادا من ربضية الأندلس فخرج عن وقعه الربض فنزل منزلا بقرب سجلماسة ، وموضع سجلماسة اذ ذاك براح يجتمع فيه البربر وقتا من السنة يتسوقون لقرب ، فكان مدرار يحضر سوقهم بما يعده من آلات الحديد ثم ابتنى بها خيمة وسكنها وسكن البربر حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ." (1)

---

(1) البكري: المغرب ، ص 149 .

كما يحتمل أن تكون النسبة الى (مدرار بن اليسع الملقب بالمنتصر) الذى حكم سنه 208 هـ/ 823 م ، لأن الذين حكموا سجلماسة بعده هم فعلا أبناؤه ، وحفدته ، حتى في بعض فترات النفوذ الفاطمي .

أما نسبتها الى بني واسول فيحتمل أيضا وجهتين من الرأى :

فاما أن تكون النسبة الى (أبي القاسم سمكو) ، ثاني حاكم(1) للدولة بعد تأسيسها على يد عيسى بن يزيد ، ودليلنا على ذلك أن أبا القاسم سمكو هذا عرف عند بعض المؤرخين بـ(أبي القاسم سمغون بن واسول المكناسي)(2)

واما أن تكون النسبة الى أحد أمراء بني مدرار في الدور الفاطمي ، وهو الفتح بن ميمون الأمير بن مدرار الملقب بواسول(3) ، مع ما في ذلك من محاولة لاحياء مجد الدولة خاصة وقد واتتهم الفرصة أثناء الانتفاضة على ابراهيم بن غالب المزّاتي ، الذى عينه عبيد الله

---

(1) هو ثاني حاكم للدولة عند كل المصادر ، ما عدا ابن عذارى الذى يجعله سابقا لعيسى بن يزيد عندما يذكر ان قوما من الصفرية اجتمعوا "على ابي القاسم وسكنوا معه هنالك في خيمات ، ثم شرعوا في البناء في حدود الاربعين ومائة." ، انظر البيان المغرب ، ج 1 ، ص 156 .

(2) ابن عذارى : نفسه ، ص 156 .

(3) البكرى : المغرب ، ص 150 . ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 270 . غير ان ابن الخطيب يدعوه بـ(الرسول) ، انظر اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 146 . وذهبت بعض الدراسات الى الفصل بين حكام سجلماسة بعهدين : عهد بني واسول 155 - 309 هـ/ 771 - 921 م ، وعهد بني مدرار من 309 هـ/ 921 م حتى السقوط النهائي وهو ما يتعارض مع ما ذكرناه سابقا . انظر بوخالفه (نور الهدى) : دولة بني واسول في سجلماسة ، ص 169 - 170 . وهي رساله لنيل شهاده الدراسات المعمقه .

المهدي عاملا على سجلماسة بعد أن قفل راجعا الى افريقية .

ومهما يكن من أمر هذه التسمية فانه ليس سوى اختلاف شكلي ، وذلك نظرا لكون جميع حكام الدولة - عدا عيسى بن يزيد - من أسرة واحدة . على أننا من الآن سوف ندعوها في هذا البحث باسم (دولة بني مدرار) ، بناء على اسم منشئيها الأوائل بعد عيسى بن يزيد .

مرت دولة بني مدرار بعدة أدوار تقلبت فيها بين القوة والضعف والانتكاسة ، وكان وراء ذلك - طبعا - عوامل أثرت في هذه الدولة جعلتها أحيانا تساهم في صنع الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية في المغرب الاسلامي ، ويمكننا تقسيم هذه الأدوار الى خمسة ، مراعين في هذا التقسيم التطور السياسي لا التطور المذهبي (1) . وهذه الأدوار تتمثل في :

أولا : دور النشأة والتأسيس :

وشهد هذا الدور حكم كل من عيسى بن يزيد ، وأبي القاسم سمكو ،

---

(1) يقسم عبد الحميد حاجيات مراحل الدولة باعتبار تطور المذهب الصفري الى مرحلة اظهار المذهب الصفري ، ومرحلة الانهيار . انظر مقال : مذهب الصفرية في سجلماسة مجلة التاريخ ، ص 13 الى 30 ، عدد 6 ، جويلية 1978 .

والياس بن أبي القاسم الملقب بالوزير . ويمتد بين سنتي 140 ـ 174 هـ / 757 ـ 790 م .

يبتدىء هذا الدور بعد تغلغل الدعوة الخارجيه الصفرية في بلاد المغرب ، فعقب ثورة ميسرة المطغرى إمام الصفرية"(1) ، بايعت هذه الأخيرة خالد بن حميد الزناتي واستطاعت أن تحقق النصر ضد الجيش الأموى في معركة الأشراف سنه 122 هـ/ 739 م . ومن أهم ما تمخض عن هذه الوقعة من نتائج انتشار المذهب الصفرى " بين بربر المغرب الأقصى اثر ذلك انتشارا سريعا ."(2) وقد حاول الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (105 ـ 125 هـ/ 723 ـ 742 م) الثأر للهزيمة مما نتج عنه عدة مواقع أخرى أهمها موقعة سبو(3) سنه 123 هـ/ 741 م .

غير أن الهزيمة بدأت تلاحق الصفرية فيما بعد خاصه عندما حاولت بسط نفوذها على القيروان ، بقيادة كل من عكاشة بن أيوب الفزارى ، وعبد الواحد بن يزيد الهوارى ، وأبي قرة المغيلي الزناتي ، حيث انهزموا في موقعتي القرن والأصنام ، وبعدها لم تقم للصفرية قائمة في افريقية ، ولهذا اتجه

---

(1) السلاوى: الاستقصا، ج 1، ص 97 .

(2) لقبال (موسى) المغرب الاسلامي ، ص 159 .

(3) نهر سبو: نهر منبعه من نواحي جبل القلعة بالمغرب الاقصى ، ويمر بمحاذاه شرقي فاس ، على سته اميال منها . انظر: الادريسي ، نزهة المشتاق، ص 148 .

بعضهم الى (تامسنا) حيث قبيلة برغواطة وكان منهم صالح بن طريف بن مالك صاحب البدعة المعروفة (1) بينما التجأ بعضهم الآخر الى الصحراء .

ويبدو أن هؤلاء الأخيرين هم الذين اجتمعوا على أبي القاسم سمكو أو على عيسى بن يزيد في سجلماسة التي كانت يومها براحا تنتجع فيه المواشي .

غير أن قيادة هذا المجتمع الجديد لم تؤل مباشرة الى أبي

---

(1) كان طريف هذا من أتباع ميسرة، وعند مقتل الاخير، قدمه البربر ليتولى أمرهم ، وعند وفاته ترك أربعة أولاد منهم (صالح) الذى ولي الامر بعد وفاة أبيه طريف ، فادعى النبوة" شرع لهم ديانة، وسمى نفسه صالح المؤمنين، وعهد الى ابنه الياس بديانته وأمره ألا يظهر ذلك الا اذا قوى أمره، وحينئذ يدعو الى مذهبه . . .وخرج صالح الى المشرق وزعم انه يعود اليهم في دولة السابع من ملوكهم ، وزعم انه هو المهدى الاكبر الذى يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وانه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ." انظر ابن عذارى : البيان، ج 1، ص 223-224 . ابن خلدون : العبر، ج 6، ص 428 وما بعدها وفيها يورد ابن خلدون أبياتا ينسبها الى سعيد ابن هشام المصمودى قالها في (أبي غفير) أحد أحفاد صالح بن طريف:

قفي قبل التفرق واخبرينا ... وقولي واخبرى خبرا يقينا
يقولون : النبي ابو غفير ... فأخزى الله ام الكاذبينا
سيعلم أهل تامسنا اذا ما ... أتوا يوم القيامة مهطعينا
هنالك يونس وبنوا أبيه ... يقودون البرابر حائرينا

وانظر ايضا السلاوى : الاستقصا، ج 1، ص 102 الى 104 .

القاسم سمكو بالرغم من مكانته الاجتماعية نظرا لكونه هو أو جده أحد الفقهاء الذين تلقوا العلم عن عكرمة مولى بن عباس، أول داعية صفرى في بلاد المغرب[1]، بل آلت الى عيسى بن يزيد الاسود الذى لا تمدنا المصادر الا بمعلومات مقتضبة عن حياته، وعن أوضاع سجلماسة على عهده اذ لا تذكر هذه المصادر سوى أن الصفرية المجتمعين حول أبي القاسم سمكو، ولوه أمرهم، باقتراح من هذا الأخير.

ويعترضنا هنا سؤال ذو أهميه في تحديد معالم السياسة الداخلية لدولة بني مدرار، وهو حقيقة عيسى بن يزيد الأسود هذا، فهل هو أسود بالانتماء الى منطقة ما من بلاد السودان مما حدا بالبعض الى القول بأنه " يجرى في عروقه دم زنجي "[2] أم هو أسود فقط بالخلقة تبعا لظروف سجلماسة المناخية، أم أن صفة (الاسود) هي صفة لأبيه يزيد (أى يزيد الأسود) ، وليست صفة لعيسى في حد ذاته ؟

اننا نطرح هذه التساؤلات - ليس فقط بحثا عن أصل عيسى بن يزيد في حد ذاته - فهذا لا يعنينا في شيء - انما لكي نعطي تفسيرا مقبولا لعامل اختياره كأول امام للصفرية في سجلماسة.

---

(1) أبو زكريا : سير الائمة، ص 26-27 . الدرجيني : طبقات، ج 1، ص 11 .

(2) بل (الفرد) : الفرق الاسلاميه في الشمال الافريقي، ترجمه عبد الرحمن بدوى، ص170 ط 2 ، بيروت 1981 .

فاذا كان عيسى بن يزيد سودانيا فعلا سواء بالخلقة أو الانتماء فان اختياره أميرا على الصفرية بسجلماسه يكون تطبيقا لمبدإ الخوارج في الامامة وهو عدم التعصب فيها الى جنس أو عرق معين .

واما أن يكون عيسى بن يزيد كما قال عنه ابن الخطيب " كان جده سعد لقي بافريقية عكرمه مولى بن عباس رضي الله عنه ."(1) وهو بذلك رجل تتوفر فيه شروط الامامة ومنها العلم ، مما جعل أبا القاسم يحمل قومه على طاعته . وقد يكون اشتغاله بالرعي وانتجاع سجلماسة مجرد تمويه على الأغالبة ممثلي العباسيين في بلاد المغرب .

أما الشخصية الثانية في هذا الدور فيمثلها أبو القاسم سمكو الذى تولى سجلماسة من سنه 155 هـ/ 771م الى سنه 167 هـ/ 783م .

والذى نعرفه عن أبي القاسم سمكو(2) هو انه كان صاحب ماشية ينتجع

---

(1) بل (ألفرد) : الفرق الاسلاميه في الشمال الافريقي ، ترجمه عبد الرحمن بدوى ، ص 170، ط 2 ، بيروت 1981 .

(2) تختلف المصادر في رسم اسمه فهو عند البكرى سمغو بن مزلان : انظر المغرب ، ص149 ، وعند ابن عذارى ابو القاسم سمغون بن واسول المكناسي . انظر البيان المغرب ، ج 1، ص156 . وعند ابن خلدون ابو القاسم سمكو بن مصلان ابن أبي يزول ، وكذلك يرسمه سمقو ، انظر العبر ، مج 6، ص 268 .

هو الآخر سجلماسة . غير ان المصادر تختلف في أمره هل كان هو شخصيا من حملة العلم أم والده سمكو . فبينما نجد ابن خلدون يذكر أن أباه سمكو هو الذى كان من حملة العلم وأنه التقى بعكرمة مولى ابن عباس عندما ارتحل الى المدينة (1) ، نجد البكرى ينسب حمل العلم اليه اذ لقي عكرمة بافريقيا وسمع منه (2) .

ونظن ان الاثنين قد تلقيا العلم عن عكرمة ، فسمكو تلقاه بالمدينة قبل مقدم عكرمة الى افريقية ، وابو القاسم تلقاه في افريقية بعد قدوم عكرمة اليها . وقد يكون ابو القاسم تلقى العلم عن أبيه سمكو . غير أننا عندما نقارن روايتي البكري وابن خلدون يتبين لنا أن رواية الأول أقرب الى الصحة لسببين : فمن جهة فالبكرى أسبق فترة من ابن خلدون ، ومن جهة ثانية نجد ابن خلدون ذاته يذكر أن صفرية مكناسه " اجتمعوا بعده (أى بعد عيسى بن يزيد) على كبيرهم أبي القاسم سمكو." (3) ألا نفهم من كلمة كبيرهم المنزلة العلمية لابي القاسم سمكو ؟ !

ومهما يكن من أمر فان ابا القاسم نال سمعه أدبيه ، سواء تعلّق أمر

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 267 .

(2) البكرى : المغرب ، ص 149 .

(3) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 268 .

حمل العلم به أو بأبيه ، مما أضفى عليه نوعا من التقوى جعل الصفرية يذعنون الى اقتراحه في مبايعة عيسى بن يزيد ، ثم مبايعته هو بعد ذلك .

وبما أن الدولة كانت حتى في عهده في طور نشأتها فمن المنطقي أنها كانت بحاجة الى استقرار داخلي ولهذا عمد أبو القاسم الى الحياد المذهبي أو على الأقل التأرجح بين المذهبين الصفرى والاباضي ، مما دفع ابن خلدون الى القول بأنه كان اباضيا صفريا (1) .

وتردد أبي القاسم بين المذهبين الصفرى والاباضي له أكثر من مبرر: فالدولة حديثة النشأة وهي بحاجة ماسة الى الاستقرار بين الطوائف خاصة وأن سجلماسة كانت تعج بالجاليات المختلفة ومنها الاباضية .

وهناك مبرر آخر لهذه السياسة وهو محاولة كسب ود الرستميين تجنبا لأى تحريض على شق عصا الطاعة من طرف اباضية سجلماسة الذين يبدو انهم كانوا على ود كبير مع أئمة تيهرت الرستميين لدرجة أنهم كانوا يتوجهون بزكاتهم اليهم (2) . بل لقد ذهب أبو القاسم أبعد من ذلك عندما أعلن ولاءه (الصورى) للخلافة العباسية اذ " خطب في عمله للمنصور والمهدى من بني

---

(1) العبر ، مج 6 ، ص 268 .

(2) ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين ، ص 85 .

العباس .(1) وذلك حتى يتقي خطر العباسيين ، ويكسب حكمه صبغة شرعية .

وقد أثمرت هذه السياسة ، فلم تحدثنا المصادر عن اضطرابات داخلية ولا صراعات مع الامارات المجاورة ، ولا مواجهة مع الخلافة العباسية على عهد أبي القاسم سمكو . وربما درجة الاستقرار هذه هي التي جعلت النصوص تخصه لوحده بأن موته كان فجأة عقب صلاة العشاء(2)

ثانيا : دور القوة :

وهو عهد اليسع الملقب بالمنتصر ، وهذا من سنة 174 هـ/ 790 م الى سنه 208 هـ/ 823 م .

بعد وفاه أبي القاسم سمكو مرت دوله بني مدرار ، بمرحله انتقالية ، تولى الحكم فيها ابنه الياس الملقب ب(الوزير) .

---

(1) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 268 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 141 - وتختلف المصادر حول سنة وفاته فعند البكري سنه 168 هـ/ 784 م : المغرب ، ص 150 . وكذلك عند ابن عذارى بينما نجدها عند ابن خلدون 167 هـ/ 783 م وهو متردد في هذا التاريخ فتارة نجد وفاته " امنتهى عشر سنين " وتارة " لاثنتي عشرة سنة من ولايته . " انظر العبره مج 6 ، ص 268 .

وأهم ما يميز هذه الفترة الانتقالية هو أنها الفترة التي دشن فيها بنو مدرار نظام الحكم الوراثي ، خلافا لما دعا اليه الخوارج من مبدإ الاختيار، لكن الياسا هذا لم يدم حكمه أكثر من ستة أشهر [1] . وبالرغم من أن النصوص تسكت أيضا عن سبب العزل مكتفية - فقط - بالقول أن الصفرية " انتفضوا عليه سنة أربع وتسعين فخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع ." [2] فاننا لا نستبعد أن يكون سبب العزل هو ما يحمله تعيين الياس من خرق لمبدإ (الاختيار) ، بدليل أن عملية العزل أخذت شكل الثورة ، فالصفرية على رأى ابن خلدون انتفضت عليه .

وعلى أية حال فان هذه المدة القصيرة التي قضاها الياس في الحكم توحي بأنه كان ضعيفا مسالما فقيرا الى الانصار ، على عكس أخيه وخلفه في الحكم (اليسع) الذى كان جبارا ، عنيدا ، فظا ، غليظا [3] ، وربما استغل هذا الأخير ضعف أخيه وما آل اليه مركزه لتحقيق طموحه الكبير في تولي الحكم ، هذا اذا لم يكن هو نفسه أحد الرؤوس المدبرة لعملية عزله .

وبعزل الياس تنتهي الفترة الانتقالية لتدخل الدولة مرحلة القوة على يد

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ،ج 3 ،ص 142 .
(2) ابن خلدون : العبر،ج 6 ،ص 268 .
(3) البكرى : المغرب ،ص 150 . ابن الخطيب : المصدر السابق،ص 142 .

أخيه اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي منصور .

وقد اتسم عهد اليسع بأعمال تدل على قوته ، منها تفانيه في مقاومة المتمردين على حكمه خاصه في منطقه درعة" (1) .

والسؤال المطروح هو ما دافع هذا التمرد ؟ هل هو القضاء على أطماع الاباضية كما ترى بعض الدراسات؟ (2) أم هو استمرار لانتفاضة الصفرية على أخيه الياس الذى حاد عن تعاليم الخوارج في اختيار الامام ، أم لأنه كان كما ذكرنا آنفا جبارا عنيدا فظا غليظا ؟ أم أن الأمر لم يكن سوى عملية توسعية ذات أبعاد اقتصادية ؟

اننا نرى احتمالين يبرران غزو اليسع لدرعة ، وهما : اما أن يكون التمرد استمرارا للثورة التي حدثت على عهد أخيه الياس باعتباره هو الآخر حاد عن تعاليم المذهب الخارجي في اختيار الامام ، واما أن يكون هذا التمرد بسبب عملية توسعيه قام بها اليسع فقد " دوّخ بلاد الصحراء وأخذ الخمس من معادن درعة ." (3) مما أضاف الى بيت المال موردا اقتصاديا

---

(1) درعه " مدينة صغيرة بالمغرب من جنوبي المغرب بينها وبين سجلماسة أربعه فراسخ ودرعة غربيها اكثر تجارها اليهود " . انظر ياقوت : معجم البلدان ، مج 2 ، ص 567 .

(2) اسماعيل (محمود) : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 90 .

(3) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 268 .

جديدا ساعده على القيام بأعمال اصلاحيه وتجديديه في سجلماسه ، حتى غدت بفضل هذه الأعمال كاملة البناء ، عامرة بالديار والمرافق الاقتصادية ومنها المصانع (1) .

ومن ثمار هذه السياسه - زياده على ازدهار الدوله - هو القضاء على المتمردين فقد " قهرهم وأذلهم وأظهر الصفرية وعظم قدره في ذلك الوقت . " (2)

على أننا نخالف بعض الآراء (3) التي تفسّر قول ابن عذارى أن اليسع أظهر الصفرية أى أخرج المذهب من طور الكتمان الى طور الجهر. بل المقصود من اظهار الصفرية الانتصار (4) للمذهب الصفرى واتباعه ، وسياق الحديث يفهم منه ذلك . لأن المذهب الصفرى في سجلماسه بعد نشأة الدوله لم يصبح في دور الكتمان والدولة قائمة . كما ان المصادر لم تذكر لنا تغييرا طرأ على سياسة بني مدرار نحو الخلافة العباسيه في عهده وعهد خلفه يستوجب التستر

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج 1،ص157 . ابن خلدون: العبر،مج 6،ص268 . وانظر ايضا :

(2) ابن عذارى: المصدر السابق،ص157 .

(3) منها راى عبد الحميد حاجيات ، انظر مجله التاريخ ، سبق ذكره .

(4) وهذا تعبير مستمد من القرآن الكريم قال تعالى . . . " فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين . " سورة الصف الآيه 14 . وفي قوله تعالى : " ليظهره على الدين كله . " سوره التوبة الآيه 33 ، اى يقويه . انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مج 2،ص174 ، نشر مجمع اللغة العربية، ط 2 ، مصر 1970 .

بالمذهب ، بل ان بعض المؤرخين اعتبروا أمراء سجلماسة (عمالا للعباسين) [1].

ثالثا : دور الضعف :

ودشنه عهد مدرار بن اليسع واستمر حتى دخول الفاطميين الى سجلماسه وذلك من سنه 208 هـ/ 823م الى سنه 296 هـ/ 908م.

فبنهاية عهد اليسع بن أبي القاسم أخذت دولة بني مدرار منعرجا جديدا وخطيرا في مسارها طابعه الفوضى المتمثلة في الصراعات التي اختلفت أسبابها واتحدت نتائجها.

فهناك الصراع المذهبي بين الاباضية والصفرية ، هذا الصراع الذى حاولت الدولة الرستمية حسمه لصالحها ، ونعني به قضية المصاهرة التي تمت بين عبد الرحمن بن رستم ومدرار بن اليسع عندما تزوج ابن هذا الأخير ابنة عبد الرحمن بن رستم [2]. كما تمثل في الصراع العائلي بين أفراد البيت

---

(1) انظر :
وانظر ايضا :

(2) سنتحدث عن هذه المصاهرة بالتفصيل في فصل العلاقات الخارجية .

المدراري[1] على عهد خليفته اليسع بن أبي القاسم وهو مدرار الملقب بـ(المنتصر) ، ففي عهده ظهر الصراع العائلي الذى لا يستبعد أن يكون لـ(أروى) ابنة عبد الرحمن بن رستم ومن ورائها الدولة الرستمية ضلع فيه . ذلك ان المصادر تخبرنا انه كان لمدرار (المنتصر) ولدان يدعى كل منهما ميمونا أحدهما[2] كان من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم ، والثاني من تقية[3].

وقد ظهر الصراع جليا بين الابنين عندما تنازلا وتقاتلا ثلاث سنين . وهنا نتساءل هل كان النزاع بتحريض من أميهما أروى ، وتقية ، اللتين كانت كل منهما تسعى الى ابقاء النفوذ في دائرة ابنها ؟ ولا نستبعد أن تكون تقيه وابنها قد شعرا بخطورة الموقف واحتمال صيرورة الملك الى الاباضية - وهو ما تم فعلا - وما في ذلك من تغلغل رستمي في جسم دولة بني مدرار خاصة اذا علمنا ان عبد الرحمن بن رستم كان " مؤملا أن يأتي يوم ما على أولادها

---

(1) يدعوه ابن الخطيب (أبومالك) ، انظر اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 143 .

(2) قيل ان ابن اروى كان اسمه عبد الرحمن على اسم جده لأمه ، انظر ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 268 .

(3) اختلفت المصادر في تسميتها فهي (تقية) عند البكرى : المغرب ، ص 150 وكذلك عند ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 157 ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ، ص 143 - وعند ابن خلدون نجدها (تقي) : العبر ، مج 6 ، ص 268 وبينما يرسمها السلاوى (بغي) : الاستقصا ، ج 1 ، ص 112 .

ان قدر الله بحملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلفه اليه " على حد تعبير صاحب الأزهار(1) .

ولعلّ في تسمية ميمون ابن أروى بـ(عبد الرحمن) -اذا صحت رواية ابن خلدون السابقه الذكر(2)- ما يؤكد هذا النفوذ ، اذ لم تجر العادة أن يسمّي الرجل ابنه باسم جده لأمه وانما يسميه باسم جده لأبيه تخليدا لذكراه ، وهو ما دأبت عليه أسرة بني مدرار باستثناء مدرار بن اليسع هذا . كما كانت لمدرار " صاغية الى ابن أروى فمال معه حتى غلب أخاه ." (3)

أما ردّ فعل الصفرية على هذا التصرف فكان عنيفا فقد " هاجوا وماجوا واضطربت أقوالهم ، واستعظموا الأمر خوفا من انضمام ملكهم الى ملك بني رستم ومن سيادة الاباضية عليهم في المملكتين ." (4)

ولهذا تمّ أيضا شق عصا الطاعة اذ ثار ميمون بن تقية مع أتباعه من الصفرية على والده(5) ، ولم يقنع بما آل اليه من ملك بل طرد أخاه من

---

(1) الباروني : الازهار الرياضية في ائمه وملوك الاباضية، القسم الثاني ،ص 94 .

(2) انظر ما قبل ،ص 63 ، هامش 2 .

(3) ابن خلدون : العبر ،مج 6 ،ص 269 .

(4) الباروني : المرجع السابق، القسم الثاني ،ص 95 .

(5) نفسه .

سجلماسة" (1) ، ثم طبّق آخر فصل من المؤامرة عندما خلع أباه وأخرجه الى بعض قرى سجلماسة" (2) ، واستقل بالأمر.

وتختلف المصادر فيما اذا كانت عملية الخلع قد تمت مباشرة من طرف ميمون بن أروى مثلما يذكر ابن خلدون (3) والبكري (4) أم انه "خلع له أبوه نفسه." كما يذهب اليه ابن عذاري؟ (5)

وسواء كانت عملية الخلع بفعل مباشر من طرف ميمون ابن أروى أو كانت بفعل مدرار نفسه فان الأمر في كلتا الحالتين لا ينفي وقوع مدرار تحت ضغوط جعلته يترك الحكم مجبرا لا مختارا. اما ما قيل من أن ابني مدرار "تنازعا وتداولا الأمر بينهما استبدادا على أبيهما." (6) فلا نستطيع الجزم بصحته لذ لا يعقل أن يتداول الأخوان الحكم وقد دامت الحرب بينهما ثلاث سنين كما لا يعقل أن يتآمرا على أبيهما وهو الذى مال الى ابن الرستمية.

---

(1) ابن خلدون: العبر، مج 6، ص 269.
(2) ابن الاثير (عز الدين): الكامل في التاريخ، ج 5، ص 259.
(3) العبر: مج 6، ص 269.
(4) المغرب: ، ص 150.
(5) البيان المغرب، ج 1، ص 157.
(6) السلاوى: الاستقصا، ج 1، ص 112.

وعلى كل فقد صمم الصفرية على خلع ابن الرستمية ، وتمكنوا من ذلك ، وعرضوا الحكم على ميمون بن تقية المعروف بـ(الأمير) ولكنه رفض أن يتآمر على والده[1] الذى عاد مرة أخرى الى الحكم ، لكن مدرارا تصرف تصرفا يوحى باستمرار الضغط عليه فاستدعى ابنه ميمونا بن أروى ، مما جعل الصفرية تحاصره وتخلعه وتقدم ابن تقية[2] الذى استمر أميرا عليهم الى أن توفى سنه 263 هـ/ 876 م .

شهدت سنة 263 هـ/ 876 م وفاة ميمون بن تقية فوالي الحكم بعده ابنه محمد لمدة سبع سنوات ، ونجهل ما حدث على عهده الا ما ذكره ابن خلدون انه انتحل الاباضية[3] وانه غزا بلاد القبلة كما يذكر ابن الخطيب[4] وذلك لمتابعة فلول المعارضة التي قد يكون زعيمها ميمون بن الرستمية الذى أبعد مع أبيه مدرار الى درعة عندما ثارت عليه الصفرية بسجلماسه[5]. وكانت وفاة محمد بن ميمون بن مدرار سنه 270 هـ/ 883 م .

وبنهاية عهد محمد بن ميمون يسدل الستار عن الفصل الاول من حكم بني مدرار بسجلماسة ، اذ مع تولّي أخيه اليسع تدخل الدوله مرحله النفوذ الفاطمي .

---

(1) البكرى : المغرب ، ص 150 .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 157 . ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، ج 3 ، ص 144 .

(3) العبر : مج 6 ، ص 269 .

(4) اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 144 .

(5) البكرى : المغرب ، ص 150 ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 157 ؛ ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 269 .

الزحف الشيعي على سجلماسة :

حديثنا عن هذا الدور يستوجب التطرق الى قضيه وصول عبيد الله المهدى وابنه أبي القاسم الى سجلماسة . ولجوء عبيد الله المهدى الى سجلماسة يطرح التساؤل حول ما اذا كان هذا اللجوء صدفة أم عن سابق درايـة واختيار .

اننا لا نستبعد أن يكون هذا اللجوء مبنيا على سابق دراسة ومعرفة بالمنطقه بدليل :

1 - أن الزعيم الشيعي لم يكن ليغيب عن ذهنه خطر لجوئه الى سجلماسة فلولا حنكته لما استطاع اجتياز كل المخاطر التي رافقته منذ قدومه من المشرق .

2 - موقع سجلماسة في ركن قصيّ بعيد عن نفوذ الأغالبة ولاة العباسيين (1) .

3 - تذكر المصادر أن المذهب الشيعي كان متواجدا بسجلماسة

(1) لقبال (موسى) : دور كتامة في الخلافه الفاطميه ، ص 318 ، الجزائر 1979 .

حتى قبل وصول أبي عبد الله اليها[1] .

4 - استقلال سجلماسة السياسي والمذهبي عن العباسيين وولاتهم الأغالبة[2] .

5 - وقد يكون اختيار سجلماسة بسبب ما كان بها من اضطراب سياسي وصل الى حد الاقتتال بين أمراء البيت المدرارى ، ولذلك يشتغل بالهم بحسل خلافاتهم عن مقدم عبيد الله المهدى .

أما ما ذكرته بعض الدراسات من أن المهدى اختار سجلماسة نظرا لقربها من الدولة الادريسيه التي تتقارب مع المهدى الشيعي في المذهب[3] فهي حسب - رأينا - مستبعده ، وذلك لسببين : أحدهما أن الادارسة والشيعه - بالرغم من تقاربهما المذهبي - فان الأحداث التي تلت انتصار الدعوة الشيعية ببلاد المغرب وارسال عبيد الله المهدى لمصالة بن حبوس الكتامي نحو المغرب الأقصى وتوليه موسى بن أبي العافيه على تسول وتازا ثم تمكن هذا الأخير من القضاء على دوله الأدارسة في دورها الأول عام 313 هـ/ 925م[4] ،

---

(1) اليماني (محمد بن محمد) : سيرة الحاجب جعفر، ص 119-120 .
(2) لقبال (موسى) : دور كتامه، ص 319 .
(3) مرمول (محمد الصالح) : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي ، ص 64، الجزائر 1983 .
(4) مؤنس (حسين) : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص 116، ط 1، القاهره 1980 .

كلها مؤشرات لعدم جدوى هذا التقارب المذهبي .

أما السبب الثاني فهو أن المهدى - وعلى افتراض صحة الدراسات السابقة الذكر - لماذا لم يتوجه نحو فاس مباشرة ما دامت توفر له الحماية ولا يحتاج فيها الى تنكر أو تقية مثلما فعل في سجلماسة ؟ !

وعلى كل فقد استقر عبيد الله المهدى بسجلماسة على عهد اليسع ابن المنتصر بن مدرار وكانت نجاته ومن ثمّ وصوله اليها بناء على تستره وحسن معاملته للأدلاء(1) الذين لم يعصوا له أمرا ، وقدموا له كل عون لمعرفة مجاهل الصحراء ، وتحاشي الوقوع تحت طائلة المراصد التي أقيمت له بالطرقات لمتابعته(2) .

أقام المهدى بسجلماسة في دار أبي حبشة"(3) ، وأضحى قرير العين خاصة وأن سياسة الوصال التي انتهجها مع اليسع أتت ثمارها حتى بات هذا الأخير " يوجب حقه ويعظمه ."(4) ومكث المهدى " حتى عرف بالعلم

---

(1) اليماني : سيرة الحاجب جعفر، ص 118 .
(2) المقريزى (تقي الدين) : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ص83، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال، القاهره 1948 .
(3) اليماني : المصدر السابق، ص119 .
(4) عماد الدين (ادريس) : عيون الاخبار، القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص153، تحقيق محمد اليعلاوى، بيروت 1985 .

والفـقه والقراءة ، وصار الناس يختلفون اليه ويسألونه عن حوائجهم فكانوا يجدون عنـده فوق ما يريدون ." (1)

ولسنا ندرى أكان سكوت اليسع عن المهدى وعدم فضح أمره بسبب أن هـذا الأخير كان " يواصل صاحب سجلماسة ويهدى اليه" (2) أم خوفا من تحرك الفئات الشيعية التي يبدو أنها كانت متواجدة بسجلماسـة.

وعلى اية حال فقرار المهدى بسجلماسة لم يطل اذ سرعان ما تغيرت سياسة اليسع نحوه ، هذا التغيير الذى تختلف المصادر في ذكر دوافعه فهناك من يرى انه جاء بفعل أخ اليسع الذى أخذ يوشي اليه " حتى حمله على أن يضيق عليه ." (3) بينما يرى البعض أن اليسع تلقى كتابا من زيادة الله الأغلبي " فلم يجد بدا من أن يقبض على عبيد الله وحبسه ." (4) وهناك من يذهب الى أن حبس المهدى وابنه أبي القاسم كان بايعاز من الخلافة العباسية وتنفيذ الأغالبة (5) . بل ان فريقا آخر يذهب الى أن الأمر

---

(1) ابو زكريا : سير الائمة ، ص 110 .

(2) عماد الدين (ادريس) : عيون الاخبار ، ص 153 ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص83 . والقاضي النعمان : كتاب افتتاح الدعوة ، ص 165 ، تحقيق فرحات الدشراوى ، ط 2 ، تونس 1986 ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج 6 ، ص130 .

(3) عماد الدين (ادريس) : المصدر السابق ، ص 156 .

(4) المقريزى : المصدر السابق ، ص 84 .

(5) ابن خلدون : العبر ، مج 4 ، ص 71 ، 72 .

كان بتدبير من اليهود الذين وجدوا في الزحف الشيعي تهديدا لمصالحهم ولهذا سامهم أبو عبد الله الشيعي أصناف العذاب عقب سقوط سجلماسة في يد الشيعة (1) .

وترجع الدراسات الحديثة هذا الانقلاب الى حرص اليسع على سلامة الدولة (2) لكن يستبعد أن يكون سجن المهدى من طرف اليسع استجابة لرغبة العباسيين وعمالهم الاغالبة وذلك لسببين : أولهما استقلال دولة بني مدرار وعدم تبعيتها للخلافة العباسية كما يرى البعض (3) . وحتى التبعية الاسمية عن طريق الخطبة للمعتضد لم تحدثنا عنها المصادر ، كما حدثتنا عن خطبة أبي القاسم سمكو للمنصور . ثم ان موقع سجلماسة البعيد عن الاغالبة يجعلها في مأمن من أى ضغط عليها .

أما السبب الثاني فهو أن أمر المهدى لم يكن خافيا على اليسع ولهذا لم يكن هذا الاخير بحاجة الى تنبيه من العباسيين أو الاغالبة .

وبناء على ما سبق فاننا نميل الى أن سجن اليسع للمهدى انما جاء

---

(1) انظر ماقبل : الفصل الأول ، ص 34 .

(2) اسماعيل (محمود) : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 161 .

(3) يذكر القلقشندى ان اليسع كان على طاعة المعتضد ، انظر صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 166 .

بعد تعاظم مكانته لدى السكان بعد مكوثه بين ظهرانيهم مده ثلاث سنوات ، وقد اتخذ اليسع من الدعوة الشيعية ذريعة للتخلص منه .

كان سجن المهدى أشبه ما يكون اليوم بالاقامة الجبرية للخصوم السياسيين اذ لم يصبه اليسع هو ولا ابنه القائم بأذى فقد كانا " مبجلين معظمين في منزلهما قد هيبهما الله عز وجل في عين صاحب سجلماسة وعظمهما في قلبه ." (1)

ولم تنقطع أخبار الدعوة الاسماعيلية عن المهدى "فكتب دعاته تصل اليه وأبو عبد الله يعلمه بما يهيء الله له من النصر." (2) بل حتى وهو في سجنه كانت كتب أبي عبد الله تصله عن طريق بعض ثقاته مثلما حدث عند انتصار أبي عبد الله على جيش زيادة الله الأغلبي ، فقد تقمص أحد الثقاة زى قصاب يبيع اللحم (3) .

ويقال ان اليسع نقل المهدى الى أحد بيوت أميرة من بني مدرار اسمها مريم (4) . وما لبث اليسع أن سلك في معاملته للمهدى طريق العنف

---

(1) اليماني : سيرة الحاجب جعفر، ص 122 .
(2) عماد الدين (ادريس) : عيون الأخبار، ص 153 .
(3) المقريزى : اتعاظ الحنفاء، ص 83 ؛ ابن الاثير: الكامل، ج 6، ص 130 .
(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 153 .

حين سمع بمقدم أبي عبد الله نحو سجلماسة، لتخليص المهدى وابنه القائم من سجنهما حيث سجنا في مكان ضيق يعرف بالمطبق[1] ، لكن أبا عبد الله الذى انطلق من رقادة في رمضان سنة ست وتسعين / ماى 908م ، وصل سجلماسة يوم السبت السادس من ذى الحجة 296 هـ/ 908م[2] . وتمت المواجهة بين أبي عبد الله واليسع بعد أن رفض هذا الأخير كل العروض التي اقترحها أبو عبد الله ، وضيّق على أسيره المهدى ، ولهذا أوجس أبو عبد الله خيفة مما قد يقدم عليه اليسع من أمور قد تضر بالدعوة الشيعية وزعيمها ، فجدّ في السير نحو سجلماسة لارغام أميرها على الانصياع لمطالب الداعية أبي عبد الله .

وعندما تيقن اليسع من خطورة الموقف قلّب الأمر من جميع الأوجه وتوصل الى عدة حلول منها قتل السجينين للقضاء على الحركة ، ومنها اطلاق سراحهما فردا فردا حتى يشغل بأمرهما أبا عبد الله فيتمكن هو ورجاله من الهروب .

وعلى ايه حال فقد انتهت الأمور بخروج المهدى الى أبي عبد الله ، وهنا نقع في تضارب الأقوال حول ما اذا كان الذى خرج الى أبي عبد الله هو المهدى حقا أم انه شخص آخر انتحل شخصيته خاصة وان المهدى لم يكن معروفا بهيئته عند ابي عبد الله .

---

(1) اليماني : سيرة الحاجب جعفر،ص126 . لقبال موسى : دور كتامة،ص 320 .
- والمطبق عند العروضيين بيت انتهت عروضه في وسط الكلمة وهو ايضا السجن تحت الارض . انظر البستاني (عبد الله) : البستان، ج 2، بيروت 1930 .
(2) ابن عذارى : البيان المغرب، ج 1، ص153 . (3) لقبال (موسى) : دور كتامة، ص321
(4) اليماني : المصدر السابق، ص124 . (5) نفسه : ص 125 .

وقد ذهب البعض الى أن المهدى خرج سالما الى أبي عبد الله الشيعي وذلك نتيجة لما دار بين اليسع ورجاله ، فوصول المهدى الى أصحابه يصرفهم عن أى أمر غير المقبول (1) راجعين نحو افريقية ، واذا أخذنا بهذا الرأى فاننا نستبعد ما ذهب اليه فريق آخر من أن اليسع قضى على المهدى قبل هروبه ، وعندما دخل أبوعبد الله المدينة وجد المهدى مقتولا ومعه رجل قيل انه يهودى (2) كان يقوم بخدمته . بينما يرى فريق ثالث ان اليسع قتل المهدى ثم هرب مع أهله من سجلماسه " فدخل أبو عبد الله السجن فوجده مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان اعتقل معه ، فخاف أبوعبد الله أن ينتقض عليه ما دبّره من الأمر ان عرفت البربر والعساكر بقتل صاحب الدعوة فتعاون مع الرجل، ودفنه ودمره ودثر مكانه ، وعاهد ذلك الرجل على أن يكون هو صاحب الدعوة . . . ثم أخرجه وقال هذا هو المهدى صاحب الدعوة." (3)

أما الدراسات الحديثة فانها وان كنت تستبعد أن يقدم أبو عبد الله على الاستعانة بشخص يهودى الا أنها لا تستبعد فعلة القتل في حد ذاتها ، مستدلة على ذلك بفرار اليسع الذى " لو لم يفعل . . . فعلته ، لما كان هناك

---

(1) اليماني : سيرة الحاجب جعفر ، ص 124 .

(2) ابن خلكان (شمس الدين) : وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 272 .

(3) الدواداري (أبو بكر عبد الله بن ايبك) : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج 6 (الدرة المضيه في اخبار الدولة الفاطمية) ، ص 21 ، القاهرة 1961

استفزتهم وكادت تطيش لها عقولهم ." (1)

وقد حرص عبيد الله على اقتفاء أثر اليسع الذى فرّ في جنح الظلام الى مجاهل الصحراء مع صحبه وأهل بيته (2) ، وقد أصاب المدينة" بهروبه واحتلال أبي عبد الله لها ، نهب من رجال هذا الأخير من كتامه (3) .

وفي سنه 297 هـ/ 909م تمكن عبيد الله المهدى من القاء القبض على اليسع بتآمر من قوم من البربر يعرفون ببني خالد نظير ما وعدهم به المهدى من أمان (4) . وعندما وصل اليسع الى المهدى أمر بضربه ومن معه بالسياط وقتلهم بعد ذلك باستثناء اليسع الذى سلّمه المهدى الى ابنه القائم فبقى عنده أياما بلا طعام ولا شراب حتى مات من شده الضرب (5) .

على ان القاء القبض على اليسع ومقتله ، تختلف فيهما المصادر الشيعية ذاتها ، فبينما نجد الحاجب جعفر والمقريزى يذهبان الى ما سبق نجد صاحب (عيون الأخبار) يذكر أن عساكر أبي عبد الله اقتفت أثر اليسع

---

(1) القاضي النعمان : كتاب افتتاح الدعوة ، ص 279 .
(2) اليماني : سيرة الحاجب جعفر ، ص 126 .
(3) نفسه ، ص 128 .
(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 157 .
(5) اليماني : المصدر السابق ، ص 131 . المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص 91 .

مـبرر قوى للفرار." (1) ويضيف أصحاب هذا الرأى أن سبب القتل هو ما كـتب على اليسع من " التشرد وعلى بلاده أن تسقط مـثل امامه تاهرت." (2)

ولنعد الى رواية ابن خلكان فنقول انها أبعد من أن تصدق هي ورواية الدواداري ، نظرا للاسباب التي ذكرها Memour (3) وهي :

1- معرفة أهل سجلماسة للمهدى كانت تسمح بكشف هذا الزيف .

2- وجود القائم بن المهدى لا يسمح بتنصيب بديل عن أبيه .

3- وعلى افتراض سكوت أبي عبد الله والقائم فلا نتصور سكوت أخي المهدى أبي العباس ، وأمه برقادة.

4- لو أن اليسع قتل المهدى لذكر ذلك عند فراره تشفيا .

5 - ونضيف الى ذلك ان ابن خلكان والدواداري كانا متحاملين مذهبيا ولهذا فلا مجال لتصديق روايتهما .

وأمام هذه العوامل لا يسعنا الا أن نأخذ برواية القاضي النعمان التي تذكر أن أعيان المدينة أعلموا أبا عبد الله ومن معه بمكان المهدى فدخلوا معهم اليه " فاستخرجوه واستخرجوا القائم فكانت في الناس مسرة عظيمة

---

(1) لقبال (موسى) : دور كتامه ، ص 325 .

(2) نفسه .

(3) نقلا عن اسماعيل محمود : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 300 - 301 .

" ووجدوه في بلاد السودان فأتوا به وبأصحابه أسرى الى أمير المؤمنين (صلع) وسأل القائم بأمر الله المهدى بالله عليهما السلام أن يهب له اليسع ففعل وعفا عنه، وحمل مع العساكر المنصورة، فلم يأكل ولم يشرب ولم يكلّم أحدا حتى مات." (1)

أما القاضي النعمان فيذكر أن العساكر أدركت " اليسع بن مدرار ومن هرب معه من أهل بيته فأخذوهم وأتوا بهم اليه (صلع) وأمر بضرب اليسع بن مدرار بالسوط. فضرب أربعين سوطا وطيف (كذا) به العسكر في مدينة سجلماسة واستصفى أمواله وأموال من أعان عليه وهرب معه من أهل بيته، وقتله بعد ذلك." (2)

وهكذا نلاحظ اختلاف المصادر الشيعية في تحميل المهدى تبعة موت اليسع. وتتفق بعض المصادر السنية مع نصوص الشيعة الى حد بعيد في اتهام المهدى بقتل اليسع أو على الأقل في تبرير وفاة اليسع بالمرض (3)، نتيجة الضرب المبرح أو الاضراب عن الطعام.

أما المصادر الأخرى فانها تبرئ ساحة المهدى وتحمل الرعية في سجلماسة مسؤولية القتل " لحقد كانوا يجدونه له" (4) والذى قد يكون

---

(1) عماد الدين (ادريس): عيون الاخبار، ص 112.

(2) كتاب افتتاح الدعوة، ص 281.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 156.

(4) لمؤلف مجهول: الاستبصار، ص 204.

بسبب ما آل اليه أمر اليسع من ضعف أدّى به الى الفرار .

ونستنتج مما سبق من أحداث في سجلماسة منذ وصول المهدى اليها :

1 - أن دولة بني مدرار على عهد اليسع كانت خائرة القوى سواء من حيث القوه العسكريه أو من حيث العلاقة بين أمراء بني مدرار والرعية . فمن الناحيه العسكرية لم يجد أبو عبد الله الشيعي أيه صعوبة في دك أسوار سجلماسة ، اذ لم تدم الحرب سوى يومي السادس والسابع من ذى الحجة سنه 296 هـ/ 908 م . ومن ناحيه العلاقة بين اليسع ورعيته فانها كانت أوهن من بيت العنكبوت اذ لم تحدثنا المصادر عن أية جهود بذلت من طرف السكان للذود عن أميرهم .

2 - أصبحت سجلماسة بعد الانتصار الذى حققه الشيعة تحت النفوذ الفاطمي ، وتم تعيين ابراهيم بن غالب المزاتي [1] من رجال كتامة عاملا عليها .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 206 ؛ ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 269 .

رابعا : الدور الفاطمي :

يبتدئ هذا الدور مع هروب اليسع بن مدرار وخروج المهدى من سجنه ، وتعيينه لابراهيم بن غالب المزاتي عاملا على سجلماسة مدعما اياه بحامية عسكرية عند رحيله عنها صوب رقادة .

غير أن الأحداث التي أعقبت رحيل المهدى كانت على غير ما توقع اذ سرعان ما ثار سكان سجلماسة على عامله الذى ذهب ضحية لهذه الثورة عندما قتله أهل سجلماسة بعد أن أقام بها خمسين يوما [1] .

وترجع عوامل هذه الثورة - حسب ما نعتقد - الى :

1 - عدم تقبل صفرية سجلماسه المنفوذ (الأجنبي) ، بعدما ألفوا حياة الاستقلال طيلة قرن ونصف من الزمن تقريبا ، خاصة وأن هذا (الأجنبي) يتمثل في الفاطميين الشيعة المغايرين لهم مذهبا وسياسة .

2 - السياسة التي اتبعها الفاطميون تجاه السكان ، فقد استولى المهدى على " أموال الأحباس والحصون " [2] وصار يعامل أهل سجلماسة ب " الجور

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 206 ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 145 ؛ ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 269 .

(2) ابن مقديش (سعيد) : نزهة الانظار . نقلا عن اسماعيل محمود : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 165 .

الشامل والتحلل (كذا) على أموال الناس في كل جهة ". (1) كما عامل اليسع بمصادرة " أمواله وأموال من أعان عليه وهرب معه من أهل بيته . (2)

3 ـ كان المهدى متشددا في أداء المغارم ، لكن هذه الأخيرة كانت قابلة للتخفيف أو الالغاء اذا ما وجد المغرّم واسطة مسموعة الكلمة عند المهدى (3) .

4 ـ تعصب المهدى للمذهب الشيعي الاسماعيلي ، مما ألّب عليه السكان لا في سجلماسة وحدها ، بل في جميع أنحاء المغرب الاسلامي ، بل ان المهدى أجاز للمغالين من الدعاة في تأليه الامام أن يقولوا فيه أشعارا في تقديسه (4) .

كما أدخل عبيد الله المهدى تعديلات على الشعائر الدينية زيادة

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 182 .
(2) القاضي النعمان : كتاب افتتاح الدعوة ، ص 281 .
(3) الخشني : طبقات علماء افريقية ، ص 168 ـ 169 .
(4) من ذلك ما رواه ابن عذارى من شعر لمحمد بن البديل حيث يقول ، قاصدا عبيد الله المهدى :

حلّ برقادة المسيح   حل بها آدم ونوح
حلّ بها الله ذو المعالي   وكل شيء سواه ريح

انظر البيان المغرب ، ج 1 ، ص 159 .

ونقصا ، ولهذا ردّ عليه بعض سكان القيروان ببيتين من الشعر فيهما تحدّ لادعائه بعلم الغيب جاء فيهما :

الجور قد رضينـــا لا الجهل والحماقـــة

يا مدّعي الغيـــوب من صاحب البطاقـــة (1)

4 - سياسة الفاطميين تجاه القبائل البربرية التي قربوا بعضها علـى حساب البعض الآخر ، فقد حابوا كتامة وصنهاجة دون مكناسة ، مما أدى الى تطاحن القبائل (2) .

5 - لا يستبعد أن يكون لفئة اليهود ضلع في هذه الثورة نظرا لما أصابهم من تنكيل من طرف أبي عبد الله والمهدي عبيد الله .

أما عن العوامل التي ساعدت على هذه الثورة فهي :

1 - انشغال المهدي بأمور أخرى يأتي في مقدمتها خلافه مع أبي عبد الله الشيعي التي كانت نتيجتها أن قتل ابو عبد الله وأخوه العباس على يد عروبه بن يوسف الملوسي وبأمر من عبيد الله المهدي .

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج 1 ، ص 160 .

(2) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي ، ص 219 ، تونس 1978 .

2 ـ ضعف مكانة الفاطميين في مناطق المغرب الأقصى نتيجة الصراع الذى كان قائما بينهم وبين عبد الرحمن الناصر الأموى ، فقد دخل الطرفان في نزاع استمال فيه كل منهما فئة من القبائل البربرية .

3 ـ كما ان سفر المهدى نحو رقادة ، ترك فراغا سياسيا ، عجز الوالي الجديد أن يسده خاصة وأن حاميته كان يسودها الشغب وعددها قليل وهي في وسط معاد .

4 ـ موقع سجلماسة الذى لا يسمح بوصول النجدات بسرعة الى الحامية .

وكان من نتائج هذه الثورة أن عادت مقاليد أمور سجلماسة الى بني مدرار ، اذ بايع سكانها الفتح بن ميمون الأمير (1) ، وذلك في ربيع الأول سنه 298 هـ/ 910 م (2) .

ولا نعرف عن الفتح سوى انه استقام أمره (3) وكان اباضيا (4) ، وربما

---

(1) يدعوه البكرى (واسول) ، المغرب ، ص 150 ، وكذلك ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 270 ؛ بينما يدعوه ابن عذارى ابو الفتوح بن الأمين .

(2) البكرى : المغرب ، ص 150 .

(3) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 146 .

(4) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 270 ؛ البارونى : الازهار ، قسم 2 ، ص 95 ؛ السلاوى : الاستقصا ، ج 1 ، ص 113 .

اعتنق المذهب الاباضي بهدف كسب ود الاباضية لا سيما وأن دولتهم آل أمرها الى الزوال على يد الفاطميين سنه 297 هـ/ 909 م ، وربما كان ذلك بعامل الحنين الى سياسة أبيه ميمون وجده مدرار مع الاباضية خاصة وأن أمه أروى سليلة البيت الرستمي الاباضي . وعلى العموم فقد حكم سنتين وستة أشهر الا أياما (1) ، وتوفي في رجب سنه 300 هـ/ 912 م (2) .

ولعلّ طول فتره الحكم التي قضاها الفتح ثم أخوه أحمد الذى تربّع على عرش الامارة بعده لمدة تسع سنوات ، حتى هاجم مصالة بن حبوس سجلماسة في المحرم من سنه 309 هـ/ 921 م ، مردّه الى العوامل التالية :

1 ـ الخلاف الذى نشب بين عبيد الله المهدى وأبي عبد الله الشيعي ، وما صاحب ذلك من انقسام كتامة بين مؤيد للمهدى وآخر لابي عبد الله وأخيه أبي العباس (3) وكان مقتلهما في ضحى يوم النصف من جمادى الثانية سنه 298 هـ/ 910 م .

2 ـ انشغال المهدى بغزو مصر التي أرسل اليها ابنه القائم في

---

(1) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 146 .

(2) البكري : المغرب ، ص 150 . ابن الخطيب : المصدر السابق .

(3) انظر قصة مقتلهما في افتتاح الدعوة من ص 306 الى ص 316 .

حمـلتين ، احداهما سنه 301 هـ/ 913م (1) ، والثانيه سنه 306 هـ/ 918م (2).

3 ـ الثورات التي قامـت ضد عـبيد الله في كل من تيهرت وطرابلـس وصقليه ، زياده على ما جرّ عليه مقتل حباسة بن يوسف أخي عروبه (الذى نفذ حكم الاعدام في أبي عـبيد الله) من سخط هذا الأخير (3).

4ـ الصراع الذى كان قائما بين عـبيد الله ويحيى بن ادريس والذى حسم في الأخير لصالح الفاطمـيين عندما تمكن مصاله بن حبوس من الاستيلاء على فاس .

5 ـ انشغال الفاطمـيين بمحاربه سعيد بن صالح أمير (نكور) سنـة 305 هـ/ 917م .

غير ان عـبيد الله سرعان ما أمر واليه على تيهرت مصاله بن حبوس بالتوجه نحو سجلماسه وكانت سياسه هذا الأخير تحمل طابعي الترغيب والترهيب ، ذلك أنه بعد أن اقتحـم المدينه عـنوه ، وقتل أميرها أحمـد

---

(1) بكر بن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص 32 . عماد الدين (ادريس) : عـيون الاخبار ، ص 194 . وفيها ان غزو مـصر الاول كان سنه 302 هـ/ 914م .

(2) بكر بن حماد : المصدر السابق .

(3) حسن (ابراهيم حسن) : تاريخ الدوله الفاطميه في المغرب ومصر وسوريه وبلاد العرب ، ص 85 ، ط 3 ، مصر 1969 .

ابن ميمون[1]، اتبع سياسة الملاينة مع السكان مستفيدا من أخطاء سلفه ابراهيم ابن غالب المزاتي ، وطمعا في كسب ود بني مدرار ، واتقاء لثوراتهم[2]، فعيّن أحد أفراد البيت المدراري على رأس المدينة وهو المعتز بن محمد بن سارو ابن مدرار[3]، الذي استمرت ولايته من قبل الفاطميين ما يقارب الاثنتي عشرة سنة، أي من سنة 309 هـ/ 921م[4] الى سنة 321 هـ/ 933م .

واعترافا بخدماته عين الفاطميون ابنه محمد الملقّب بأبي المنتصر خلفا له ودام حكمه عشر سنوات[5] وتوفي سنة 331 هـ/ 942م[6] .

---

(1) البكري: المغرب ، ص 150-151 - ويذكر ابن الخطيب انه بعث برأسه الى عبيد الله الشيعي وذلك في المحرم سنة تسع وثلاثمائة هـ/ 921م . انظر اعمال الاعلام ، ج 3، ص 146 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3، ص 146 .

(3) البكري : المغرب ، ص 151 ، ويسميه ابن خلدون " ابن بسادر" : العبر ، مج 6، ص 270 ، ويدعوه القلقشندي " المعتز بن محمد بن يادن" : صبح الاعشى ، ج 5، ص 166 .

(4) البكري : المغرب ، ص 151 .

(5) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 147 .

(6) البكري : المصدر السابق ، ص 151 .

ومن أهم علامات الضعف في هذه الفترة أن خلف أبا المنتصر محمد ابنه المنتصر وهو في الثالثة عشر من العمر (1) . فكانت جدته وصية عليه ، ولم تستطع هذه أن تلبث طويلا في الحكم من حينيدها اذ ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بعد شهرين (2) محاولا استئصال جذور الوهن الذى أصاب بني مدرار ، واحياء مجد الدولة من جديد فنجح في ذلك الى شوط بعيد .وهو ما نراه في الدور الأخير.

دور الانبعاث :

ان حالة الضعف التي آلت اليها دولة بني مدرار ، وتحوّل بعض امرائها الى صنائع للفاطميين لم يرض بعض أفراد الاسرة الحاكمة ومنهم محمد بن الفتح ابن ميمون الامير الذى تحرك لانقاذ ما يمكن انقاذه مدفوعا بعدة عوامل مساعدة منها :

1 ـ ان ابن أخيه المنتصر سمكو كان ضعيفا لا يقوى ، لصغر سنه ، على ادارة دواليب الحكم ، مما جعل جدته تتولى هذا الأمر كوصية على العرش .

---

(1) أدرجه ابن الخطيب في قائمة من بويع قبل الاحتلام : انظر اعمال الاعلام ، ج 3 ص 147 .

(2) البكرى : المغرب ، ص 151 .

2 ـ زوال حكم عبيد الله المهدى ، وقد خلفه ابنه أبو القاسم محمد القائم بأمر الله ، وقد ترك المهدى الدولة الفاطمية وهي غارقة في الفوضى ، الأمر الذى جعل ابنه القائم يكتم أمر وفاته التي قيل أنها تمت على يد رجل بربرى يدعى غلبون الصنهاجي (1) .

3 ـ انشغال القائم بالفتن والثورات الجديدة أو المستجدة وعلى رأسها ثوره أبي يزيد مخلد بن كيداد التي دوّخ بها افريقية " وخرّب مدنها وقتل من أهلها ما لا ينحصر حتى فرّ امامه أبو القاسم من رقادة الى المهدية ". (2)

لم تكن ثورة محمد بن الفتح مجرّد استبدال ولاء بولاء عندما أخذ بمذهب أهل السنة ، ورفض المذهب الخارجي ونادى بالدعاء لبني العباس (3) ولا نستغرب ذلك للأسباب التالية :

1 ـ أن محمدا بن الفتح لم يكن مبتدعا في الخروج عن المذهب الصفرى ، فقد سبقه الى ذلك أسلافه ، ومن هنا فأمر اعتناقه للمذهب السني

---

(1) بكر بن حماد : اخبار ملوك بني عبيد ، ص 28 ، وفي ص 26 يذكر أن وفاته كانت " من دواء سقاه اياه ابن الجزار . "

(2) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 216 ؛ المجدوب (عبد العزيز) : الصراع المذهبي بافريقية الى قيام الدولة الزيرية ، ص 198 ، ط 2 ، تونس 1985 .

(3) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 270 .

لا يثير الاستغراب .

2 ـ باعتناقه للمذهب السني يستطيع محمد بن الفتح كسب العديد من الأنصار .

3 ـ أن ولاءه للعباسيين من خلال الدعاء لهم من على المنابر لم يكن سوى محاولة لاضفاء الشرعية على حكمه ولهذا " دعا لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس ." (1)

حتى اذا ثبّت دعائم ملكه خلع على نفسه لقب أمير المؤمنين وتسمّى بالشاكر لله .

ونستبعد أن يكون دعاء محمد بن الفتح للعباسيين من باب الاحتماء بهم ، نظرا لبعد عاصمة الخلافة عن سجلماسة ، كما ان العباسيين في هذه الفتره دخلت دولتهم مرحلة الضعف ، ولو كان محمد بن الفتح ينشد الحماية والموازرة لطلبهما ممن هو أقوى وأقرب مسافة ، ويناصب العداء لهم وللفاطميين ، ونقصد به أمويي الأندلس (2) .

شهدت سجلماسة على عهد محمد بن الفتح ـ منذ توليه الحكم سنة 332 هـ/ 943م ، تحوّلا عميقا سواء في الميدان السياسي او الاقتصادي .

فسياسيا تراوحت اصلاحاته بين الاجراءات الطفيفة التي لم يحرمها

---

(1) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 167 .
(2) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص168 .

الفاطميون أدنى اهتمام ، و بين تغييرات جذرية مست وجودهم في سجلماسة مما أثار حفيظتهم . ومن قبيل ذلك :

1 - حسن سيرته ومعاملته للرعيه انه " كان في غايه اظهار العدل ." (1)

وبذلك قضى على مظاهر الاستبداد الذى مارسه أسلافه ممن ولاهم الفاطميون أمر سجلماسة .

2 - بعد أن وطد دعائم الملك وكسب الى صفه الأنصار من صفرية وسنة اتخذ أخطر قرار ضد الفاطميين ، فأعلن نفسه أمير المؤمنين سنه 336 هـ / 947 م (2) ، وتلقب بالشاكر لله .

3 - تمادى الشاكر لله في سلسلة الاصلاحات والتمرد على الفاطميين حينما ضرب السكة باسمه وسماها الشاكرية (3) ، كرمز للاستقلال السياسي والمالي .

4 - اعتنق المذهب السني حتى يقف - على ما نعتقد - موقفا محايدا من

---

(1) ابن حزم (علي الظاهرى) : نقط العروس في تواريخ الخلفاء - روايه الحميدى - نشره شوقي ضيف في مجلة كليه الآداب ، جامعه فؤاد الاول (القاهره) ، مج 13 ، ج 2 ، ص 76 ، ديسمبر 1951 .

(2) يرى صالح بن قربه ان الشاكر لله أعلن نفسه أميرا للمؤمنين سنه 336 هـ بدلا من 342 هـ ، كما هو شائع لدى المؤرخين . انظر : المسكوكات المغربية ، ص 406 ، الجزائر 1986 .

(3) ابن حزم : المصدر السابق ، ص 76 .

من الصفرية والاباضية.

5 - أضفى صبغة (الشرعية) على حكمه بالتمويه بالدعوة الى العباسيين.

ومن العوامل التي سمحت له بأن يتخذ هذه القرارات أنه لم يكن الوحيد على مستوى العالم الاسلامي آنئذ، فقد سبقه عبيد الله المهدى فتلقب بـ(أمير المؤمنين) وكذلك فعل الناصر بالأندلس.

واستمر حكم الشاكر لله بسجلماسة من سنه 336 هـ/ 947م الى 347 هـ/ 958م.

وعندما تولّى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية سنه 341 هـ/ 952م، عزم على القضاء على الشاكر لله في سجلماسة، واحمد بن بكر صاحب فاس.

وقد سلك جوهر الكاتب حين كلّفه المعز بغزو سجلماسة نفس مسلك أبي عبد الله الشيعي، فطلب من السكان تسليم الشاكر مقابل تأمينهم والعفو عنهم (1)، لكن الشاكر كان قد خرج من سجلماسة في ظل الحصار الذى دام ثلاثة أشهر، ونزل بأحد الحصون المنيعة يعرف بحصن " تاسجدلت على اثني عشر ميلا من سجلماسة." (2) وكان مصحوبا عند فراره " بأهله وماله وولده." (3)

---

(1) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص 389.
(2) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ج 3، ص 148.
(3) البكري: المغرب، ص 151.

لكن قوما من مصطفره غدروا به فقبض عليه جوهر واقتيد أسيرا في قفص من الخشب[1] نحو القيروان . وانتهى الأمر بالتشهير بالشاكر لله في المهدية[2] .

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ،ج 3،ص 148 .

(2) ابن خلدون : العبر،ج 6 ،ص 271 . ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج 3 ،ص 148 . بينما يرى السلاوى انه حمل الى المهديه: الاستقصا ،ج 1 ، ص 114 .

الفصـــل الثـالـــث

العلاقات الخارجية لدولة بني مدرار

الصفريه في بلاد المغرب قبل تأسيس دوله بني مدرار:

بعد محنة الخوارج الصفرية في المشرق على اثر مقتل زعيمهم شبيب بن يزيد الشيباني (1) في احدى معاركه مع جيش الحجاج بن يوسف سنه 77 هـ/ 696 م تلاشت جهودهم ، وكان عليهم أن يعيشوا مرحلة انزواء وتوقف عن النشاط لفترة تقارب القرن من الزمن (2) ، قبل أن يشدوا الرحال نحو بلاد المغرب حيث الأرضية الخصبة التي تسمح لهم بممارسة نشاطهم ، فالأرض المغربية واسعة الأرجاء ، والسكان لا يزالون على بساطتهم الدينية التي لم تشبها رائحة الاختلافات والصراعات المذهبية ، كما أن سخط هؤلاء بلغ ذروته من جراء تصرف بعض ولاة الأمويين .

ولعل من أهم العوامل التي أعانت الخوارج على نشر مذهبهم المرابطة على الثغور كالاسكندرية وطنجة ، وكذلك تنكرهم في زى التجار وطالبي العلم (3) ،

---

(1) شبيب بن يزيد الشيباني : أحد كبار الثائرين على بني أمية من الخوارج ، انظر تفاصيل معاركه مع الحجاج بن يوسف عند المسعودى (أبو الحسن علي) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 3 ، ص 139 ، بيروت ، بدون تاريخ . الطبرى (أبو جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، ج 7 ، ص 219 ، بريل 1964 . اليعقوبي (ابن واضح) : تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 328 ، ط 1883 . نايف (معروف) : الخوارج في العصر الاموى ، ص 164 ، ط 2 ، بيروت 1981 .

(2) بيضون (ابراهيم) : ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجرى ، ص 240 ، بيروت 1979 .

(3) لقبال (موسى) : المغرب الاسلامي ، ص 153 .

كما لا ينبغي اهمال دور الدعاة في نشر الفكر الخارجي ، ويتصدر هؤلاء الدعاة من الاباضيـة (سلمة بن سعد) ومن الصفرية (عكرمة مولى بن عباس) [1] . وهذا الأخير يبدو أنه استطاع أن يكوّن بالقيروان جماعة صفرية من البربر.

والجدير بالذكر أن بعض عمال الأمويين على بلاد المغرب أساءوا معاملة السكان. فقد قدم يزيد بن أبي مسلم [2] الى المغرب سنه 102 هـ/ 720م ، وكان على درجة كبيرة من الاستبداد وصلت به الى حد التفكير في وشم أسماء حرسه من البربر على أيديهم [3] ، ليمكن تمييزهم حتى أنهم اتفقوا على قتله

---

(1) يقول الدرجيني في ذلك : " حدّثنا غير واحد من أصحابنا عن الامام أفلح عن ابنه عبد الوهاب عن جده عبد الرحمن بن رستم أنه قال : أول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقية سلامة بن سعيد قال : قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى بن العباس متعقبين على بعير ، فسلامة يدعو الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية". انظر: طبقات المشايخ ، ج 1 ، ص11 . المالكي (ابو بكر عبد الله) : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 92 ، مصر1951 .

(2) هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان كاتبا لدى الحجاج ، ووضعه الوليد بن عبد الملك على خراج العراق سنه95هـ/ 713م . وولي افريقية سنه101هـ/ 719 . اتهم بأنه قاتل موسى بن نصير ، فقتله بشر بن صفوان وبعث برأسه الى يزيد بن عبد الملك فنصبت في الشام . انظر ابن الاثير: الكامل ، مج 4 ، ص 182 . الزركلي (خير الدين): الاعلام ، مج 8 ، ص 182 ، بيروت 1986 .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 48 .

ونفذوا فيه حكمهم بعد صلاه المغرب وهو خارج من المسجد (1) .

أما عبيد الله بن الحبحاب (2) ، فكان ينظر الى البربر نظرته الى أهل الذمة اذ اشتط في جمع الجزية بدل الزكاة ، ولم يساو بين البربر وغيرهم في توزيع الفيء ، ولم يترك رجاله قبيلة بالمغرب الا ودخلوها وأصابوا فيها من السبي أمرا عظيما (3) فكان فعلهم هذا سببا في وقوع الفتن (4) .

كما كان عبيد الله بن الحبحاب يتخير من الحسان ما يجلب به ود الأمويين . وأمام أنفة البربر ما كان منهم الا أن بثوا شكواهم الى الخليفة

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 48 . ابن الاثير : الكامل ، مج 4 ، ص 222 .

(2) هو عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي ، ولي مصر ثم عينه هشام بن عبد الملك على افريقية سنة 117 هـ / 735 م ، قاد الفاتحين نحو صقلية والسوس ، وبلاد السودان . من اعماله انشاؤه دار الصناعة بتونس لبناء السفن . عزله هشام سنه 132 هـ / 749 م . انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 51 . البكرى : المغرب ، ص 37 . السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص 28 وما يليها ، بيروت 1969 ؛ الزركلي : الاعلام ، ج 4 ، ص 192 .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 51 ، 52 ؛ ابن الاثير : الكامل ، مج 4 ، ص 222 .

(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 51 ، 52 .

الأموي هشام بن عبد الملك عن طريق ميسرة المطغري (1) ، الذي فشلت مساعيه في الوصول الى مجلس الخليفة .

موقعة الأشراف :

وبسبب ما ذكرنا فان البربر سرعان ما أعلنوا الثورة بقيادة ميسرة سنه107هـ/ 725م ، الذي وصلت انتصاراته الى حد قتل عمر بن عبد الله المرادي في طنجة (2) ، وتعيين عبد الأعلى بن جريج عليها ، والزحف الى اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب في السوس (3) وقتله . وأمام انتصارات ميسرة استنفر عبيد الله بن الحبحاب قوات حبيب بن أبي عبيدة التي كانت بصقلية ، فنزلت قرب نهر الشلف منعا لبربر المغرب الأوسط من الانضمام اليه ، وتم اللقاء بين الجيشين بالقرب من طنجة مما أدى الى انسحاب ميسرة ، وهو ما جعل

---

(1) تختلف المصادر في أصله عربي أم بربري ، والراجح انه بربري من مطغرة . يسميه أنصاره بالخفير اى الحارس للمذهب والحامي له ، ومما يؤكد ذلك قول ابن خلدون انه " مقدم الصفرية " : العبر ، مج 6 ، ص 428 . اما اعداؤه فيلقبونه بالحقير او الفقير . انظر السلاوي : الاستقصا ، ج 1 ، ص 97 .

(2) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) : فتوح مصر وأخبارها ، ص217 . ومابعدها ، ليدن 1930 .

(3) السوس: بضم أوله وسكون ثانيه ، بلد بالمغرب سماها الروم قمونية ، تنقسم الى سوس ادنى عاصمته طنجة ، وسوس أقصى عاصمته طرقا ، وبينهما مسيرة شهرين . انظر ياقوت: معجم البلدان ، مج 3 ، ص 189 .

أصحـــابه يتهمونه بالتولّي (1) ، ولجأ خالد بن حميد - خليفة ميسرة - الى تقسيم الجيش الى قسمين أحدهما لمواجهة جيش خالد بن حبيب ، والثانـــي لاعاقة تقدم جيش حبيب بن أبي عـــبيدة الرابض على نهر الشلف ، ومنع خالـد ابن حبيب من الهرب .

وكانت النتيجة أن " انهزم العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها ، فسميت الغزوة غزوة الأشراف . . . وبلغ ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك فقال : والله لأغضبن لهم غـضبة عربية ولأبعثن لهم جـيشا أوله عندهم وآخره عندي ." (2)

وبالفعل فقد أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك كلثوما بن عـياض القشيري في جيش وجعله على ولاية افريقية . ويذكر ابن عذارى أن الجيش وصل تعـداده ثلاثين ألفا (3) زيادة على جند افريقية . وبعامل التفاخر بين القيسية واليمـنية الذي يقابله تحمّس الصفرية انهزم جيش كلـــثوم وحبيب بن أبي عبيدة وسليمان ابن أبي المهاجر ، وقتل هؤلاء الثلاثة مع وجوه من العرب (4) في لقاء وادي سبو سنه 123 هـ/ 741م .

وبعد هذه الموقعه تمكنت الصفريه من بسط نفوذها على المغرب الأقصى ،

---

(1) هذا مجرد تفسير لعامل تنحيته ذلك ان المصادر لا تذكر سببا معينا سوى أن البربر انكروا عليه تغيره عما كانوا بايعوه عليه فقتلوه، مثلما يرى ابن عبد الحكم .انظر فتوح مصر واخبارها ،ص217 . ابن عذارى : البيان المغرب ،ج 1،ص 53 .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب ،ج 1،ص54 .

(3) البيان المغرب،ج 1،ص55 .

(4) نفسه،ج 1،ص 55 .

محاولة بعدها التوسع صوب المغرب الأوسط فالقيروان مقر الولاية.

موقعة الأصنام[1]:

حدثت موقعة الأصنام سنه 125 هـ/ 742 م، وتزعم أمرها عكّاشة بن أيوب النفزاوي وعبد الواحد بن يزيد الهواري، اللذان اغتنما فرصة انشغال كلثوم بمواجهة صفرية المغرب الأقصى، فاستوليا على قابس، وكان الرجلان قد وضعا خطه مفادها أن يسلكا طريقين مختلفين ايطبقا على المدينة، فسلك عكاشة طريق مجانة[2]، وسلك عبد الواحد طرقا جبلية وعرة، وكان في مقدمة جيشه أبو قرة المغيلي، وانتهى زحف عكاشة مع قوات حنظلة بن صفوان الذي تولّى الأمر بعد مقتل كلثوم بهزيمة عكاشة وأسره ثم مقتله على يد حنظلة. اما قوات عبد الواحد الهواري فانها تمكنت من الوصول الى الأصنام. وما كان من حنظلة الا أن عبأ كل السكان لمواجهة الموقف بتوزيع السلاح والأموال واثارة الحماس الديني، وانتهى لقاء الأصنام بهزيمة عبد الواحد " وقيل انه ما علم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها ...

---

(1) المقصود بها هنا الاصنام القريبة من القيروان.
(2) انظر وصفها عند البكري: المغرب، ص 145؛ الادريسي: نزهة المشتاق (القاره الافريقيه وجزيرة الاندلس)، ص 194.

فكانت (كذا) القتلى مائة ألف و ثمانين ألفا .» [1]

وقد كلّفت موقعة الأصنام الصفرية ترك افريقية ، فتوجه بعضهم مثل طريف الى تامسنا [2] حيث قبيلة برغواطة ، فدعا لنفسه و بايعته برغواطة ثم بايعت ابنه صالحا بعد موته فادّعى انه صالح المؤمنين المذكور في القرآن وأنه يوحى اليه [3] .

أما الفريق الثاني من الصفرية فتوجه نحو الصحراء عاملا على نشر المذهب بين بربر نفزاوة .

بينما تمكن الثالث بقيادة عاصم بن جميل من السيطرة على القيروان وطرد واليها حبيب بن عبد الرحمن الفهرى منها [4] .

العلاقات المدرارية الرستمية :

بالرغم من أن الروايات التاريخية تذكر أن المذهبين الصفرى والاباضي وصلا معا الى بلاد المغرب فانه يبدو أن الصفرية - بعد أن دانت لهم افريقية والمغربان الأوسط والأقصى - راحوا يشكلون خطرا على المغرب الأدنى حيث الغلبة فيه للمذهب الاباضي ، ومن هنا يأتي قيام أبي الخطاب عبد الأعلى بن

---

(1) ابن عذارى : البيان ، ج 1 ، ص 59 ، وفيها يضيف أن حنظلة أراد احصاء القتلى فلم يستطع " فأمر بقصب فطرح قصبة على كل قتيل ثم جمعت القصب وعدّت ."

(2) يرسمها البكري تامسنى ، ويقول عنها انها بلد برغواطة : انظر المغرب ، ص 87 .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 224 وما يليها .

(4) باجية (صالح) : الاباضية بالجريد ، ص 33 ، تونس 1976 .

السمح المعافري بالاستيلاء على القيروان . فبعد أن بايعه أنصاره توجه بجيشه نحو قابس فحاصرها حتى سقطت[1] ، وعيّن عليها عاملا من قبله[2] ، ثم توجه نحو القيروان . ولم تفلح جهود عبد الملك بن أبي الجعد عامل عاصم بن جميل الصفري على القيروان للحيلولة دون وصول الاباضية ، مما جعله يخرج بنفسه على رأس الصفرية ، فالتقى بأبي الخطاب خارج القيروان ، ودارت بينهما معركة مالت فيها كفة الميزان لصالح أبي الخطاب الذي دخل القيروان سنة 141 هـ/ 758 م .

لكن هزيمة الصفرية أمام جيش أبي الخطاب ومقتل عبد الملك بن أبي الجعد لم يفتّا من عضدهم ، اذ انتقل مركز ثقلهم مرة أخرى الى المغرب الأوسط حيث تمكن أبو قرة المغيلي من تأسيس امارة مستقلة بتلمسان .

أما مركز ثقلها الأكبر فقد ظهر في سجلماسة حيث أنشأ الصفرية دولة بني مدرار على يد أبي القاسم سمكو بن واسول عام 140 هـ/ 757 م .

لكن العلاقات الصفرية الاباضية التي تعكّر جوها باستيلاء أبي الخطاب

---

(1) انظر تفاصيل ذلك عند ابي زكريا في سير الائمة ، ص 37 وما بعدها ؛ محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 58 .

(2) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 58 .

عبد الاعلى بن السفح المعافري على القيروان ، سرعان ما عاد اليها جو الوئام خاصة عندما اصطدم الطرفان بعدو واحد ممثل في ولاة القيروان من قبل الخلافة العباسية وهم الأغالبة.

وقد بلغت العلاقات بين دولتي بني مدرار بسجلماسة وبني رستم بتيهرت ذروتها على عهد اليسع بن أبي القاسم المعروف بـ(أبي منصور) (194 هـ/198هـ 809-813م) ، وعبد الرحمن بن رستم . فقد اتسمت العلاقات بين البادين بالمودة ، ذلك أن اليسع " أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى فأنكحه اياها ." (1)

وكان لهذه المصاهرة أبعاد ونتائج . فمن حيث الأبعاد لا يستبعد أن تكون لكلا الطرفين مصلحة فيها ، فعبد الرحمن بن رستم كان يرمي الى توثيق " علائق (كذا) الوداد بين المملكتين ." (2) كما يمكن أن يكون الغرض منها تأمين جنب الدولة الرستمية من الخطر الذي أصبح يشكله اليسع والذي كان في مرحلة توسيع الدولة ، ولهذا لم يتوان عبد الرحمن بن رستم في اجابة اليسع الى طلبه حتى " لا يطرقه منهم طارق سوء ولا يأتيه من قبلهم ما يكسر راحته ، أو يوجب له قلقا أو خللا في داخليته ." (3)

---

(1) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 268 .
(2) الباروني : الازهار الرياضية ، القسم الثاني ، ص 94 .
(3) نفسه .

أما ثالث أبعاد هذه المصاهرة فهو محاولة جر دولة بني مدرار الى تحالف وطيد يكفي الدولتين شر الأغالبة صنائع العباسيين ، مثلما وقع عندما تحالفت الصفرية والاباضية أثناء خوض عبد الرحمن بن رستم غمار الحرب ضد عمر بن حفص المهلبي ، وذلك بسبب خروج الصفرية على الأغلب بن سالم جد الأغالبة ، ومبايعتهم أبا قرة بن وناس اليفرني (صاحب تلمسان) ، مما جعل الأغلب يزحف نحو تلمسان . وكانت نتيجة ذلك أن قتل بسهم (1) ، فعوضه الخليفة العباسي المنصور بعمر بن حفص سنة 154 هـ/ 770 م ، لكن اباضية طرابلس اغتنموا فرصة/ خروج عمر بن حفص المهلبي من القيروان قاصدا طبنة (2) فولوا عليهم أبا قرة حاتم يعقوب بن لبيب المغيلي بعد امامهم عمر " وقدر هؤلاء القوم أن معركتهم التي سيخوضونها ستكون معركة فاصلة ، لهذا ضموا اليهم الصفرية وكونوا منهم جيوشا حافلة تضم اثنى عشر عسكرا . " (3) و " كان منهم أبو قرة في أربعين الفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في ستة آلاف من الاباضية والمسور بن هانئ في عشرة آلاف كذلك ، وجرير بن مسعود فيمن تبعه

---

(1) ابن تاويت (محمد التيطاوني) : دولة الرستميين أصحاب تاهرت ، صحيفه معهد الدراسات الاسلاميه من مدريد ، مج 5 ، عدد 1 ، 2 ، لسنة 1977 .

(2) بلدة في طرف افريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 515 . وانظر مقال موسى لقبال : طبنة بين ماض حافل عريق وحاضر متواضع غريب ، المجاهد الثقافي ، ماى 1968 .

(3) محمد بن تاويت : دولة الرستميين ، أصحاب تاهرت ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، سبق ذكره ، ص 111 .

من مديونة ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين منهم من الصفرية." (1)

كما لا ينبغي أن نغفل من حسابنا عامل وجود سجلماسة كنقطة انطلاق حقيقية لعدد كبير من القوافل عبر الصحراء الى بلاد السودان." (2)

ولعل هذه العوامل هي التي جعلت عبد الرحمن بن رستم - على غير عادته - لا يأبه لرأى المعارضين لهذه المصاهرة . اما اليسع فلم تخل محاولته التقرب الى بني رستم من عوامل (استراتيجية) كتأمين الحدود الشرقية للبلاد ، لا سيما عندما دخل في حروب بالصحراء متابعا معارضيه من البربر .

وربما كان لليسع سابق معرفة بتيهرت سمحت له برؤية (أروى) ابنة عبد الرحمن بن رستم ، ذلك أن تيهرت كانت حافلة بالصفرية ، اذ يذكر أبو زكريا أن تيهرت عند قدوم أبي عبد الله الشيعي (3) اليها كان بها الصفرية (4) ، كما كان بسجلماسة اباضية " يبعثون اليه (أى الى عبد الرحمن بن رستم) زكاتهم ". (5)

وبالرغم من أن المصادر لا تمدنا بأخبار مدققة عن العلاقات السياسية

---

(1) ابن خلدون : العبر، مج 6 ، ص 112 .

(2) بحاز (ابراهيم) : الدولة الرستمية، ص 211 .

(3) يذكره ابو زكريا باسم (الحجاني) ، انظر سيرة الائمة ، ص109، 110، 112، 113، 114، 124 .

(4) ابو زكريا : سيرة الائمة، ص 112 .

(5) ابن الصغير: اخبار الائمة الرستميين ، ص 85 .

بين الامارتين ، الّا أن هذه المصادر لا تمدنا أيضا بأية معلومات عن أيـــة مواجهة بينهما .

وزيادة على ما تمتعت به جاليتا البلدين من احترام ، سمح لهما بحرية التمذهب(1) والتنقل(2) والتملك والتصرف في الأموال ، فقد سمح لهما بارسال هذه الأموال الى الوطن(3) بالمفهوم العصري كما يفعل المغتربون الآن .

وحتى في أحلك الظروف التي مرت بها الدولة الرستمية في أواخــر عهدها لم يحاول بنو مدرار استغلال أزماتها السياسية للتوسع ، كما وقفت الصفرية موقفا حياديا من الصراعات ، فعندما وقع التمرد على أبي حاتم مــن طرف محمد بن رباح ومحمد بن حماد وأنصارهما مالت الصفرية الى المدينة(4).

واذا كان عبد الرحمن بن رستم قد استطاع اقناع معارضيه بأهميه هذه المصاهره فان الامر لم يكن كذلك بالنسبه لليسع ، اذ كانت عبئا ثقيلا عليه

---

(1) يقول ابن الصغير في ذلك" حتى لا ترى دارا (يقصد في تيهرت) الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين . . ." انظر اخبار الائمة الرستميين ، ص 32 .

(2) نفسه ، ص 32 .

(3) نفسه ، ص 85 .

(4) نفسه ، ص 94 . بالرغم من أن اسماعيل محمود يفسر قول ابن الصغير" مالوا الى المدينة" بالخروج على ابي حاتم . انظر الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 104 .

وعلى ابنائه من بعده ، اذ فتحت منفذا للتدخل السياسي الرستميين في شؤون الامارة الصفرية ، ذلك ان عبد الرحمن بن رستم كان " مؤملا أن يأتي يوم ما على أولادها (أى أولاد أروى) ان قدّر الله بحملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلفه اليه ." (1)

ويظهر أن زوجة مدرار الرستمية شغفته حبا حتى انه أصبح يفضل ابنه منها على ابن تقية ، فتنازل له عن الحكم ، كما رأينا ذلك في فصل الأوضاع السياسيه الداخلية .

وعندما خلف ميمون بن أروى أباه اليسع كان مع الرستميين " في ولاء ومسالمة لجانب المصاهرة ." (2)

وعندما لم يستسغ أخوه بن تقية ذلك " أوعز الى رؤساء الصفرية وقدميهم بذلك فهاجوا وماجوا واضطربت أقوالهم واستعظموا الأمر خوفا من انضمام ملكهم الى ملك بني رستم ومن سيادة الاباضية عليهم في المملكتين ." (3)

---

(1) الباروني : الازهار الرياضية ، القسم الثاني ، ص 94 .
(2) نفسه ، ص 95 .
(3) نفسه ، ص 95 .

العلاقات السياسيه بين بني مدرار والفاطميين :

تعود العلاقات السياسية بين دولة بني مدرار والفاطميين الى سنة 297 هـ/ 910 م ، وذلك بعد دخول أبي عبد الله الشيعي مع جيشه سجلماسة وتخليص عبيد الله المهدى وابنه القائم من سجنهما (1) ، فقد غادر بعدهما المهدى سجلماسة موليا وجهه شطر رقادة . وقد عيّن قبل رحيله ابراهيم بن غالب المزاتي - أحد رجالات كتامة - عاملا على سجلماسة . وأصبحت سجلماسة بذلك فعليا تحت نفوذ الفاطميين .

وقد رأينا في الفصل السابق (2) ان التواجد الفاطمي بسجلماسة لم يتقبله السكان اذ لم يمض خمسون يوما على رحيل المهدى حتى ثاروا على ابراهيم بن غالب وقتلوه .

ومردّ هذه الثورة هو عدم تقبل صفرية سجلماسة لأي شكل من أشكال السيطرة الأجنبية خاصة اذا كانت من مغايرين لهم في المذهب ، فهم خوارج ، والفاطميون شيعة ، وهذا الموقف من السيطرة (الأجنبية) هو الذى جعلهم

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج 1 ، ص 222 . وانظر ايضا :
Dachraoui (F.): Le Captivité d'Ibn Wasul, le rebelle de Sijilmassa, d'après le Cadi An-Nu'mân, Les Cahiers de Tunisie, n° I5, 3e trim., p I66 (I956).

(2) انظر ما قبل ص 79 .

ينقسمون في أمر المصاهرة مع الرستميين . فما بالك بالشيعة الفاطميين .

كما مارس الفاطميون سياسة تعسفية في جباية الضرائب ، ومن قبيل ذلك ما رواه ابن عذارى أنه " في سنه 307 هـ/ 919 م كان بافريقية وما والاها الى مصر طاعون شديد ، وغلاء سعر مع الجور الشامل من الشيعة ، والتعلل (كذا) على أموال الناس من كل جهة . " (1)

وحاول بعض رجالات كتامة فرض الخراج حتى على المسلمين بطبنة مثلا مما جعل اباعبد الله الشيعي / ذاته يقول " هذا مال لا خير فيه ولا قبالة (كذا) ولا خراج على المسلمين في أموالهم ثم أمر ثقات (كذا) أهل طبنة برده على أهله . " (2)

ولم تكن جباية الأموال خاضعة لقاعدة متفق عليها فهي قابلة للتخفيف أو الالغاء اذا ما وجد المغرمون من يتوسط لهم لدى المهدي من الوجوه المسموعة الكلمة عنده (3) .

وقد طبقت هذه السياسة حتى مع اليسع عند ما " استصفى عبيد الله

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج 1 ، ص 181 .

(2) نفسه ، ص 142 .

(3) الخشني : طبقات علماء افريقيه ، ص 168 ـ 169 .

أمواله وأموال من أعان عليه وهرب معه من أهل بيته." (1)

وكانت اعتقادات الفاطميين التي تبدو متطرفة بالنسبة لأهل السنة وللخوارج من عوامل تأليب السكان عليهم .

فقد جعلت الاسماعيلية من الامام شخصا متميزا عن بقية الافراد، بل جعلت من الامامة ركنا من أركان الاسلام (2)

ولا نهمل ما قام به المهدى من محاباة لكتامة على حساب القبائل الأخرى.

ولا نستبعد أخيرا أن يكون لليهود ضلع في هذا التمرد انتقاما مما ألحقه بهم المهدى من أذى عند خروجه من سجنه بسجلماسة .

وقد ساعد على هذا التمرد ما تفشى في الدولة الفاطمية من صراع سيما بين ركنيها عبيد الله المهدى وأبي عبد الله الشيعي ، هذا الأخير الذى راح يحرض وجوه كتامة على خلع المهدى " وقال لهم ان أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدى الذى كنت أدعو اليه." (3) .

---

(1) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة، ص 240 .

(2) امين (احمد) : ضحى الاسلام، ج 3، ص 213 وما بعدها، ط 10 بيروت .

(3) عماد الدين ادريس : عيون الاخبار ، ص 178-187، وفيها ينفي أن يكون قتل ابي عبد الله متعمدا ؛ القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة، ص 264-267 ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج 1، ص 164 .

وكان للصراع القائم ايضا بين الفاطميين والأمويين بالأندلس خاصة على ايام عبد الرحمن الناصر أثره في ضعف مكانة الفاطميين ببلاد المغرب الأقصى ، مما فسح المجال امام تمرد أهل سجلماسة .

ولا يفوتنا أن نذكر عوامل أخرى أعانت على ذلك كبعد سجلماسة عن العاصمة الفاطمية ، ووجود فراغ سياسي بعد رحيل المهدى من سجلماسة وتركه لحامية قليلة العدد محاطة بمعادين لها [1] سياسيا ومذهبيا .

وكان من نتيجه هذه الثورة أن أعاد السكان الحكم الى أسرة بني مدرار ممثلة في الفتح بن ميمون الأمير ثم أخيه احمد ثم عمه المعتز لن محمد بن يسادر بن مدرار وذلك قبل أن يؤول الامر الى الشاكر .

وبعد هذه الثورة تدخل سجلماسة تحت النفوذ الفاطمي بشكل صوري تارة وبتبعية مطلقه تارة أخرى .

فعلى أثر مقتل ابراهيم بن غالب المزاتي بايع السكان الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بواسول وذلك في ربيع الاول من سنه298 هـ/ 910م [2] .

---

(1) لقبال (موسى) : دور كتامة ، ص 365 .

(2) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 270 ؛ الباروني : الازهار الرياضية ، القسم الثاني ، ص 95 وفيها يذكر ان ابن خلدون قصد " ابن اروى الرستمية اذ لا ميمون آخر لمدرار . "

وينفرد ابن خلدون دون بقية المصادر بالقول أن الفتح بن ميمون كان اباضيا[1] ، لكننا نصادف نصا آخر لابن الخطيب يذكر أن الفتح " استقام أمره تحت تقية من مطالبة الشيعي ."[2]

ويفهم من هذا القول احتمالان : فاما أن الفتح كان اباضيا بالنسب فقط باعتباره حفيد أروى الرستمية ، واما أنه كان متسترا بمذهبه . لكننا نميل الى ترجيح هذا الاحتمال الأخير ، ذلك ان الفاطميين غضوا الطرف عنه طيلة عهده ، كما سكتوا عن مبايعة أخيه أحمد بن ميمون الذى استمر حكمه تسع سنوات[3] تقريبا .

ولا نعتقد أن طول فترة حكم الرجلين (الفتح ، واحمد) ترجع الى قوة بني مدرار ، بقدر ما تعود الى العواصف التي مرت بها الدولة الفاطمية من جهة ، ثم ان الرجلين لم يبد منهما ما يقلق بال الفاطميين خاصة وأن الفتح كان متسترا بمذهبه كما سبق .

ثم ان القبائل البربرية التي عوّل عليها الفاطميون وعلى رأسها كتامة

---

(1) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ،ص 270 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ،ج 3 ،ص 146 .

(3) نفسه .

أصيبت هي الاخرى بالانقسام بين مؤيد لعبيد الله المهدى ومؤيد لأبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس ، أضف الى ذلك توجه نظر المهدى نحو المشرق عندما غزا جيشه مصر مرتين ، احداهما سنه 301 هـ/ 913 م ، والثانية سنه 306 هـ/ 918 م . وهذه الأخيرة تسببت في هلاك خمسة عشر ألفا من أصل خمسمائة ألف فارس [1] ، حيث " أفناهم القتل والجوع والوباء . " [2]

وزيادة على ذلك فقد انشغل الفاطميون ايضا بمقارعة سعيد بن صالح أمير نكور سنه 305 هـ/ 917 م [3] .

وبمجرد استقرار الأوضاع ، كلّف عبيد الله واليه على تيهرت مصالة ابن حبوس بالتوجه نحو سجلماسة فقدم اليها مقتحما أبواب المدينة عنوة ، فقتل أميرها أحمد بن ميمون [4] ، وبعث برأسه الى عبيد الله المهدى ، لكنه اتبع في الوقت ذاته سياسة الملاينة مع السكان مستفيدا من أخطاء سلفه ابراهيم ابن غالب المزاتي .

وحتى يكسب ود بني مدرار ويجعلهم صنائع للفاطميين ويتقي شر

---

(1) ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد وسيرهم ، ص23 .

(2) نفسه .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 157 .

(4) البكرى : المغرب ، ص 150 ـ 151 .

تمردهم (1) عين أحد أفراد البيت المدراري على رأس الولاية وهو المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار الذي كان داعيا للشيعة كما يذكر ابن الخطيب .

والظاهر ان المعتز بن محمد قدّم خدمات جليلة للفاطميين لدرجة أنهم عيّنوا ابنه محمد أبا المنتصر بعد وفاته سنه 321 هـ/ 933 م .

وهذا الموقف الذي وقفه بعض أمراء بني مدرار من الفاطميين هو الذي دفع محمد بن الفتح بن ميمون - حسب ما نعتقد - الى التحرك لتدارك الوضع ، مشجّعا بوفاة عبيد الله في ربيع الأول سنه 322 هـ/ 933 م ، خاصة وأن المهدى ترك الدولة وهي غارقة في المشاكل ، الأمر الذي جعل ابنه القائم يخفي أمر وفاته ، هذا بالاضافة الى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بـ(صاحب الحمار) الذى دوّخ افريقية فـ" خرّب مدنها وقتل من أهلها ما لا ينحصر حتى فرّ أبو القاسم من رقادة الى المهدية." (2)

واغتنم محمد بن الفتح بن ميمون الأمير أوضاع الدوله الفاطمية ليقطع دابر الصلة بينه وبين الفاطميين ، فحاول التقرب من العباسيين حتى

---

(1) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ،ج 3 ،ص 146 .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب ،ج 1 ،ص 216 . المجدوب (عبد المجيد) : الصراع المذهبي بافريقيه ،ص 198 وما يليها .

يعطي حكمه صبغة (الشرعية) ، فدعا لهم من على المنابر[1] . ولا يفهم من ذلك الاحتماء بالعباسيين لكون بغداد كانت بعيدة عن سجلماسة ، ثم لكون الدولة العباسية في هذه الفترة كانت قد دخلت مرحلة الضعف .

وقد ذهب محمد بن الفتح أبعد من ذلك عندما لقّب نفسه بأمير المؤمنين الشاكر لله[2] .

ان الظروف التي مرّت بها الدولة الفاطميه والمشار اليها سابقا هي التي شجعت الشاكر على التمرد على الفاطميين ، لكن دولته التي عمّرت احدى عشرة سنه (336 هـ/ 947م - 347 هـ/ 958م) سرعان ما لقيت نفس ردود الفعل من لدن الفاطميين .

وتذكر المصادر أن المعز انتهج نفس الطريقة التي سبق أن عمل بها أبو عبد الله الشيعي في القضاء على الشاكر لله، ف" قائد ذلك العسكر تقدم الى أهل سجلماسه من قبل أن يحل بهم بمدة بكتب منه في القبض عليه ." ويكون الجزاء تأمينهم والعفو عنهم . وعندما وصل الجيش الفاطمي الى مضارب بني مدرار بقيادة جوهر القائد خرج الشاكر مستغلا حصار المدينة الذى دام

---

(1) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 170 .
(2) نفسه .
(3) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص 389 ؛ عماد الدين ادريس : عيون الاخبار ، ص 609 .

ثلاثة أشهر ، ونزل بحصن (تاسجدالت) الذى يبعد باثنى عشر ميلا عن سجلماسة (1) .

والغريب في الأمر أن نفس الأحداث التي وقعت بالنسبة لليسع مع أبي عبد الله الشيعي تتكرر ثانية مع الشاكر لله ، وجوهر القائد ـ فكما أن قوما من البربر يعرفون ببني خالد غرروا باليسع حتى مكنوا منه أبا عبد الله الشيعي ـ كذلك الشأن بالنسبة للشاكر لله الذى غدر به قوم من مطغرة عندما خرج في بعض خاصته يتجسسون الأخبار فقبض عليه جوهر واقتيد أسيرا " في قفص من الخشب ." (2)

وتختلف المصادر في الجهة التي حمل اليها مع صاحب فاس أحمد بن بكر فهي القيروان عند ابن خلدون (3) وابن الخطيب (4) والقلقشندى (5) ، وهي المهدية عند صاحب الاستقصا (6) . كما تتفق المصادر على أن نهاية الشاكر كانت سنه 347 هـ/ 958م ، ماعدا ابن الخطيب الذى يذهب بها الى سنة 349 هـ/ 960م (7) .

---

(1) البكرى: المغرب ، ص 151 ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 148 . ويسميه ابن خلدون حصن (تاسكرات) ، انظر: العبر، مج 6 ، ص 271 .

(2) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 148 . (3) العبر: مج 6 ، ص 271 .

(4) اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 148 . (5) صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 167 .

(6) السلاوى: ج 1 ، ص 114 .

(7) اعمال الاعلام: ج 3 ، ص 148 .

وقد جنّد المعز لهذه الحملة كل ما أمكنه من الوسائل المادية والنفسية وشحذ همم رجالات كتامة خاصة عندما تثاقلوا في البداية بعامل بعد المسافة ومشاق السفر (1).

وقد جرّب المعز أن يضرب هذا التمرد بطرق سلمية مستعينا بالسكان أنفسهم واعدا اياهم بالعفو عنهم (2)، كما بث حملة دعائية تشهيرية في أوساط كتامة واصفا الشاكر باللعين والفاسق والدعيّ، مقيما الحجة على أن محاربته للشاكر ناتجة عن تحلله من طاعة الائمة ومن الشرائع السماوية.

وعندما اقتيد الشاكر لله نحو المهدية أسيرا أمر المعز بصنع عجلتين احداهما للشاكر والثانية لاحمد بن بكر " ليكون كل واحد منهما على واحدة تجرّ به حين النداء عليه." (3)

ودارت بين المعز والشاكر لله محاورات أشبه ما تكون بالاستجواب كان المعز يهدف من ورائها الى " التعرف على طبائع الاقليم ومميزات سجلماسة." (4).

وانتهى الامر بالتشهير بالشاكر في المهدية، وانتهى معه نفوذ بني مدرار

---

(1) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات، ص 255.

(2) نفسه، ص 389.

(3) انظر وصفهما بالتدقيق عند عماد الدين ادريس : عيون الاخبار، ص 613.

(4) لقبال (موسى) : دور كتامة، ص 370.

في سجلمـــاسة .

العلاقات السياسية بين بني مدرار والأدارسة :

يكــتنف العلاقات السياسية بين دولة بني مدرار والأدارسة بفاس الكثير من الغموض ، ذلك أن المــصادر التاريخية لا تتحدث عنها ولو بإيجاز ، بالرغم من أن الأدارسة أقاموا دولتهم على حساب أراض مستقطعة من الخوارج الصفرية التي استولى عليها هؤلاء بدورهم على حساب الخلافة الأموية وولاتها بالقيروان منذ الثورات الآنفه الذكر .

ذلك أن ادريس بن عبد الله الذى نجا من وقعة فـخ ولجأ الى بلاد المغرب فبويع من طرف قبيلة أوربة وغيرها من القبائل سنه 172 هـ/ 788م ، غزا تلمسان في رجب سنه 173 هـ/ 789م ، وكانت تقطنها قبيلتا مغراوة وبني يفرن الزناتيتين ، وكان سيدهما محمد بن خزر بن صولات المغراوى الذى ما ان وصل ادريس بن عبد الله تلمسان حتى خرج اليه " مـطيعا فأمّنه وأبقاه أميرا بتلمـسان ." (1) وعلى هذا الأساس دخل تلمسان صلحا (2) وبـــــنى

(1) التنسي (ابو عبد الله) : نظم الدر والعقيان ، القسم الاول ، حققه عبد الحميد حاجيات بعنوان (تاريخ دولة الادارسة) ، ص 35 ، الجزائر 1984 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 192 ؛ السلاوى : الاستقصا ، ج 1 ، ص 157 ؛ ابن زيدان (عبد الرحمن) : اتحاف أعلام الناس ، ج 2 ، ص 5 ، ط 1930 .

بها مسجدا (1) ورجع بعدها الى وايلي (2) ، تاركا عليها محمد بن خزر المغراوى واليا من قبله (3).

ويبدو أن صفرية تلمسان سكتوا عن مضض أمام قوة ادريس الأول التي اجتاحت مواقع كثيرة بالمغرب الأقصى : " فدانت له رقاب أهل المغرب ، ونشر الاسلام فيه على يده ، ولم يتفق هذا الفتح الباهر قبله حتى لعظماء القياصرة ذوى العدة والعدد والقوة ." (4)

لكن بمجرد وفاة ادريس الأول سنه 175 هـ/ 791 م خلعوا طاعة الأدارسة مما استوجب على خليفته ادريس الثاني أن يعيد الكرة عليهم في المحرم

---

(1) نقش على منبره "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ." انظر الاستقصا ، ج 1 ، ص 157 . اتحاف اعلام الناس ، ج 2 ، ص 5 .

(2) وليلي : هي مدينة طنجة ، ولفظ وايلي بربرى " وهي محط للسفن " ، انظر البكرى : المغرب ، ص 108 ـ 109 .

(3) وقع اسماعيل محمود في خطأ عندما ذكر ان ادريس الاول أسند حكم تلمسان الى أخيه سليمان . والصحيح أن ادريس الثاني هو الذى أسند حكمها الى بني عمه سليمان ، انظر الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 101 ؛ السلاوى : الاستقصا ، ج 1 ، ص 172 .

(4) ابن زيدان : اتحاف أعلام الناس ، ج 2 ، ص 5 .

من سنة 199 هـ/ 814 م[1] " فأخضع لامامته ملوك بني خزر من مغراوة ، واعترفوا بامامته." [2]

ويظهر أن ثورة الصفرية بتلمسان كانت شديدة الوقع على الأدارسة ، مما استلزم على ادريس الثاني البقاء بها ثلاث سنوات[3] .

والغريب في الامر أن حكام سجلماسة من بني مدرار لم يحركوا ساكنا لحماية اخوانهم في المذهب ، وربما يرجع ذلك الى :

1 - أن بني مدرار لم يكن يعنيهم أمر المذهب الصفرى بالدرجة التي تدفعهم الى الوقوف بجانب اخوانهم ، وقد رأينا ترددهم بين الاباضية والصفرية ومذهب السنة .

2 - بعد سجلماسة عن تلمسان يجعل أمر الوصول اليها أمرا صعبا .

3 - انشغال بني مدرار بمشاكلهم الداخلية ، فقد رأينا عدم استقرار الحكم بعد أبي القاسم سمكو.

---

(1) يذكر البكري انه رجع عن الحركة الى تلمسان سنه 199 هـ/ 814 م، انظر المغرب ، ص 123 .

(2) ابن زيدان : المرجع السابق ، ج 2 ،ص 19 .

(3) نفسه : الاستقصا ، ج 1 ،ص 169 .

ويستبعد أن يكون لبني مدرار ضلع في ثورة عبد الرزاق [1] الفهرى ، الذى تمرد على علىّ بن ادريس ، مثلما تذكر بعض الدراسات [2] ، وذلك للأسباب الآنفة الذكر ، كما ان عبد الرزاق الفهرى انطلق بثورته من فاس ، وهذه بينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة ، ويحتمل أن تكون ثورته بسبب مناوشة قامت بين السكان الأصليين في عدوة القرويين بفاس وسكان عدوة الأندلسيين كما لا يعتد بما نسب الى محمد بن ادريس الثاني من أنه أعطى حمزة - أحد أبناء البيت الادريسي سجلماسة وضواحيها [3] ، اذ لا نملك المصادر التي تتحدث عن ذلك ، أضف الى هذا أن سجلماسة في هذا الوقت كانت تحت حكم بني مدرار فكيف يعطيها محمد بن ادريس الى أحد أقاربه ؟ !

ونستنتج من كل هذا أن علاقة الأدارسة ببني مدرار نجهل عنها الكثير وما ذكرناه من مظاهر الصراع بين الصفرية والادارسة كان بعيدا عن سجلماسة ، ويبقى علينا انتظار ما يجلي هذا الغموض من وثائق قد تظهر مع الزمن .

---

(1) كان عبد الرزاق الفهرى خارجيا صفريا من أصل اندلسي على الارجح ، ثار بجبل مديونة جنوب فاس وتمكن من الاستيلاء على فاس وخاصة عدوة الاندلسيين ، مما اضطر يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعدام الى القدوم اليه . انظر نظم الدر والعقيان ، سبق ذكره ، ص 45 ، وفيه يلقب يحيى بن القاسم بن ادريس بـ(المقدام) . وانظر ايضا :
G. Marçais: La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-âge, p. I26, Paris I946.

(2) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 102 .

(3) السنوسي (محمد بن علي الخطابي) : الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية ، ص 9 ط 3 ، 1960 . اسماعيل (بن محمد الرشيد) : جلاء الظلام الدامس في موجز تاريخ المغرب الى عصر محمد الخامس ، ص 34 ، ط 1 ، 1957 .

العلاقات السياسية بين بني مدرار وبني أمية بالأندلس :

يمكننا أن نقول عن العلاقات بين دولتي بني مدرار وبني أمية بالأندلس أنها كانت طيبة ، اذ أن الدولتين قامتا على حساب الخلافة العباسية . صحيح أن بني مدرار لم يعلنوا عداءهم للعباسيين مثلما فعل الأمويون لكن يكفي كمظهر من مظاهر التحدى أنهم اقتطعوا جزءا من ممتلكات الخلافة العباسية في بلاد المغرب ، ناهيك عن الخلاف المذهبي بينهما .

أما بنو أمية في الأندلس فقد قامت دولتهم على أساس الانتقام لما لحقهم بدمشق من سقوط على يد العباسيين . وعلى الرغم من أن عبد الرحمن الداخل لم يتطاول منذ البداية على الخلافة العباسية الا أنه سرعان ما أعلن استقلاله عنها " فقطع الدعاء لهم وأمر بلعنتهم (أى العباسيين) على المنابر ." (1) وبعد تقوّى عبد الرحمن الداخل دعا لنفسه (2) .

---

(1) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج 1 ، ص 35 ، وفيها يذكر أن عبد الرحمن الداخل " أقام شهرا دون السنة يدعو لابي جعفر المنصور ." بينما يذكر المقرى انه قطع الخطبة للمنصور بعد عشرة أشهر ، انظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ج 4 ، ص 59 ، بيروت بدون تاريخ . ويذهب ابن حزم الى انها دامت سنوات . انظر نقط العروس ، ضمن رسائل ابن حزم ، تحقيق احسان عباس ، ج 2 ، ص 84 ، ط بيروت 1981 .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 2 ، ص 48 .

وبما أن الدولتين كانتا على علاقة طيبة بأئمة بني رستم [1] ، بحيث يشكل الثلاثة عدوا للدولة العباسية - ولو ضمنيا - فانه لا يستبعد أن يؤثر هذا التوادد بين الرستميين والأمويين على العلاقة بين هؤلاء الاخيرين وبين بني مدرار، خاصة وأن علاقة الرستميين لم تكن طيبة فقط مع بني مدرار بل وصلت الى حد المصاهرة ولو كانت العلاقات المدرارية الأمويه سيئة لتأثرت بها العلاقات الرستمية الأموية.

ثم ان العدو المشترك الثاني بين الدول الثلاث هو الدولة الفاطمية يقوي من طيبة هذه العلاقات .

وتشير النصوص الى أن الأمير محمد بن عبد الرحمن خدمته ملوك البلاد المغربية ، واعترفت بطاعته تيهرت [2] وسجلماسة ، بحيث كان أمراؤهما لا يقدمون أمرا ولا يؤخرونه الا عن رأيه وأمره .

كما أن محمد ابن الفتح الملقب بالشاكر لله " طلب الفقه بالأندلس وحضر غزوة الخندق . " [3]

وفي عهد عبد الرحمن الأوسط وصلت هبات من الحنطة والسكر والتمر من ميمون ابن مدرار الى الأندلس [4] .

---

(1) انظر في ذلك : G. Marçais: Op. cit., p. 104.
وكذلك : Levi Provençal: Histoire de l'Espagne musulmane, . I, p 281, Paris 1950

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، تحقيق ليفي بروفنصال ، ص 22 ، ط2 ، بيروت 1956 .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 2 ، ص 108 . غزوه او معركه الخندق Simonças جرت في 11 سوال 327 هـ/ 939م . انظر نقط العروس ، ص 85 .

(4) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 164 .

العلاقات السياسية بين بني مدرار والخلافة العباسية :

بالرغم من أن بني مدرار أقاموا دولتهم بسجلماسة على حساب الخلافة العباسية فان هذه الاخيرة لم تحرك ساكنا تجاه هذه الدولة الفتية. ولعل سكوت العباسيين يعود الى كون بني مدرار لم يشهروا سيف العداء لأية دولة كانت ، وآثروا " حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية." (1)

كما أنهم لم يتجرؤوا على الخلافة باضفاء الألقاب الرسمية المعروفة على أسمائهم كأمير المؤمنين مثلا ، أضف الى ذلك بعد العاصمة العباسية وحتى ممثليها في بلاد المغرب (الاغالبة) عن موقع سجلماسة الذى يكلفهم الذهاب اليه مشقة اعداد الجيوش لخوض حروب غير مأمونة العواقب .

وبمجيء أبي القاسم سمكو الى الحكم سنه 155 هـ/ 771 م أصبحت الدولة تتبنى موقفا مؤيدا لبني العباس، فقد أعلن أبو القاسم الولاء لهم " وخطب في عمله للمنصور والمهدى." (2) وكانت هذه سياسة حكيمة منه لتجنب مخاطر الصراع الخارجي كما حاول تجنب مخاطر الصراع الداخلي عندما تردد بين

---

(1) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 94 .

(2) ابن خلدون : العبر، ج 6، ص 268 ؛ القلقشندى : صبح الاعشى ، ج 5، ص165 .

المذهبين الاباضي والصفرى .

وتأكدت هذه العلاقة المبنيه على المودة على عهد اليسع بن المنتصر ، عندما وصلته أخبار قدوم عبيد الله المهدى الى سجلماسة ، فقد أوعز المعتضد[1] اليه في شأنهما ، وكان على طاعته (أى اليسع) فاستراب بهما وحبسهما . وسواء أكان الكتاب مرسلا مباشرة من طرف الخليفة الى اليسع أم عن طريق زيادة الله فقد اتفق المؤرخون على أن استجابة اليسع السريعة الى طلب الخليفة تنم عن علاقة مودة جمعت بينهما ، بدليل أن اليسع الذى كان يشك في أمر عبيد الله عند قدومه الى سجلماسة أكرمه ولم يتصرف معه تصرفا مشينا ولم يسجنه الا استجابة لرغبة الخلافة العباسية .

وقد تبلورت هذه العلاقات أكثر في عهد الشاكر لله الذى أظهر السنة[2] وكان على مذهب المالكية[3] ودعا للعباسيين من على المنابر .

ان الظروف المستجدة هي التي استدعت مثل هذا الموقف أيام الشاكر

---

(1) وقع ابن خلدون في اضطراب في تحديد اسم الخليفة العباسي الذى أوعز الى اليسع سجن عبيد الله . ففي المقدمه يذكر أنه المعتضد ، ص33-36 ، وكذلك في العبر ، مج 6 ، ص269 ، بينما يذكر في مج 3 انه المكتفى ، ص 376 ، وفي مج 4 ، ص 71 .
لكن الراجح هو رواية ابن لاثير التي تذكر انه المكتفى الذى حكم بين 289 ، 295هـ/ 901-907م .

(2) ابن حزم : نقط العروس ، ص 85 ، تحقيق احسان عباس .

(3) البكرى المغرب ، ص 151 .

لله ،فقد أرسى الفاطميون دعائم ملكهم وهم يمثلون خطرا مشتركا على العباسيين وعلى بني مدرار ، كما تمرد الفاطميون على الخلافة العباسية وقضوا على ممثليها في بلاد المغرب وهم الاغالبة وتجرؤوا على لقب الخلافة وداهمت جيوشهم سجلماسة .

وبالرغم من أن الشاكر لقّب نفسه بأمير المؤمنين[1] ،فان هذا لا يعدو أن يكون اجراء شكليا يضفي به الشاكر على حكمه صبغة الشرعية ، وليس فيه تجرؤ على الخلافة العباسية ،بدليل انه بقي على ولائه لها ، ويدعو الى خليفتها من على المنابر .

(1) البكرى: المغرب ،ص 151 .

الفصـــل الرابـــع

الأوضـاع الاقتصاديّة في سجلمـاسة

الفـــــلاحـة :

تمثل طبيعة سجلماسة ، تضاريسيا ومناخيا ، أحد النماذج المناخية للمغرب الاسلامي ، وهي على تنوعها ترجع في مجموعها الى مناخ البحر الابيض المتوسط الذى يمتاز بالحرارة والجفاف صيفا وبالبرودة والمطر شتاء .

غير أن مناطق المغرب الاسلامي تتفاوت في درجة تأثرها بهذا المناخ ، وذلك بفعل حركة الرياح واتجاهها ، ودرجة الحرارة وطبيعة التضاريس من حيث الارتفاع والانخفاض ، ولهذا المناخ وتلك التضاريس أثرهما الكبير في توزيع المياه ، ومن ثم توفر المساحات الصالحة للزراعة .

وسجلماسة الواقعة على حواف الصحراء هي بلدة شديدة الحر قليلة المطر (1)
وقد انعكس ذلك على مجارى مياهها ومنها نهر زيز " الذى يزيد وينقص ويسقي ويسيح كما يكون من نيل مصر." (2)

ولهذا تطلب الأمر العمل على الافادة من أنهارها بقدر الامكان ، فوجدنا

---

(1) اليعقوبي (احمد بن واضح) : كتاب البلدان ، ص359 ، ليدن 1967 .
(2) الدمشقي (شمس الدين) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص111 ، ليبزيغ 1923 .

أمراء بني مدرار أنفسهم يقومون بشق القنوات ، و تصريف المياه الى كل جهة بقدر معلوم[1] تفاديا للنزاع الذى يحصل عادة بين السكان لهذا السبب . ولهذا نجد عيسى بن يزيد - أول أمراء بني مدرار - حين اختط مدينة سجلماسة " قسم مياهها في خلجان بقدر موزون ، وصرف الى كل ناحية قدرها من مائه ."[2]

ومما يزيد من مشكلة المياه حدة ، كون الأرحاء تستخدمها بكثرة ، زيادة على استعمالها في رى المساحات الزراعية وفي البستنة وللشرب[3] .

ومن الحلول التي يلجأ اليها لتفادي هذا النزاع تنظيم أيام السقي وتقسيمها بين الجماعات والأفراد[4] . ولقد أسهبت كتب الفقه والنوازل في سرد الكثير من القضايا بشأن الاختلاف حول مصادر المياه . ومن قبيل ذلك تحديد سعر الأرض بحسب ما يتوفر فيها من ماء . وأحيانا يشترط في عقد البيع أن بيع الارض يتم دون مائها سواء كان بئرا أو عينا أو غير ذلك[5] .

---

(1) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 ، ص 139 .

(2) نفسه .

(3) من أمثلة التنازع على المياه ما يرويه صاحب الاستبصار من أن أهل قفصة كانوا يقولون " اذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فاعلم انهم في أمر الماء ." ، لمؤلف مجهول ، ص 152 ، 154 .

(4) موسى (عز الدين احمد) : النشاط الاقتصادى في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجرى ، ص 65 ، بيروت 1983 .

(5) الونشريسي (احمد بن يحيى التلمساني) : المعيار المعرب في فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب ، ص 237 وما يليها ، طبعة فاس الحجرية .

ومن قبيل الفتاوى التي يذكرها العياشي في رحلته ما ذكره من مشاهداته في واحات توات من أن" رجلا ممن ينتحل الفقه اسمه سيدى محمد بن علي . . . كان قد وجه الى الركب (كذا) بسؤالين ، أحدهما في نازلة" من الأحباس ، والآخر في نازلة" من البيوع . . . ومضمن السؤال . . . أن رجلا اشترى من آخر ستة" أجزاء أو قريبا من ذلك من ماء عين جلبت من بعيد بالفقاتير ، وذلك وصف ماء هذه البلاد كلها ، وثمانية أجزاء من عين أخرى ، والعينان مختلفتان في القلة والكثرة والبعد والقرب وغير ذلك من الأوصاف التي تختلف بها رغبة الناس في المشترى اختلافا كثيرا ثم ان هذا المشترى باع من آخر أجزاء معلومة العدد من كلتا العينين كخمسة مثلا ولم يبين ما لكل عين من الأجزاء فأجبت بفساد هذا البيع للجهل بالمثمون اذ لا يدرى ما له من العين المرغوب فيها وما له من الأخرى ." (1)

وقد نتج عن عناية أمراء بني مدرار ومن ورائهم سكان سجلماسة بالجانب الفلاحي أن تنوعت المحاصيل الزراعية التي يأتي في مقدمتها التمر حتى وصفت بـ(معدن التمر) (2) . وأن أنواعه متعدده تعيي الحسّاب (3) .

---

(1) العياشي (أبو سليم عبد الله بن محمد) : ماء الموائد المعروفة بـ(الرحلة العياشية) ص22 وما يليها ، طبعة فاس الحجريه 1316 .

(2) ابن الخطيب (لسان الدين) : معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار ، ضمن كتاب (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس) ، ص113 ، نشره احمد مختار العبادى ، الاسكندرية 1983 .

(3) ابن الخطيب : معيار الاختبار ، ص 113 .

ويذكر ياقوت الحموى أن أصنافه ستة عشر نوعا [1] ، ومنها البرني [2] ، والعجوه، [3].. والدقل [4] . وبلغت جودته في سجلماسة ذروتها حتى أصبح مضاهيا لتمر العراق .

وينسب المقّرى الى أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي أبياتا في وصف نخيل سجلماسة يقول فيها :

لقد راقني مرأى سجلماسة الذى   يقر له في حسنه كل منصف
كأن رؤوس النخل في عرصاتها   فواتح سورات بآخر مصحف [5]

---

(1) ياقوت : معجم البلدان، مج 3، ص 45 .
(2) الادريسي : نزهة المشتاق، تحقيق اسماعيل العربي ، ص129 . والبرني : نوع من التمر، أصفر مدور وهو أجود أنواع التمر ، أصله فارسي مركب من (البار) أى الحمل و(نيّ) تعظيم ومبالغة . انظر لسان العرب ، مج 13، ص 50 .
(3) ياقوت : معجم البلدان ، مج 3 ، ص 45 .
والعجوة : نوع من التمر ، وقيل هي من أجود التمر بالمدينة ، ونخلتها تسمى لينه انظر لسان العرب ، مج 15 ، ص 31 .
(4) ياقوت : معجم البلدان، مج 3 ، ص 45 .
والدقل : من التمر قيل هو أردأ أنواعه، ومنه قول الشاعر:

لو كنتم تمرا لكنتم دقلا   أو كنتم ماء لكنتم وشلا

(5) المقّرى (احمد بن محمد التلمساني) : نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج 5 ، ص 469 ، بيروت 1968 .

وكانت المساحات المغروسة نخيلا تمتد على مدّ البصر[1] . واشتهرت سجلماسة بغرس كروم العنب الشديد الحلاوة على حد تعبير ياقوت الحموى[2] ، وكان منه ما يتخذ زبيبا بفعل حرارة الشمس وأحيانا بفعل الظل فيسمى (المظلي)[3] .

وجادت أرض سجلماسة بغلات أخرى كالقطن[4] والكمون[5] ، والكرويا[6] ، والحناء[7] ، التي يكبر نباتها حتى يصير في قوام الشجر[8] .

وقد ازداد الطلب على هذه الحناء في جميع البلدان حتى أصبحت " لها مزية في البيع على سواها ."[9]

ومن المحاصيل التي ازدهرت زراعتها ، الحبوب بالرغم من اعتمادها في غالب الأحيان على الري نظرا لقلة الأمطار.

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، مج 3 ، ص 45 .
(2) نفسه .
(3) البكري : المغرب ، ص 148 .
(4) الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت 1975
(5) ، (6) الادريسي : نزهه المشتاق ، سبق ذكره ، ص 129 .
(7) الحميري : الروض ، تحقيق احسان عباس ، ص175 .
(8) نفسه .
(9) نفسه .

ويذكر الجغرافيون ان سكان سجلماسة كانوا يحصدون على بذر سنة واحدة سنوات متعددة [1]. ذلك ان الأرض تتشقق بفعل الحرارة فتذرو الرياح حبات الزرع فتتناثر وتدخل شقوق الأرض و" ربما حصدوه عند تناهيه وتركوا أصوله فتنبت ثانية ." [2] ولهذا يحرثون أعواما بلا بذر [3].

ويجنى من وراء ذلك أنواع من الحبوب منها القمح الذى يكون في السنة الأولى [4]، ومنها ما " لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشعير بحب صلب المكسر لذيذ الطعم، وخلقه بين القمح والشعير ." [5] فيدعى سلتا [6]. وقد يتغير شكله حتى يكون بين الحنطة والشعير ويدعونه (يرن تيزواو) [7].

---

(1) عند البكرى ثلاثه أعوام . انظر المغرب، ص 151، وعند ابن حوقل سبعة أعوام، انظر صورة الارض، ص 91، وعند الادريسي سبعة اعوام، انظر نزهة المشتاق، سبق ذكره، ص 129 .

(2) القلقشندى (ابو العباس احمد) : صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج 5، ص164، القاهره 1922 .

(3) ابن حوقل : صورة الارض، ص 91 .

(4) القلقشندى: صبح الاعشى، ج 5، ص 164 .

(5) ابن حوقل : صورة الارض، ص 91 .

(6) القلقشندى : صبح الاعشى، ج 5، ص 164 .

(7) الادريسي : نزهة المشتاق، ص 129 .

والسلت : بالضم، ضرب من الشعير، وقيل هو الشعير بعينه وقيل هو الشعير الحامض، وقيل هو الحنطة. انظر لسان العرب، مج 2، ص 45-46 .

ويضاف الى ذلك الدّخن (1) ، والذرة (2) ، والرمان (3) ..

وفيما يتعلق بتربية المواشي نرجح أنها كانت مندتعشة وذلك لعاملين أساسين، طبيعة المنطقة في حد ذاتها من جهة ، وهي التي كانت قبل قيام دولة بني مدرار منتجعا ترعى فيه قطعان عيسى بن يزيد (4) ومعه قبيلة مكناسة، ونشاط الحركه التجاريه التي تستلزم العناية خاصة بالابل سفن الصحراء ووسيلة التجارة مع بلاد السودان وغيرها من البلدان ، من جهه ثانية .

غير أننا لا نملك المعلومات الدقيقة عن عدد رؤوس الماشية لكننا نستطيع من خلال قراءة النصوص أن نستنتج كثرة عددها ، نظرا لقلة ثمنها فقد كانت " سوائمها آلفة السمن موجودة بنزر الثمن." (5) على حد تعبير ابن الخطيب .

أما فيما يخص التنظيم الزراعي ، فهو حسب ما نعتقد لا يختلف في أسسه عما كان معروفا في العالم الاسلامي آنئذ ، فالملكية العقارية تنقسم عموما الى ملكيه خاصة تشمل الأراضي الزراعية والبساتين ، ومن قبيل ذلك ما رواه

---

(1) اليعقوبي : كتاب البلدان، ص 359 .

(2) اليعقوبي : المصدر نفسه .

(3) المقدسي (شمس الدين ابوعبد الله) : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص 231 ط 2 ، ليدن 1967 .

(4) البكري: المغرب، ص 149 . وانظر ايضا : Fournel (H.): Les berbères, études sur la conquête de l'Afrique par les arabes, T. I, p. 35.

(5) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 14 .

صاحب (سيرة الحاجب جعفر) من أن رجلا من أهل سجلماسة اشتكى لعبيد الله المهدى - عند نزوله بسجلماسة - اغتصاب اليسع بن مدرار لحائطه الذى ورثه عن أبيه فجده[(1)] .

أما النوع الثاني من الملكية فهو الأراضي المشاعة والتي وضعت تحت تصرف جميع السكان ، وعادة ما تكون للرعي ، وان كنا لا نملك من الأدلة سوى اشارة طفيفة جاءت من ابن حوقل عندما ذكر ان سكان سجلماسة أو أمراءها " يبيحون البلاد للمراعي والزرع والمياه لورود الابل والماشية " [(2)]

ونظرا لاشتغال السجلماسيين بالتجارة بالدرجة الأولى فمن الاحتمالات الواردة أن يكون كبار الملاك قد لجأوا الى المغارسة[(3)] والمزارعة[(4)]

---

(1) اليماني (محمد بن محمد) : سيرة الحاجب جعفر ، ص120 ، نشرها ايفانوف في مجلة كليه الآداب - جامعه فؤاد الاول (القاهرة) ، مج 4 ، ج 2 ، 1936 .

(2) ابن حوقل : صوره الارض ، ص100 ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .

(3) المغارسة: هي ان يدفع الرجل أرضه لمن يغرس فيها شجرا وهي على ثلاثه انواع :
أ- اجارة: وهو أن يغرس له بأجرة معلومة .
ب - جعل : وهو أن يغرس له شجرا على أن يكون له نصيب فيما ينبت منها خاصه .
ج - متردد بينهما : وهو أن يغرس له على أن يكون له نصيب منها كلها ومن الأرض .
أنظر في ذلك ابن جزى (ابو القاسم محمد بن احمد) : القوانين الفقهية ، ص 222 ، الجزائر 1987 .

(4) المزارعة: هي الشركة في الزرع ، انظر ابن جزى ، المصدر نفسه ، ص 221 .

والمساقاة(1) وغيرها من طرق تأجير الارض حتى يتفرغوا لمهنة التجارة . وقد روى لنا اليماني أن الشخص السالف الذكر الذى اغتصب منه اليسع بستانه قد أصبح يعمل عند هذا الأخير في ذلك البستان بأجر(2) .

---

(1) المساقاة: هي أن يدفع الرجل شجره لمن يخدمها وتكون غلتها بينهما . انظر ابن جزى ، القوانين الفقهية ، ص 220 .

(2) اليماني : سيرة الحاجب جعفر ، ص 120 .

الحـــرف اليدويـة :

ساعدت مـكانة سجلماسه التجارية ، وتطورها الديمغرافي والعمـــارني على بروز مـجموعة من الحرف الصناعية اليدوية ، يأتي في مـقدمتها صناعة النسيج الذى توفرت له عوامل النجاح خاصة بتوفر مادتيه الاوليـين ، وهما القطـــن والصوف .

فبالنسبة الى القطن فقد جادت به أرض سجلماسة [1] كما وصلها عن طريق الاندلس [2] ، وبالنسبة للصوف كانت سجلماسة في أصلها منتجعا ترعى فيه ماشية مكناسة . كما ان المناطق المجاورة لها هي الاخرى غنية بمـادة الصوف كحصن (يـررارة) [3] الواقع على الطريق بين فاس وسجلماسة ، وصفه البكرى بأنه " بلد يحسن فيه الغنم ... وصوفها من أجود الأصواف ، ويعمل منه بسجلماسة ثياب يـبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مـثقالا ." [4]

ومما زاد من أهمية صناعه المـنسوجات هو براعة نساء سجلماسة اللائى

---

(1) الادريسي : نزهه المشتاق ، سبق ذكره ، ص 129 .

(2) الحميرى : الروض المعطار ، ص 59 ، وانظر : Levi Provençal: Op/ Ci ... 3 . p. 285, Paris 1953.

(3) البكرى : المغرب ، ص 147 .

(4) نفسه .

كانت لهن [1] يد صناع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع . وكانت الأزر السجلماسية تفوق مثيلاتها المصرية حتى أن ثمنها وصل خمسة وثلاثين دينارا . " [2]

وعرفت سجلماسة صناعة الأدوات المنزلية المستخرجة من أشجار (تامجاثت) التي يذكر البكري انها شجر يعظم ورقه هدب كورق الطرفاء ومنه آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما . " [3]

وساعد استحواذ اليسع بن أبي القاسم على خمس معادن درعة [4] وتوفر النحاس في (تيحمامين) الواقعة على الطريق بين سجلماسة وأغمات [5] ، وكذلك جلب الذهب من السودان على ازدهار صناعة الحلي والأسورة والخواتيم والحلق النحاسية [6] ، والودع [7] . ولا ننسى صناعة الحديد التي اشتهر بها أمراء بني

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، مج 1 ، ص 46 .

(2) ياقوت : نفسه ، ص 46 .

(3) البكري : المغرب ، ص 156 .

(4) نفسه ، ص 150 .

(5) نفسه ، ص 152 .

(6) الحميري ، الروض المعطار ، ص 46 .

(7) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 164 .

مدرار ذاتهم ، فقد كان مدرار يحضر سوق البربر بسجلماسة " بما يعده من آلات الحديد ." (1)

وما دمنا قد عرفنا ازدهار تربية المواشي في سجلماسة وقربها من بعض المناطق الغنية بهذه الثروة فاننا لا نستبعد ازدهار صناعة دباغه الجلود لا سيما مع توفر المادة الأولية لها والمتمثلة في شجر (التاكوت) (2) المتواجد بأغمات ، وجلود اللمط (3) ايضا .

---

(1) البكري: المغرب ، ص 149 .

(2) نفسه ، 152 .

(3) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 91 .

التجـــاره والمســالك (1) :.

يقودنا الحديث عن التجارة بسجلماسة الى الحديث عن المسالك والطرق التي كانت تتخذها القوافل التجارية معبرا من سجلماسة نحو بلاد المغرب الاسلامي والاندلس وبلاد السودان .

1 - طريق تلمسان/ سجلماسة: وهذا الطريق حسب الادريسي يجعل القوافل " تسير من تلمسان الى فاس، ومن فاس الى صفروى (2) الى تادلة (3)

---

(1) انظر عن التجارة والمسالك : بشاري (لطيفه) : التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية ، رسالة ماجستير - جامعه الجزائر 1986-1987

(2) صفروى : يذكر الادريسي انها على مرحلة من فاس، وانها " مدينة صغيرة متحضرة لها أسواق قليلة وأكثر أهلها فلاحون وزروعهم كثيرة، ولهم جمل مواش وانعام ومياههم عذبة غدقة." انظر نزهة المشتاق ،ص 145 .

(3) تادلة : يقول عنها ياقوت انها من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس ، انظر معجم البلدان ،مج 1 ،ص 810 .

الى أغمات (1) ، الى بني درعة ، الى سجلماسة ." (2)

على انه يوجد هناك طريق آخر يذكر الادريسي انه نادر السلوك

---

(1) أغمات: ناحية من بلاد البربر من أرض المغرب الاقصى قرب مراكش ، ذكر ياقوت انها " ليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحيه ولا أوفر حظا ولا خصبا منها ، تجمع بين فواكه الصرود والجروم ." انظر معجم البلدان ، مج 1 ص 320 . والصرود جمع صرد ، فارسي معرب معناه البرد ، والصرود من البلاد خلاف الجروم اى الحارة . ويقصد ياقوت بذلك ان أغمات جمعت بين ثمار البلاد الباردة والحارة . انظر لسان العرب ، مج 3 ، ص 250 .

(2) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص150 . وقد لعبت تلمسان بواسطة هذا الطريق دورا تجاريا معتبرا من ذلك مثلا ان عائلة المقري اشتهرت بالتجارة في سجلماسة وغيرها ويقول في ذلك " كان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركه بينهم في جميع ما ملكوه ، فكان ابو بكر ومحمد . . . بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيوالاتن ، فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط (أى البساتين) والديار . . وكان التلمساني يبعث الى الصحراوى بما يرسم له من السلع ، ويبعث اليه الصحراوى بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الفخامة أحوالهم ." انظر نفح الطيب ، ج 5 ، ص205 وما يليها . وانظر ايضا مقال عطاء الله دهينة (العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء) ، مجلة الاصالة ، ص 99 وما بعدها ، العدد 26 ، جويلية / اوت 1975 ، وانظر بشارى (لطيفه) : التجاره الخارجيه لتلمسان في عهد الاماره الزيانيه ، ص 77 وما بعدها .

باعتباره مفازة [1] طويلة المسافة خالية من العمارة مما يهدد أمن القوافل [2].

2 - طريق وجدة / سجلماسة : وهو على ما يذكره البكرى ينطلق من وجدة فيمر ببلدة يقال لها صاع ، ومنها نحو تاملت ، فجبل بني يرنيان ومنه الى قسير ، فالاحساء ، فدار الأمير ، فسجلماسة [3].

3 - طريق فاس / سجلماسة : وسالكه يمر وهو متجه نحو سجلماسة بصفروى ثم قلعه مهدى [4] ، ثم تادلا ، ثم شعب الصفا ومنه تعبر القوافل الى سجلماسة عبر الجبل الكبير [5].

4 - طريق تيهرت / سجلماسة : ارتبطت تيهرت بسجلماسة بطريق يسلك بين القبلة والغرب نحو مدينة تعرف بأوزكا وهي على ثلاث مراحل من تيهرت ثم يتجه السالك نحو الغرب الى سجلماسة بحوالي سبع مراحل [6]

---

(1) المفازة : المفازه والمفازة البرية القفر ، وتجمع على مفاوز ، وقيل سميت الصحراء مفازة لان من خرج منها وقطعها فاز . انظر : لسان العرب ، مج 5 ، ص 393 .

(2) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 150-151 .

(3) البكرى : المغرب ، ص 88 .

(4) قلعه مهدى : يذكر الادريسي انها " حصن حصين فوق جبل شامخ ولها اسواق وعمارات ، ومزارع وغلات ، وبقر وغنم وأحوال واسعه . انظر : نزهة المشتاق ، ص 145 .

(5) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 145 .

(6) بحاز (ابراهيم بكير) : الدولة الرستمية ، دراسه في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، ص 190 ، الجزائر 1985 .

5- طريق أغمات / سجلماسة : ويمر هذا الطريق من أغمات على قبيلة هزرجة ومنها الى هسكورة فورزازات فوادى درعة فتيحمامين التي لها معدن النحاس فسجلماسة (1) .

6 - المسالك البحرية بين سجلماسة والأندلس : وارتبطت سجلماسة بالأندلس عبر ميناءين ، الأول هو (تارنانا) ويقع بالقرب من ندرومة على ساحل البحر وكان " محطا للسفن ومقصدا لقوافل سجلماسة وغيرها ." (2)

والثاني هو (تابحريت) الذى بينه " وبين تارنانا عشرة أميال . . . وهي مدينة مشهورة على ساحل البحر . . . ولها أسواق جامعة ، وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها ." (3)

اما بالنسبه لبلاد السودان حيث العمق الاقتصادى لسجلماسة فهناك أكثر من مسلك يربط بينهما عن طريق أودغست :

1 - طريق سجلماسه/ أودغست عبر تامدلت :

وهو طريق في رمال ومفاوز (4) ، ويبعد عن سجلماسة بست وأربعين

---

(1) البكرى : المغرب ، ص 152 .

(2) الحميرى : الروض المعطار ، ص 127 ؛ البكرى : المغرب ، ص87 .

(3) الحميرى : نفسه ، ص 127 .

(4) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 161 .

مرحلة ، والقادم من سجلماسة نحو أودغست يمر بمناجم الملح المتواجدة على يساره بتغازا . وقد تستغرق الرحلة عبر هذا الطريق شهرين من الزمن (1) ، ويشكل هذا الطريق مع السوس الأقصى مثلثا أقصر أضلاعه الرابط بين السوس وأودغست (2) .

ومن مزايا هذا الطريق أن سالكه ، وهو مشرف على أودغست ، يصادف " أشجار الصمغ الذي يجلب ألى الأندلس . " (3)

2 _ طريق سجلماسة / أودغست عبر تاغازا : ومن ميزاته أنه يمر بسبخة الملح المشهورة بتاغازا حيث يتزود التجار بالملح ويتبادلونه مع السودان بالتبر أو ببضائع أخرى .

وتعتبر أودغست نهاية لصحراء واسعه تبتدىء من سجلماسة ، يدخل المسافر بعدها الى غانة مسلك معادن التبر اذ منها يدخل التجار " في المفازات الى بلاد التبر ولولاها لتعذر الدخول اليها . " (4) كما لا يمكن دخولها " الا للابل المصبرة على العطش . " (5)

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، مج 1 ، ص 399 .

(2) نفسه .

(3) البكري : المغرب ، ص 157 ، 158 .

(4) انظر : Gau ier (E. F.): L'or de Souden-Tege a dens l'his oire, A.H.E.S., p II4, 1925.

(5) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 163 / ياقوت : معجم البلدان ، مج 3 ، ص770 .

الأدلاء والمرشدون :

وبما أن معظم المسالك التي كانت تؤدي الى بلاد السودان انطلاقا من سجلماسة كانت عبارة عن " مفاوز وبراري منقطعة ، قليلة المياه متعذرة المراعي ." (1) فقد استلزم الأمر أن يكون سالك هذا الطريق خبيرا بمجاهل الصحراء ، والا استعان بالأدلاء والمرشدين .

ومن القبائل البربرية التي عرف أنها كانت تمارس الدلالة ، مسطه وبني مسوفة ، وكانت مضاربهم بين أودغست وسجلماسة.(2)

وامتاز هؤلاء بكونهم أهل بداوة " وفيهم من الجلد والقوة ما ليس لغيرهم ." (3) لذلك اهتدت بهم القوافل القادمة من سجلماسة الى أودغست " لأنهم يملكون تلك الطريق وفيهم البسالة والجرأة ... والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله والهداية فيه والدلالة على مياهه ." (4)

---

(1) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، نقلا عن حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، ص 75 ، ط 2 ، مصر 1964 .

(2) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 101 .

(3) نفسه .

(4) نفسه .

ويذكر ابن بطوطة أن التجار كانوا يستعينون بالتكشيف ، " وهو اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة ، فيتقدم الى ايوالاتن بكتب الناس الى أصحابهم ليكتروا لهم الدور (1) ويخرجوا للقائهم ... ومن لم يكن له صاحب بايوالاتن كتب الى من شهر بالفضل من مستاجيرها (كذا) فيشاركه في ذلك ." (2)

وأحيانا يستعين التجار بمن يقتفي الاثر والمفتشين عن ضالاتهم ، ومن هؤلاء يذكر الحميرى أهل (أزقار) ببلاد السودان . لكن الحميرى يروى لنا قصصا أسطورية منها أنه اذا تلفت للتاجر " ضاله أو عدم شيئا من أموره خط لها في الرمل خطا فيعلم بذلك موضع ضالته ، فيسير حتى يجد متاعه كما أبصر في خطه ويعلم مما خطه الرجل الذى أخذ متاعه ." (3) وقد حدث لرجل من أهل سجلماسة شيء من هذا القبيل (4) .

ونظرا لما تكابده القوافل من مشاق السفر ولا سيما في المفاوز من طول المسافة ، ووهج الحر ، وقلة المياه ، فقد كان التجار يلجأون الى عدة طرق

---

(1) يقول آدم ميتز بشأن الفنادق " أما في غرب المملكة الاسلامية ، فلم يكن هناك فنادق الا للتجار الغرباء . . . وكانوا يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها ."
انظر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ج 2 ، ص387 . وفيما رواه اليماني في سيرة الحاجب جعفر وكيف استأجر في سجلماسة دارا حسنة من رجل يدعى ابو حبشة مثال على ذلك . انظر سيرة الحاجب جعفر ، ص 119 . (2) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ص441 ، 442 .
(3) تحفة النظار ، ص441 ، 442 . (4) الحميرى : الروض المعطار ، ص28 .

طرق تضمن لهم قسطا من الراحة، وقدرا من الماء اللازم لمواصلة السير. ومن الحيل التي تفتق عليها ذهنهم أنهم استصحبوا جمالا فارغة دون أحمال، يتعمدون تعطيشها، فاذا وصلوا موارد المياه في تلك البراري" أوردوها الماء... حتى تمتلئ أجوافها ويشدون أفواهها كيلا تجتر فتبقى الرطوبة في أجوافها، فاذا نشف ما في اسقيتهم واحتاجوا الى الماء نحروا جملا، جملا، وترمقوا بما في بطونها وأسرعوا بالسير حتى يردوا مياها آخر (كذا) وحملوا منها أسقيتهم." (1)

ويذكر القزويني أن " في طريق غانة من سجلماسة اليها اشجارا عظيمة مجوفة يجتمع في تجاويفها مياه الامطار فيبقى كالحياض، والمطر في الشتاء بها كثير جدا فتبقى المياه في تجاويف تلك الاشجار الى زمان الصيف، فالسابلة يشربونها في مرورهم الى غانة، ولولا تلك المياه لتعذر عليهم المرور اليها." (2)

وفي تحفه الألباب للغرناطي أن التجار يخرجون من سجلماسة " فيمشون في رمال كالبحار ويكون معهم الأدلاء يهتدون بالنجوم وبالجبال في القفار، ويحملون معهم الزاد لستة شهور." (3)

---

(1) ياقوت : معجم البلدان، مج 7، ص 821 . القزويني : آثار البلاد، ص 11 .
(2) القزويني : آثار البلاد، ص 37، 38 .
(3) الغرناطي (ابو حامد محمد) : تحفه الالباب، انظر :
Journal Asiatique, pp 41-44, Juillet - Septembre 1925.

وكانت القوافل المتجهة الى بلاد السودان مرتبطة في وقت خروجها بما تمليه عليها الظروف الطبيعية ، فعندما ينتهي قيظ الصيف تبدأ الرحلة ، وأثناء السفر غالبا ما تبدأ الرحلة من السحر و تستمر حتى طلوع الشمس واشتداد حرها ، فينيخون جمالهم و يتوقفون عن السير حتى وقت العصر فيستأنفون السير الى أن يحل الظلام اذ يحطون رحالهم و ينتظرون بزوغ الفجر لتبدأ المسيرة من جديد (1) .

و يظهر أن القوافل التجارية كانت تعتمد أحيانا على الأحصنة (2) ، لكن الأهمية تبقى دائما للجمال لأنها صبورة على مشاق الصحراء .

---

(1) جودت (عبد الكريم يوسف) : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 258 وما بعدها ، الجزائر 1984 .

(2) في نص للدرجيني ان " الشيخ ابا نوح عاش في القرن الرابع الهجرى ، كان له اربعون فرسا وله فرس عتيق ، وعليه حج وعليه سافر الى تادمكت . " انظر طبقات المشايخ ، ج 2 ، ص 367 . صالح باجية : الاباضية بالجريد ، ص 198 .
ويذكر ابن سعيد ان تادمكت " اهلها برابرة مسلمون يكثرون من التجارة ، والسفر الى بلاد السودان . " انظر كتاب الجغرافيا ، ص 115 .

المبادلات التجارية :

تنوعت صادرات دولة بني مدرار وشملت فيما شملت الملح [1] الذى كان السودان في أمس الحاجة اليه لدرجة انهم يتصارفون به" كما يتصارفون بالذهب والفضة." [2] وكان من قيمته أن العبد يباع بمقدار ما تتركه قدمه من فراغ في الارض ملحا [3] ، بل ان " كل ما عند السودان يباع في الملح كالخيل والثياب والزرع والعبيد ويقال انهم كانوا يبيعون أولادهم فيه." [4]

ومن بين الملاحات التي اشتهر أنها كانت تلبي حاجيات السودان (أوليلى) [5] التي " لا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح الى جميع بلاد السودان." [6]

---

(1) ابن حوقل : صورة الارض، ص101، وفيها يذكران ثمن الملح بين 200و300 دينار.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص 441.

(3) الشنقيطي (احمد الامين) : الوسيط في تراجم ادباء شنقيط، ص463-464، مصر 1911 . ابراهيم علي طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية، ص 74-75، مصر 1970

(4) الشنقيطي : المرجع نفسه، ص 464 . ابن حوقل : صورة الارض، ص 11 .

(5) أوليل : يقول عنها ابن حوقل ان " على سمت اودغست في نقطة المغرب اوليل وهو على نحر البحر وآخر العمارة." واوليل معدن الملح بالمغرب بينها وبين اودغست شهر." انظر ياقوت : معجم البلدان، ج 1، ص 407.

(6) الحميرى: الروض المعطار، ص 64 .

وكذلك ملاحة تغـــاز (1) التي كانت تقطنها قبائل مسوفة وتتولى الحفر على الملح ، وتقايضه ببضائع أخرى كالتمر ولحوم الجمال ." (2) . وكان الملح يصل من سجلماسة حتى غانة (3) .

و يضاف الى ذلك مدينة جنى التي يذكر السعدى انها كانت " مدينه ميمونة مباركة ... وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغازة وأرباب الذهب من معدن بيط ." (4) .

كما وصل السودان الغربي النحاس الملون (5) والأكسيه و ثياب الصوف والعمائم (6) ، والاصداف ، والاحجار (7) ، والعطور وآلات الحديد (8) والحناء التي كانت تكثر بدرعة (9) ، وتجلب منها " الى جميع البلاد لطلبها ولها مزية في البيع على سواها ." (10)

ومن الصادرات ايضا التمر الذى كانت بلاد السودان تتلقاه من بلاد الزاب وسجلماسة (11) ، وكان يصل حتى بلاد لمليم . وقد عرفنا آنفا تمور سجلماسة وأنواعها

---

(1) ابن بطوطه : تحفه النظار ، ص 441 . ابراهيم علي طرخان : دولة مالي الاسلامية ، ص 140 .
(2) ابن بطوطة : نفسه ، ص 441 .   (3) الغرناطي : تحفة الالباب ، ص 42 .
(4) السعدى (عبد الرحمن) : تاريخ السودان ، حققه هوداس وبنوا Houdas et Benoit ص 11—12 ، باريس 1898 .   (5) الحميرى ، الروض المعطار ، ص 46 .
(6) نفسه ، ص 46 .   (7) نفسه ، 46 .
(8) نفسه ، ص 46 .   (9) نفسه ، ص 235 .
(10) نفسه ، ص 235 .
(11) نفسه ، ص 64 . العمرى : مسالك الابصار ، ص 200 .

وحسن جودتها .

وباعت سجلماسة الى السودان كذلك خرز[1] الزجاج ونظمه[2] ، والا سورة ، والخواتيم[3] والودع[4] ، والاواني الفخارية ، والمصابيح التي كانت تصدر الى أودغست[5] .

أما الاندلس فقد وصلها القمح السجلماسي[6] ، ووجدت الكروية والكمون والسكر رواجها في القيروان ، كما صدرت سجلماسة الدرق اللمطية[7] .

---

(1) الخرز: فصوص من حجارة أو من جيد الجوهر. انظر لسان العرب ، مج 5 ، ص 344 .

(2) النظم : التأليف ونظمت اللؤلؤ اى جمعته في السلك وكذلك ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما . انظر لسان العرب ، مج 12 ، ص 578 .

(3) القزويني : آثار البلاد ، ص 11 .

(4) الودع : هي خرز بيض تخرج من البحر جوف ، في بطونها شق كشق النواة . . يتزين بها . وتعلق لدفع الاذى ! انظر لسان العرب ، مج 8 ، ص 380 ؛ القلقشندى : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 164 .

(5) في دراسه اثرية لدونيس عثر على أوان فخارية مستوردة من المغرب الاسلامي ، انظر:

(6) جودت (عبد الكريم يوسف) : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 275 ، 276 .

(7) نسبة الى (اللمط) وهي حيوان دون البقر لها قرون حادة رقاق ، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من أربعة أشبار . واجودها ما عمل من جلود الاناث . انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص 581 .

وتمثلت واردات سجلماسة في القطن والثياب المطرّزة والكتانية والحريرية القادمة من الأندلس[1] . وجلبت من أودغست اماء سودانيات " تباع الواحدة منهن بمائة دينار وأزيد ."[2] نظرا لما امتزن به من مهارة في صنع شتى أصناف المأكولات " فلا يوجد أحذق بصنعتها منهن ."[3]

كما حصلت سجلماسة بفعل التجارة على جلود النمور التي كانت تصل حتى المشرق من بلاد المغرب[4] ، والصمغ ،[5] والعاج ، وريش النعام[6] .

ومن الواردات ايضا نذكر النحاس[7] الذى تواجد في تكدة وهي من مدن مالي الهامة . كما عرفت سجلماسه ايضا فستق قفصة[8] .

---

(1) انظر: Levi Provengal: Op. Cit., 3, p 285.

(2) الحميرى: الروض المعطار ،ص 64 .

(3) نفسه .

(4) كولن: دائره المعارف الاسلاميه ،ماده سجلماسة،ص 301 .

(5) البكرى: المغرب ،ص 152 .

(6) طرخان (علي ابراهيم) : امبراطورية غانة الاسلامية،ص 65 .

(7) طرخان: دولة مالي الاسلامية ،ص 139 .

(8) البكرى: المغرب ،ص 47 .

تجـــارة الذهـــب :

وكانت تجارة الذهب تـتم مع عدة مواقع سودانية نذكر منها غانة التي كانت تصدره مقابل الملح والنحاس الاحمر والفواكه ، ومن بينها التمر ، والودع .

و تتجلّى أهمـية غانة عندما نعرف انها تقع بين مناجم الملح الذى عرفنـــا أهمـــيته بالنسبة للسودان ، ومناجم الذهب في الجنوب .

ومن أهم مناجم الذهب القريبـة من غانه نذكر (ونقارة) التي تحدث عنهـــا الادريسي وحدد موقعها في شرقي غانة التي تبعد عنها بحوالي ثمانية أميال وينعتها بكونها " بلاد التبر المـشهورة بالطيب والكـثرة." (1)

ووصف المسعودى غانه بأن " الذهب ظاهر فيها على الارض يستخرجه أهلـــه و يعملونه مـثل اللبن (2) .

وذكر ابن حوقل بأن " غانة أيسر من على وجه الارض من ملوكها بما لديه من الاموال المدخرة من التبر المـثار." (3)

---

(1) الادريسي : نزهه المشتاق ، ص 39 .
(2) اخبار الزمان ، نقلا عن ابراهيم علي طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ، ص 69 .
(3) صورة الارض ، ص 98 .

والذهب في غانه أنواع يأخذ ملك غانة أجودها و يترك مادونه للرعية تفاديا لانخفاض سعره. وفي ذلك يقول البكري: " وأفضل الذهب في بلاده (أي ملك غانة) ما كان بمدينة غياروا . . . واذا وجد في جميع معادن بلاده الندرة من الذهب استصفاها الملك وانما يترك منها للناس هذا التبر الدقيق ، ولولا ذلك لكثر الذهب بأيدي الناس حتى يهون ." (1)

ويصف الادريسي كيفيه حصول أهل ونقارة على الذهب فيذكر أن " النيل (أي نهر السنغال) يحيط بها من كل جهة ، فان كان شهر اغشت (أوت) وحمي القيظ وخرج النيل وفاض غطى هذه الجزيرة أو أكثرها ، واقام عليها مدته التي من عادته أن يقيم عليها ثم يأخذ في الرجوع ، فاذا أخذ النيل في الرجوع والجزر رجع كل من في بلاد السودان المنحشرين الى تلك الجزيرة بحاثا يبحثون طول أيام رجوع النيل ،فيجد كل انسان منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه ،كثيرا أو قليلا من التبر ،ولا يخيب منهم أحد فاذا عاد النيل الى حده باع الناس ما حصل بأيديهم من التبر وتاجر بعضهم بعضا واشترى منهم أهل ورقلان وأهل المغرب الاقصى وأخرجوه الى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنانير و يتصرفون بها في التجارات والبضائع ، هكذا كل سنة ، وهي

---

(1) المغرب : ص 176-177 .

أكبر غله عند السودان ، وعليها يعوّلون ، صغيرهم وكبيرهم . . . وأهلها أغنياء والتبر عندهم وبأيديهم كثير." (1)

وكانت أودغست كذلك ذات حركة تجارية نشيطه ولها " أسواق حافلة عامرة الدهر كله لا يكاد يسمع الانسان فيها صوت جليسه لكثره غوغاء الناس." (2) ومن مميزاتها انها كانت معبر الملح نحو غانة لدرجة ان ملوكها كانت " حاجتهم الى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام ." (3)

وكان لتجاره الذهب بين أودغست وسجلماسة أن أصبحت مصدرا للربح الوفير. وقد زارها ابن حوقل فرأى فيها " صكا فيه ذكر حق لبعضهم (أى السجلماسيين) على رجل من تجار أودغست ، وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار." (4)

ويصف لنا الجغرافيون الطريقة التي كانت تتم من خلالها مقايضة الذهب بالسلع فيقول المسعودى بأن بغانة" أمم عظيمة ولهم خط لا يجاوزه من صدر

---

(1) نزهه المشتاق : ص 39 .

(2) الحميرى : الروض المعطار ، ص 63-64 .

(3) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 101 .

(4) نفسه .

اليهم ،فاذا وصلوا الى ذلك الخط ، جعلوا الأمتعة والأكسية وانصرفوا ، فيأتــو (كذا ، والأصح فيأتي) أولئك السودان ومعهم الذهب فيتركونه عند الامــتعه وينصرفون ، ويأتي أصحاب الأمــتعة ، فان أرضاهم ، والّا عادوا ورجعوا ، فيعــود السودان فيزيدونهم حتى تــتم المــبايعة." (1)

ويظهر أن هذه الطريقة كانت مــتبعة منذ القديم حتى عند القرطاجــيين كما يذكر ذلك هيرودوت(2) .

(1) أخبار الزمان ، نقلا عن ابراهيم طرخان: امبراطورية غانة الاسلامية ، ص 71 .

(2) انظر: Gau ier (E.F.): Le passé de l'Afri-ue du Nord, pp 48-58.

وانظر أيضا جوان جوزيف : الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ، ص 45 وما يليها ، ترجمة مختار السويفي ، بدون تاريخ .

تجـــارة الرقيق :

الرق كما عرّفه الاسلام هو " عجز حكمي يصيب من يقع أسيرا في حـــــرب مشروعة"، ومن هنا يختلف الرق في شريعة الاسلام مصدرا ومفهوما عن قوانـــين وشرائع الشعوب الأخرى .

غير أن الرق لم يـبق في الحدود التي رسمها الاسلام خاصة بعد توقـف حركة الفتوحات في العصر العباسي فأصبح الرق المجلوب هو المصدر الرئيسـي للرق ، وأصبحت تجارة الرقيق موردا سخيا للرزق (1) .

وقد حث الاسلام على العتق ويسّر سبله وجعله أحد طرق الكفارات .

وأمر الاسلام أن يعامل العبد معاملة احسان ورفـق ، وورد في الحديث " اخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ."

وقد ازدهرت تجارة الرقيق سواء المـأسور أو المجلوب في العصور الوسطى ،

---

(1) الترمانيني (عبد السلام) : الرق ماضيه وحاضره، ص 36 . سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 1985 .

فاشتهرت به في العالم الاسلامي أسواق مكة والمدينة ودمشق والقاهرة ، والاسكندرية وبغداد والبصرة ، والكوفة ، ومراكش ، وسمرقند ، و بخارى .

وفي العالم المسيحي عرفت به البندقية و بالرم Palermo ومرسيليا وبروفلنص .

وعرفت أسواق العبيد بأسواق النخاسة ، وكان تجار العبيد (النخاسون) يتفننون في طرق التدليس لا سيما عند بيع الاماء (1) .

و يصف لنا ابن بطلان في رسالته ما يتحلى به كل صنف من الاماء ، لا سيما الزنجيات من أوصاف خِلقيه وخُلقيه (2) .

وقد تعامل السودان مع بلاد المغرب بما فيها سجلماسة في تجارة الرقيق التي راجت ، وجنت منها بلاد السودان أرباحا وفيرة ، وكانت في كومبي صالح ، عاصمة غانه ماضيا ، سوق تروج فيها تجارة الرقيق (3) .

---

(1) الترمانيني : الرق ماضيه وحاضره ، ص 106 . آدم ميتز : الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجرى ، ج 1 ، ص 295 . لويس لمبارد : الاسلام في مجده الاول ترجمة اسماعيل العربي ، ص 318 ، الجزائر 1979 .
(2) انظر (رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد) نقلا عن عبد السلام الترمانيني ، الرق ماضيه وحاضره ، ص 110 - 111 .
(3) طرخان (ابراهيم علي) : امبراطورية غانه الاسلامية ، ص 72 .

ولعل من أهم مراكز بيع الرقيق أودغست التي كان يجلب منها السودانيات الماهرات في الطبخ وبلاد لملم التي يغير عليها بريسي وتكرور وغانة " فيسبون أهلها ويجلبونهم الى بلادهم فيبيعونهم من التجار الداخلين اليهم فيخرجهم التجار الى سائر الأقطار." (1)

وتتعدد مهن العبيد ، فالجواري منهم اماء (جمع أمه) للخدمة أو المتعة ، وذكورهم يعملون في الزراعة وفي الجندية ، علما بأنهم كانوا كثيرين في بلاد المغرب الاسلامي ، اذ يشير ابن عذارى الى أن يوسف بن تاشفين اشترى منهم ألفين (2) ، وأن عبد المؤمن بن علي قتل منهم في عام البحيرة نحو ثلاثة آلاف من سودان أهل أغمات (3) .

---

(1) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 33-34 .

(2) البيان المغرب : ج 4 ، ص 23 .

(3) نفسه ، ج 4 ، ص 84 .

دور اليهود في التجارة :

وقد لعب اليهود دورهم في الحياة الاقتصادية لا سيما التجارية منها ، بسجلماسة والمناطق القريبة منها كدرعة التي كان " أكثر تجارها اليهود ." (1)

وبسجلماسة كانوا يمتهنون الصناعة والتجارة وخاصة في قصر (تابوعسمت) (2) وليس مستبعدا أن كون جماعة منهم قد قدمت من قمنورية (3) ، وقد كان أهلها " فيما يذكره التجار يدّعون أنهم يهود " (4) .

وكانوا " ممحونين من جميع الطوائف المجاورة لهم المحدقين بأرضهم ... فأفنتهم الأيام وتوالت عليهم الفتن والغارات من جميع الجهات غفلوا (كذا) في تلك الأرض ، وفروا عنها واعتصموا في الجبال وتفرقوا في الصحارى ودخلوا في ذمة من جاورهم ." (5)

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، مج 2 ، ص 567 .

(2) الوزان : وصف افريقيا ، ص 497 .

(3) قمنورية : يذكر الادريسي انها " في جهه الشمال متصلة من غربيها بالبحر المظلم ، وتتصل من جهه شرقيها بصحراء نيسر وعلى هذه الصحراء طريق تجار اهل اغمات وسجلماسة ودرعة والنول الاقصى الى بلاد غانة وما اتصل به من ارض ونقارة التبر" ، انظر نزهة المشتاق ، ص 86 .

(4) نفسه ، ص 86-87 .

(5) نفسه ، ص 86-87 .

وما دامت سجلماسة وثيقة الصلة بالسودان بسبب التجارة فمن المحتمل أن يكون يهود قمنورية أحد عناصر اليهود المتواجدة بسجلماسة . والتي نزلت بسجلماسة " لما علموا (أى اليهود) أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه ، فهم يعاملون التجار به ليخدعونهم (كذا ، والصحيح ليخدعوهم) بالسرقة وأنواع الخدائع ." (1)

---

(1) لمؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 202 .

العملة وموارد الدولة :

بالنسبة لعملة بني مدرار نكاد لا نعرف عنها شيئا باستثناء ما ذكره ابن حزم ونقله عنه غيره من أن الشاكر لله " كان في غاية العدل و تسمى بالشاكر واليه تنسب المثاقيل الشاكرية." (1)

وربما كانت معادن درعة مصدرا لجلب المادة الاولية لضرب العملة التي استفاد منها اليسع بن أبي القاسم . وكذلك ذهب السودان الذى وصلها عن طريق التجارة .

وكانت لسجلماسة دور لضرب السكة في قصر تابوعسمت وقصر المأمون وقصر تاينجيوت " حيث تضرب فيها عملة فضية وذهبية." (2)

ولم يقتصر ضرب العملة في سجلماسة على بني مدرار فقط بل ضرب حتى

---

(1) ابن حزم : نقط العروس ، تحقيق احسان عباس ، ص 85 . صالح بن قربة : المسكوكات المغربيه ، ص 429-459 ، الجزائر 1986 . وفيها يشير المؤلف الى ان 26 قطعة ذهبية من نقود الشاكر عثر عليها في الهاشمية ولاية البويرة سنه 1977 وهي محفوظة بالمتحف الوطني للاثار القديمه بالجزائر.

وانظر ايضا : Lavoix (H.): Catalogue des monnais musulmanes, 2. Paris 1891.

(2) الوزان : وصف افريقيا ،

لحساب بني أمية بالأندلس ". بعض الدنانير التي تعود الى الفترة 378و384هـ/ 988-995م ، ضربت باسم هشام الثاني في سجلماسة (1) .

ومن وسائل المعاملات المالية التي تنوب أحيانا عن العملة نذكر الصكوك (2) ، التي استعملها السجلماسيون في تجارتهم كما عرفنا من قبل .

أما عن موارد الخزينة فيمكننا أن نحصي منها الزكاة ، والضرائب على المبيعات والمشتريات وتجارة الصادر والوارد . وقد عبّر ابن حوقل عن ذلك بقوله " ولم يزل المعتز (أي المعتز بن بسادر أحد أمراء بني مدرار) أيام ولايتها وهو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان ، وعشر وخراج وقوانين قديمة (كذا ، وربما يقصد بها ضرائب تدخل ضمن العرف العام) على ما يباع بها ويشترى من ابل وغنم و بقر الى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية وفاس والاندلس والسوس الاقصى وأغمات ." (3)

---

(1) انظر:

Levi Provinçal: His oire de l'Espagne musulmane, 3, p 259.

(2) الصكوك: مفرده الصك ، وهو " الكتاب ، فارسي معرب ، وأصله جك . . . وكانت الأرزاق تسمى صكا لأنها كانت تخرج مكتوبة ، ومنه حديث ابي هريرة : قال لمروان أحللت بيع الصكاك ، وذلك ان الامراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتبا فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلا ويعطون المشترى الصك ليمضي ويقبضه ، فنهوا عنه لأنه بيع ما لم يقبض " ، انظر لسان العرب ، مج 10 ، ص 457 . آدم ميتز: الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجرى ، ج 2 ، ص379 .

(3) صورة الارض ، ص 99 ، ط . ليدن 1967 .

تعتبر الفترة الممتدة بين القرنين الهجريين الثاني والرابع أزهى الفترات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، لاسيما جانبها الفكرى والعلمي .

فخلال هذه الفترة ازدهرت العلوم النقلية من تفسير وحديث وفقه وأصول ، كما ازدهرت العلوم العقلية من (كلام) وفلسفة ورياضيات وفلك وطب وغيرها .

ودولة بني مدرار الصفرية - وهي وليدة القرن الثاني للهجرة . والتي استمرت ككيان سياسي حتى القرن الرابع الهجرى - لم تشذ عن هذه القاعدة .

لكن ، وبالرغم من أن المؤرخين يجمعون على أن سجلماسة ، وتيهرت كانتا آنئذ " من المراكز الثقافية الكبرى . . . ووفد اليهما طلاب العلم من سائر أنحاء المغرب ." (1) الا أننا في هذه الدراسة نصطدم لأول وهلة بقلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن الأوضاع الفكرية والعلمية في سجلماسة بني مدرار .

ذلك أن توالي الحروب ، وعدم الاستقرار السياسي الذين عرفتهما المنطقة خلال الفترة ، موضوع البحث ، نتج عنهما اتلاف الكثير من المؤلفات ، ووفاة الكثير من العلماء . ولعل خيرما يعبّر عن ذلك هو قول الدرجيني متحدثا عن موقعة

---

(1) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص222 .

مـانو[1] ونـتائجها السلبيةَ على العلم والعلماء : " ذكر من يوثق به أن عـدة (كذا) القتلى اثنا عشر الفا . . . وكان في القتلى اربعمائةَ عالم ، ولم يـبق بعدهم عالم يفـتي في النوازل الا أبو القاسم البغطوري، و عبد الله بن الخير." [2]

ومن أسباب ذلك أيضا الخلافات المذهبيةَ وما لعبته من دور في اختفاء أو مصادرةَ الكـثير من التآليف ، ولا يستبعـد أن يكون لجيش عـبيد الله المهدى يد في هذا الدور ، فـقد شهدت الدولة الرستمـيةَ مـثل هذا الفعل عندما داهـم الجيش الفاطمي تيهرت ، اذ اليه ينسب أمر حرق مـكتبتها المعروفة بالمعصومة[3] .

---

(1) موقعةَ مانو: كانت بأمر من الخليفةَ العباسي المتوكل ،عندما وجه جيشا بقيادةَ ابراهيم ابن احمد الاغلبي لضرب الاباضيةَ بتيهرت ، لكنهم اعترضوا طريقه في طرابلس ، فكانت موقعةَ مانو على ساحل البحر. انظر طبقات المشايخ ،ج 1 ،ص 87، 88 .

(2) الدرجيني : طبقات المشايخ ،ج 1 ،ص 89 .

(3) نفسه: ج 1 ،ص 94 ، وفيها يقول : " وذكر انه وجد (أى عبيد الله المهدى) صومعةَ مملوءة كتبا وهي المشتملة على ديوان تاهرت الذى يذكره العزّابةُ، فانتقى منه وأحرق الباقي ،فلم يبق لشيء من الديوان أثر أصلا ." ، وفي سير ابي زكريا " ثم ان الحجاني (يقصد عبيد الله المهدى) دخل المدينةَ وانتهبها وانتهك حرماتها ، وأجلى كثيرا ممن فيها وجعل أعزةَ أهلها أذلةً وكذلك يفعلون ، وذكروا انه وجد بها صومعةَ مملوءه كتبا فاستخرجها كلها واقتنى منها ما يصلح للملك والحساب(وربما الفلك والحساب) وأضرم النار في بقيتها ." ص 112 _113 .

وحول مدى صحةَ هذه الروايةَ انظر موسى لقبال : دور كتامةَ في الخلافةَ الفاطميه ، ص 345 ،346 ،347 .

واذا رجعنا الى العوامل التي جعلت من سجلماسة بني مدرار احدى المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب فاننا نجدها ممثلة في العديد من الاسباب منها :

الدور الذى لعبه أمراء بني مدرار أنفسهم في تعزيز الحياة الفكرية في الدولة ولا غرو في ذلك ونحن في فترة العصور الوسطى الاسلامية ، حين كان تعيين الامام يخضع لمقاييس شرعية ، منها التفقه في الدين ، ولعل الامر يتأكد أكثر مع الخلفاء الذين تقلدوا الحكم على أساس مذهبي مثل امراء بني مدرار خاصه وأن هؤلاء يحتاجون الى مقارعة خصومهم ومعارضيهم بالدليل العقلي والنقلي .

كما كان لمواسم الحج ، والرحلات دورهما في تغذية الجانب الفكرى ، لأنها كانت فرصا مواتية يلتقي فيها الخوارج الصفرية باخوانهم في المذهب وفي غير المذهب فينال بعضهم العلم من البعض الآخر أو يطلب الفتوى في النوازل الفقهية ، والقضايا (الكلامية) .

وقد عبّر ابن حوقل - وهو من أحياء القرن الرابع الهجرى - عن واقع سجلماسة العلمي فذكر أن " أهلها سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر ، مع علم ، و ستر ، وصيانة(1) ، وجمال ، واستعمال للمروءة(كذا)

---

(1) المقصود بها صيانة النفس والعرض ، يقول الشاعر:

ابلغ إياسا أن عرض ابن اختكم ردآؤك فاصطن حسنه أو تبدّل

فيصح أن نقول صان ، واصطان . انظر ابن منظور : لسان العرب ، مج 13 ، ص 250 ، بيروت 1956 .

وسماحة ورجاحة." (1) وهذه أوصاف تنطبق عادة على العلماء .

ويضيف ابن حوقل فيقول : " ودخلتها سنة أربعين ، فلم أر بالمغرب أكثر مشايخ (كذا) في حسن سمت (2) ، ومسازجة للعلم وأهله الى سعة نفوس عالية ، وهم سامتة (3) ساميه." (4)

وما دامت الكثير من العلوم النقليه وبعض العلوم العقلية (كعلم الكلام والفلسفة) وثيقة الصلة بالمذاهب الفقهية والعقائدية فسينصب الحديث هنا حول الحياه المذهبية في سجلماسة بني مدرار قبل أن نلج موضوع العلماء والمناظرات العلمية وغيرذلك مما له علاقة بالموضوع .

ويظهر أن سجلماسة من الناحيه المذهبية الفقهية قد عرفت بعض المذاهب السنية المعروفة ، ويأتي في مقدمتها المذهب المالكي ، والحنفي ، كما عرفت من المذاهب العقائدية والسياسية المذهبين الخارجيين الصفري والاباضي ،

---

(1) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 91 .

(2) السمت : حسن النحو في مذهب الدين ، والفعل سمت يسمت سمتا ، وانه لحسن السمت أى حسن القصد والمذهب في دينه ودنياه .

— انظر لسان العرب ، مج 5 ، ص 46 ، 47 ، بيروت 1955 .

والمذهب الاسماعيلي الشيعي ، ومذهب الاعتزال .

ويعزى تواجد هذه المذاهب بسجلماسة الى عده عوامل ، نذكر منها أن دولة بني مدرار – وبالرغم من منطلقها المذهبي الصفرى في بداية أمرها الا أن أمراء بني مدرار لم يتقيدوا بهذا المذهب أرذاك ، مثل أبي القاسم سمكو الذى " خطب في عمله للمنصور والمهدى من بني العباس ." (1) وهم يمثلون دوله سنية ، كما أن أبا القاسم هذا كان يتردد بين المذهبين الاباضي والصفرى (2) ، اما الشاكر لله فقد " أظهر السنة ، وخالف آباءه في المذهب ." (3)

ذلك ان أمراء بني مدرار لم يكن يعنيهم أمر المذهب الصفرى بقدر ما كانت تعنيهم المصلحة الاقتصادية لامارتهم التي كانت بوابة المغرب النافذة الى بلاد السودان الغربي حيث معادن التبر ، كما أنها كانت محطة للقوافل التجارية ، ولهذا مارس بنو مدرار سياسة تسامح أمام المذاهب الأخرى حتى تبقى سجلماسة منطقة جذب لا منطقة طرد .

---

(1) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 165 .
(2) ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 267 .
(3) ابن حزم : نقط العروس ، تحقيق احسان عباس ، ص 15 .

ثم ان دولة بني مدرار - بعد وفاة اليسع بن أبي القاسم - انتابها الضعف وفتح خلفاؤه الباب للنفوذ الاباضي خاصة عندما اصهر ابنه مدرار لبني رستم وتزوج من أروى .

المذهب السني في سجلماسة (المالكيه والأحناف) :

يحدثنا المقدسي أن أهل سجلماسة كانوا " أهل سنة وقوما جياد ." (1)
وتحدثنا المصادر التاريخية ان محمد بن الفتح الشاكر لله كان " سنيا على مذهب المالكية ." (2) وربما كان ذلك نوعا من التعبير عن تمرده على الدولة الفاطمية ومحاولتها فرض المذهب الاسماعيلي ، كما يمكن أن يكون ذلك بعامل الاقتناع بهذا المذهب ، أو بقصد مخاطبة ود العباسيين حتى يعطي حكمه صبغة الشرعية عندما تجرأ على لقب الخلافة وسمى نفسه أمير المؤمنين (3) .

(1) أحسن التقاسيم في معرفه الاقاليم ، ص 231 .
(2) البكرى : المغرب ، ص 151 . ويرجع الفضل في انتقال الفقه المالكي الى بلاد المغرب الى علي بن زياد الذى سمع عن مالك موطأه ، ثم قدم افريقية ومعه نسخة منه وتتلمذ على أسد بن الفرات وسحنون . كما لعب عبد الله بن فروخ دوره في نشر المذهب الى جانب البهلول ، وابن غانم وسحنون .
ولعل من أبرز عوامل رسوخ المذهب المالكي ببلاد المغرب والاندلس بعد أن كانت الحنفية هي السائدة في افريقية والاوزاعية في الاندلس ، ان بلاد المغرب بما فيها الأندلس تغلب عليها طابع البداوة مثل بلاد الحجاز موطن الامام مالك التي جاء فقهه مناسبا لأوضاعها الاجتماعية .
= / =

كما يحتمل وجود المذهب الحنفي في سجلماسة ، ذلك أن بلاد المغرب عرفت هذا المذهب ، وكانت له الغلبة قبل أن يتمكن المذهب المالكي على يد سحنون بن سعيد التنوخي .

وطابع سجلماسة التجاري يسمح بتواجد هذا المذهب بها ، فقد سكنها أهل العراق من كوفيين و بصريين و بغداديين (1) ، والعراق كما نعرف، كانت مركز الامام أبي حنيفة ، ولا يستبعد أن يكون المذهب قد انتقل الى سجلماسة عن طريق التجار القادمين من العراق أو القادمين نحوه من سكان سجلماسة ، أو عن طريق طلبة العلم .

=/= بينما يرجع تغلّب المذهب المالكي في الاندلس الى كون يحيى بن يحيى أصبح قابضا على مقاليد الامور وكان متعصبا للمذهب المالكي ، مما دفع الناس الى التفقه فيه رغبة في تولي الوظائف .
– انظر في هذا المجال : مدارك القاضي عياض ، ورياض النفوس للمالكي ، ومعالم الايمان للدباغ ، والصراع المذهبي بافريقية لعبد المجيد المجدوب ، والاعلام : للزركلي .
(3) البكري : المغرب ، ص 151 .

---

(1) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 68 .

المذهب الاسماعيلي في سجلماسة:

تذكر النصوص الشيعية أن التشيع وجد طريقه الى سجلماسة قبل وصول الدعوة الفاطمية الى بلاد المغرب عن طريق أبي عبد الله الشيعي. فهذه النصوص تذكر أن المهدي عبيد الله وجد عند قدومه الى سجلماسة، من يتبنى المذهب الشيعي، فقد أسرّ أحد السجلماسيين الى المهدي عند وصوله الى سجلماسة ان أجداده يبشرون بمقدمه اليهم ثم عبّر له عن عزمه على التفاني في حماية عبيد الله عندما سأله المهدي قائلا: " فاذا علمت هذا وصحّ عندك بما عاينت اليوم أترى أن تشيط [1] بدمائنا ؟ فقال له لا والله يا مولاي ولو قدرت أن أخبئكم في أحشائي وأطبّق عليكم أجفاني لفعلت."[2]

كما تروى المصادر الاباضية أن عبيد الله المهدي قصد بيتا من بيوت سجلماسة فوقعت له حادثة مع صاحب الدار التي حلّ بها مفادها أن صاحب الدار" رأى فيما يرى النائم ثعبانا عظيما مضطجعا في الدار فانتبه مرعوبا فزعا فمكث باقي ليلته متململا، فلما أصبح عليه طلع الى عبيد الله وهو في عليا الدار، وقد كان رآه قبل ذلك يقرأ كتابا وينظر فيه، فقصّ عليه الرؤيا

(1) الاشاطة: الهلاك، وشاط دمه وبدمه أذهبه. انظر لسان العرب، مج 7، ص 338.
(2) اليماني: سيرة الحاجب جعفر، ص 120 .

ولم يخبره بمن رآه قال عبيد الله ان كانت الرؤيا صادقه فالثعبان العظيم يملك المشرق والمغرب ، فلما سمع الرجل ذلك من قوله طأطأ على يده فقبلها وقال العفو يا مولاى ." (1)

وسواء صحت هاتان الروايتان أو لم تصحا فان الذى لا مراء فيه أن الفاطميين تفانوا في التمكين للمذهب الاسماعيلي في بلاد المغرب كلها ، كما أن لجوء المهدى الى سجلماسة لا يستبعد أن يكون " بعلم سبق أو بشيء اتفق عليه ." (2)

---

(1) ابو زكريا : سير الائمة وأخبارهم ، ص 110 .

(2) جودت (عبد الكريم يوسف) : السياسة الخارجيه للدوله الرستمية ، ص 224 .

الواصليــــة[1] في سجلماسة :

ويتحدث ابن حوقل عن المناطق القريـبة من سجلماسة ، فيذكر أن " في بعضهم الاعـتزال ." [2] ولهذا نرجّـح تواجد طائفة من الواصلية في سجلماسة ، سيّما وقد وفّرت الدولة لهم حرية التعبير عن آرائهم الكلامية في اطار سياسة التسامح تجاه المذاهب الأخرى . ومما يؤكد هذا الاتجاه أن الدولة الرستمية وهي أكثر محافظة فيما يخص المذهب ، سمحت لهم بالتواجد في تيهرت حتى أن عددهم كان يزيد عن الثلاثين ألفا [3] . وقد أسهبت كتب الاباضية في ذكر المناظرات التي كانت تجرى بينهم وبـين شيوخ الاباضية(4) .

---

(1) يذكر احمد أمين في فجر الاسلام أن واصل بن عطاء – وهو رأس المعتزلة " بعث عبد الله بن الحارث الى المغرب" بغية نشر آرائه ونظرياته . ولهذا فمن الراجح أن يكون مذهب الاعتزال قد دخل بلاد المغرب قبل سنه 131 هـ/ 748م وهي سنة وفاة واصل بن عطاء . انظر : فجر الاسلام ، ص 300 .

وقد وجد هذا المذهب مقاومة في بلاد المغرب من طرف كثير من العلماء كالبهلول بن راشد ، وعلي بن زياد ، واستدلت المالكية بحديث رواه ابو خارجة عنبسه الغافقي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما بعث الله نبيا قبلي ، فاجتمع على امر امته الا كان فيهم قدرية ومرجئة يوسوسون أمر أمته من بعده ، ألا ان الله لعن القدرية والمرجئة على لسان اثنين وسبعين نبيا " . انظر في ذلك المالكي : رياض النفوس ، ج 1 . ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقيه .

(2) صورة الارض : ص 103 . (3) البكرى : المغرب ، ص67 . ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص121 .

(4) انظر في هذا المجال : ابن الصغير : اخبار الائمة الرستميين ، ص 82 .
ابو زكريا : سير الائمة واخبارهم . الدرجيني : طبقات المشايخ ، ج 1 .

الاباضية في سجلماسة :

لا شك أن الاباضية كانت لهم مواقع في سجلماسة بل كان لهم نفوذ وسطوة أحيانا فالأمراء المدراريون ذاتهم تأرجحوا بين المذهبين الاباضي والصفرى ، وعندما تمت المصاهرة بين البيتين المدرارى والرستمي ، زاد معه نفوذ الاباضية بسجلماسة . وعلى كل فالتقارب بين المذهبين من حيث مبادئهما يشجع هذا التواجد خاصة وقد علمنا أن داعية الاباضية مسلمة بن سعد ، وداعية الصفرية عكرمة مولى بن عباس جاءا الى بلاد المغرب على راحلة واحدة[2] .

اما الدليل الملموس على هذا التواجد فهو كون المصادر الاباضية تذكر ان الاباضية بسجلماسة كانوا يبعثون بزكاتهم الى عبيدة الاعرج[2] يصرفها حيث شاء[3] .

ولعل من ابرز نتائج التسامح الديني والمذهبي وما صاحبه من تعايش بين مختلف المذاهب الفقهية والعقائدية هو اقامة المناظرات ومجالس الجدل خاصة بين الخوارج والواصلية من جهة وبين الخوارج أنفسهم من جهة ثانية

---

(1) ابو زكريا : سير الائمة وأخبارهم ، ص 42 ، 129 .

(2) انظر أخباره عند ابن الصغير : اخبار الائمة الرستميين ، ص 82 .

(3) نفسه ، ص 85 .

وبينهم وبين الاسماعيلية من جهه ثالثة.

ولا شك أن موضوعات الجدل والمناظرات التي كانت تشغل بال علماء المغرب الاسلامي هي ذاتها تلك التي كانت موضوع الساعة وقتئذ في العالم الاسلامي كله كقضيه الامامة، وصفات الله، وأعمال العباد وما فيها من جبر واختيار، ومسأله خلق القرآن، زيادة على النوازل الفقهية المحضة. ثم ما يختص بفرق الاباضية بعد افتراقها وما نتج عنه من جدل بين الوهبية والنكارية وغيرهما.

واذا كنا نعلم الكثير من صور الجدل بين اباضية تيهرت، فاننا لا نكاد نملك شيئا عما كان يجرى بين الصفرية في سجلماسة، عدا ما ذكره الاباضية في كتبهم وهم يترجمون لمشاييخهم الذين عاشوا في سجلماسة. ومن قبيل ذلك ما ذكره أبو زكريا عن أبي الربيع سليمان بن زرقون من أن أهلها " اختلفوا بعده في مسألة فكادوا يقتتلون عليها، فاتفقوا على أن يبعثوا رجلين بمسائل الى ابن زرقون اينما كان يستفتيانه . . . فأفتى لهما بوجه الحق فكر الرجلان راجعين حتى وصلا سجلماسة فأخبرا بما أفتى به فاصطلحوا بعدما كانوا يقتتلون." (1)

---

(1) سير الائمه وأخبارهم، ص 128-129. الدرجيني: طبقات المشايخ، ج 1، ص 110، 111.

كما تحدثنا المصادر الاسماعيلية عن انموذج شبيه بمناظرة تمت بين المعز لدين الله الفاطمي ومحمد بن الفتح الشاكر لله ، وكان ممن حضرها القاضي النعمان ، وتنوعت موضوعاتها ، فتناولت قضية الامامة ، وحكم أكل لحم الفرس ، ونجاسة بوله (1) .

ويفهم من جو هذه المناظرة أن الشاكر لله كان له اطلاع على تآليف الشيعة ، ومنهم القاضي النعمان اذ طلب تآليفه بغيه الاطلاع عليها .

---

(1) انظر نص المناظرة في المجالس والمسايرات ، ص 414 الى 417 . عيون الاخبار : ص 622 وما بعدها .

علمـاء سجلماسة على عهد بني مدرار :

عرفت سجلماسة جمهرة من العلماء سواء من مواليدها أو من المنتسبين اليها ممن أقام فيها بهدف الدراسة أو التدريس ، ومن هؤلاء العلماء نذكر:

عيسى بن سعادة : ويصنفه ابن بشكوال في قائمة الغرباء بالأندلس (1) . وحسب القاضي عياض كانت رحلته الى الأندلس سنة ثلاث وثلاثمائه هـ/ 915م . وقد أخذ العلم ببلده عن خير الله بن قاسم ، ثم ارتحل الى القيروان ومصر والأندلس ، وكان في صحبته نحو المشرق أبو الحسن القابسي (2) ، وأبو محمد الأصيلي (3) ،

---

(1) كتاب الصلة في تاريخ ائمه الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، ج 2 ، ص 418 ، مصر 1955 .

(2) أبو الحسن القابسي : شيخ المالكية بافريقية في عصره كان فقيها أصوليا متكلما حافظا للحديث ، ولد سنه 324 هـ/ 935م ، رحل الى المشرق ثم عاد الى القيروان ، له (الممهد) في الفقه ، و (ملخص الموطأ) و (المنقذ من شبه التأويل) ، توفي سنه 403 هـ/ 1012م . انظر: ابن قنفذ (ابو العباس احمد بن الخطيب) كتاب الوفيات ، هامش ص 227-228 ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت 1982 .

(3) أبو محمد الاصيلي : هو عبد الله بن ابراهيم رحل في طلب العلم الى الاندلس والمشرق توفي بقرطبة 392 هـ/ 1002م ، له (الدلائل على أمهات المسائل) .

أنظر الزركلي : الاعلام ، مج 4 ، ص 63 .

فسمع من حمزة بن محمد الكناني (1) " وكان في الحفظ عجبا ، أبله في أمر دنياه ... ولمـا مات تنازعت (كذا) الفقهاء والمحدثون ، كلهم يدعيه ويقول : أنا أحق بالصلاة عليه ... قال القابسي : وذكر مسألة فقال : كذا قال في هذه المسألة عيسى بن سعادة ، الذى ما تكلم قط في مسألة حتى يتقنها ."(2) وكانت وفاته بمصر سنه 355 هـ/ 965م (3) .

حماد السجلماسي : وكان الى جانب اهتمامه بالعلم ممارسا للتجارة ، وأقام بالقيروان ، وكان أول من قدم بفقه ابن الماجشون (4) الى القيروان ، وسمع منه عامة أصحاب سحنون (5) وروى عنه حفيده . وكان تتلمذه على علماء منهم

---

(1) حمزة بن محمد الكناني المصرى : من حفاظ الحديث ، توفي سنه 357 هـ/ 968م ، له كتاب (البطاقة) وهو أمال في الحديث .

(2) القاضي عياض (ابو الفضل بن موسى) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفه أعلام مذهب مالك ، تحقيق احمد بكير محمود ، ج 4 ، ص 539-540 ، بيروت ، بدون تاريخ .

(3) نفسه .

(4) ابن الماجشون : هو عبد الملك بن عبد العزيز ، فقيه مالكي ، دارت عليه الفتيا في زمانه وعلى ابيه قبله . انظر الزركلي : الاعلام ، مج 7 ، ص 160 .

(5) سحنون : هو عبد السلام بن سعيد التنوخي ، قاض وفقيه انتهت اليه رئاسة العلم في المغرب ، وولى قضاء القيروان سنه 234 هـ/ 848م . توفي سنه 240 هـ/ 854 م . انظر الزركلي : الاعلام ، مج 4 ، ص 5 .

ابن الماجشون (1) . و بالرغم من أننا نجهل تاريخ مولده ووفاته الا أننا نستنتج من معاصريه الذين ذكرناهم انه كان حيا خلال القرن الثالث الهجرى .

جساس الزاهد : ويصنّفه ابن الفرضي مع غرباء الأندلس ، ويقول عنه أنه " كان من أهل سجلماسة ... كانت له رحلة الى المشرق . " (2) ونجهل أيضا الفترة الزمنية التي كان فيها حيا على وجه التدقيق الا أنه من المؤكد أنه كان حيا خلال القرن الرابع الهجرى ، ذلك ان ابن الفرضي المتوفى سنه 403 هـ/ 1012 م ، وهو يتحدث عن (جساس الزاهد) يقول " كتب الينا عبد الرحمن بن خلف التجيبي الثغرى يخبرنا انه سمع منه كتاب الزهد ليمن بن رزق بمجريط " (3). فعبد الرحمن بن خلف الذى كان معاصرا لابن الفرضي سمع من جساس الزاهد أى كان معاصرا له .

ومن العلماء الذين أقاموا بسجلماسة طلبا للعلم نذكر :

---

(1) انظر : ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ، ص 203 . القاضي عياض : المدارك ، ج 3 ، ص 9 .

(2) ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله) : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، ج 1 ، ص 123 ، مصر 1954 .

(3) نفسه ، ج 1 ، ص 403 . ومجريط مدينة بالاندلس قرب طليطلة ، انظر عنها الحميرى : الروض المعطار ، نشر بروفنصال ، ص 179—180 .

ابن الجمع أو ابن الجمعي : وكان على حد قول أبي زكريا " رجلا من أهل الدعوة أقبل من المشرق تاجرا ينتحل جميع الفرق وكان غزير العلم ." (1) و على أيامه كانت سجلماسة قبلة علم تشد اليها الرحال ، لهذا سار نحوها صحبة تلميذه أبي الربيع سليمان بن زرقون ، و يبدو أن مكوثهما قد طال بسجلماسة طلبا للعلم اذ يذكر أبو زكريا أنهما " لمّا وصلاها (أى سجلماسة) مكث (أى ابن زرقون) عنده سنين كثيرة ." (2) وكان ابن الجمع " مطلعا على علم الحيل والنظر ، نحريرا ." (3)

أبو الربيع سليمان بن زرقون : وهو من تلامذة ابن الجمع ، وكان " فاهما ، حاذقا ، ذكيا " (4) ولهذا أعجب به ابن الجمع ، وكان ثاني اثنين من تلامذته اللذين اصطحبهما معه الى سجلماسة . وربّما يكون استاذه قد أجازه في حياته اذ أوصى اليه بكتبه عندما حضرته الوفاة .

---

(1) سير الائمة وأخبارهم ، ص 128 . ويسميه الدرجيني ابن الجمعي ، انظر طبقات المشايخ ، ج 1 ، ص 109 .

(2) ابو زكريا : سير الائمه وأخبارهم ، ص 128 .

(3) الدرجيني : طبقات المشايخ ، ج 1 ، ص 109 . والنحرير أو النحر : الحاذق الماهر العاقل المجرّب . . . المتفنن البصير في كل شيء ، وجمعه نحارير . انظر لسان العرب ، مج 5 ، ص 197 .

(4) ابو زكريا : المصدر السابق ، ص 128

وكانت الوفود تختلف اليه حتى من سجلماسة طالبة للفتوى (1)، كما تروى عنه كتب الطبقات الاباضية الكثير من النوازل الفقهية والمناظرات مع النكارية " فلم يزل بهم حتى ردّهم الى مذهب الوهبية ." (2)

أبو القاسم يزيد بن مخلد : وتعلّم في سجلماسة مع ابن زرقون على ابن الجمع (3)، كما درس أيضا علم الكلام على حسنون بن أيوب (4)، ودرس بقيه العلم على أبي الربيع سليمان بن زرقون (5).

ولعل يسر حاله هو الذى شجعه على طلب العلم فقد كان في " مقدمة المؤمنين الأغنياء ." (6)

---

(1) انظر ما قبل ص 174 وهامش رقم 1 .

(2) الدرجيني : طبقات المشايخ ،ج 1،ص112 .

(3) ابو زكريا : سير الائمة وأخبارهم ،ص 128 .

(4) علي يحيى معمر: الاباضية في موكب التاريخ ،ج 3، القسم 1،ص 52 .

(5) نفسه،ص 52 . بينما يذكر ابو زكريا انه تعلم في سجلماسة هو وابو الربيع سليمان عند ابن الجمع . انظر سير الائمة وأخبارهم ،ص 128 . وتوفيقا بين النصين نرجّح أن يكون أبو القاسم يزيد أكمل تحصيله العلمي على يد ابن زرقون بعد أن توفي ابن الجمع وأجاز ابن زرقون قبل وفاته .

(6) على يحيى معمر: الاباضية في موكب التاريخ ،ج 3، القسم 1، ص 51 .

ويعتبر ابو القاسم يزيد بن مخلد " من كار الائمة الذين بلغوا درجة الاجتهاد " (1)
وكان اذا دخل القيروان " اضطربت المدينة من أجله بفنون العلم والسوءالات (كذا) والمعضلات يدّخرونها ليسألوه عنها ." (2)

وذاع صيت ابي القاسم يزيد حتى وصل المعز لدين الله الفاطمي الذى كان معجبا به مع أركان دولته " فكانت مسائله عندهم مستقضية وجميع أحواله مرضية ." (3)

وعندما ذكر ابو القاسم يزيد بن مخلد في مجلس المعز قال " يزيد بن مخلد لم تلد العرب مثله ." (4)

وقد تصدر أبو القاسم يزيد للتدريس والفتيا مع زميله ابي خزر وهما شابين وطلبه أهل الدعوة " توءمهما من كل جهة ، يقرأ عليهما كل طالب ما طلب من أى الفنون شاء من علم القرآن والحديث والأصول والفقه وعلم العربية والسيرة حتى اشتهر ذكرهما وعلا أمرهما ." (5)

---

(1) علي يحيى معمر: الاباضية في موكب التاريخ ، ج 3 ، القسم 1 ، ص 51 .
(2) ابو زكريا : سير الائمة وأخبارهم ، ص 137 .
(3) الدرجيني : طبقات المشايخ ، ج 1 ، ص 123 .
(4) ابو زكريا : المصدر السابق ، ص 138 .
(5) الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 120 .

وعلى كل فان سجلماسة بني مدرار كان لها أثرها الفعّال في الحياة العلمية عموما ، وبقدر ما كانت محطة للقوافل التجارية العابرة الى الصحراء وبلاد السودان الغربي ، كانت أيضا نافذة أطلت من خلالها افريقيا ما وراء الصحراء على الثقافة العربية الاسلامية ، ذلك ان التجار الذين كانوا يترددون على المراكز التجارية في السودان الغربي مزجوا بين التجارة والدعوة الى الاسلام " فتأثر بهم السودانيون ، وأخذوا عنهم أساليب حياتهم ، وتأثروا بثقافتهم الاسلامية ." (1)

ومما قام به التجار المسلمون في السودان الغربي أن أنشأوا المدارس لتعليم القرآن ، وأقاموا المساجد ، وكان لهم نشاط تعليمي الى جانب نشاطهم التجاري (2)

وبما أن الاسلام وثيق الصلة باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن فقد تطلب الأمر من السودان تعلّم العربية لفهم القواعد العامة للاسلام " كما ان التجار كانوا يستعملون اللغة العربية في معاملاتهم مع الأهالي السودان ." (3) ، فكان ذلك عاملا

---

(1) الشيخ الامين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي ، وهو مقال ضمن مجموعة مقالات نشرها معهد البحوث والدراسات العربية بعنوان : تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ص 65 ، بغداد 1984 .

(2) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ، ص 57 ، مصر 1963 .

(3) الشيخ الامين عوض الله : تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ص 96 .

آخر من عوامل نشر اللغة العربية (1) .

كما كان لاختلاط التجار بالسودان والتزوج منهم أن خلّفوا أسرا اسلامية لها جذورها العربية (2) .

وكان التأثير العربي الاسلامي واضح المعالم في شتى مظاهر الحياة بالسودان الغربي منها ايقاف التناحر القبلي (3) وايجاد مراكز ثقافية كتنبكت التي اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون : مغاربة ، اندلسيون ، مصريون وحجازيون (4) . كما تعلّم بها العديد من الفقهاء والعلماء وعرف جامعها (جامع سنكرى) وكان يشبه من وجوه كثيرة الجامع الازهر في تراثه ومكانته العلمية (5) .

وكذلك مدينة جنى التي زخرت بالعلماء وانتقلوا اليها من بلاد المغرب وتنبكت ، وكانوا يدرسون في مساجدها من منتصف الليل الى صلاة الفجر (6) .

---

(1) الشيخ الامين عوض الله : تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر ،ص 96 .

(2) المرجع نفسه،ص 96 .

(3) قداح (نعيم) : حضارة الاسلام وحضارة اوربا في افريقيا الغربية،ص 156 ،ط 2 ، الجزائر بدون تاريخ .

(4) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية،ص 270 .

(5) حسن احمد محمود : المرجع نفسه،ص 271 .

(6) السعدى (عبد الرحمن) : تاريخ السودان ، نشر هوداس ،ص ص 32، باريس 1964 .
وانظر كذلك ابراهيم علي طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية، وكذلك دولة مالي الاسلامية لنفس المؤلف .

الخـــاتمـــه

الخاتمـــــــــه

وقد تبيّن من كل ما سبق أن سجلماسة على عهد بني مدرار لعبت دورهـــا الحضاري سيما وأنها كانت همزة وصل ربطت بين الحضارة العربية الاسلامية لبـــلاد المغرب وبين الحضارة الزنجية لبلاد السودان الغربي . فكانت بذلك رافدا من الروافد التي أوصلت الاسلام واللغة العربية الى افريقيا جنوب الصحراء .

وفي الجانب الاقتصادي كانت سجلماسة بني مدرار عاملا مهما في انتعاش الدورة الاقتصادية لا سيما التجارية منها ، وساهمت عن طريق ذلك في امتزاج المنصرين العربي / البربري من جهة ، والسوداني من جهه ثانية .

كما ساهمت سجلماسة في ازدهار الحياة الفكرية باعتبارها مركزا علمـيا قصده طلبة العلم ، وخرج منه علماء توزّعوا على اقطار اسلامية اخرى فأفادوا واستفادوا .

وختاما أتمنى أن أكون بهذا العمل المتواضع قد ساهمت في كتابة ورقات عـــن تاريخ مغربنا العربي الاسلامي . ولا أدّعي لمحاولتي هذه الكمال فلكل بنيان اذا ما تـم نقصان ، فان أصبت فلي أجران ، وان أخطأت فحسبي أجر الاجتهاد .

وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل .

الملاحق

ملحق رقم 1 :

المعز يخطب في شباب كتامه وهم يهبّون لفتح سجلماسة

فلمّا همّ باخراج العساكر الى سجلماسة لقصد ابن واسول اللعين المسمّى بالامام أمير المؤمنين ، والطريق اليها من البعد والمشقات والانقطاع والمخافات على ما يعظم في صدور الناس أمره ، ويتهيبون سلوكه لذلك واقتحامه ، أمر (صلع) أن يندب لذلك من سارع اليه من شبان كتامة طائعا . فلم تمض أيام حتى أتاه منهم من العدد فوق ما أراده مسارعين الى ذلك فرحين به ، فأوسع لهم العطاء وأجزل لهم الحباء .

ثم أذن لمن سارع منهم الى الخروج ، فدخلوا عليه فوجا فوجا وغصّ القصر بهم فأثنى عليهم خيرا وقال لهم قولا جميلا طويلا كان فيما حفظت منه أن قال لهم :

بارك الله فيكم وأحسن صحابتكم والخلافة عليكم صدقتم ظني وأملي عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير . بكم بدأ الله اظهار أمرنا وبكم يتمه ويصلحه بحوله وقوته ... أنتم البنون والاخوة والأقربون ما يعدل لكم عندي أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر وما ذلك الا لما لي في قلوبكم ... وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيته من قبلكم الى أبعد من مسافتكم ... فسيروا على بركة الله ويمنه وسعادته ونصره وتأييده .

القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص 255-257 .

ملحق رقم 2 :

المعز يلقى باللائمة على أهل سجلماسة

يا أهل سجلماسة فعلتم ما فعلتم في أيام المهدي بالله (صلع) واقتدر عليكم مرة بعد أخرى فعفا عنكم وأحسن اليكم لحلولها الذي كان فيكم (1) ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم ، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن الصنيع . . . فما رعيتم ذلك حق رعايته ولا قمتم بشكره . ثم نعق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ودعاكم اليه داع فأجبتموه . قام فيكم دعي فيما ادعاه متوثب على ما تولاه قد عرفتم نسبه ودريتم سببه فتغلب على ولاة أمركم وتحلى بالرئاسة والتصنع لكم وتسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم وأنتم على علم لا تشكون ، ويقين لا تمترون ، أن ذلك لا يجوز له ولا يحل تسابيه امثاله فسلمتموه له وأطعتموه وتوليتموه واتبعتموه ففارقتم جماعة المسلمين وخرجتم من حزب المؤمنين وأحدثتم حدثا عظيما في الدين وانتهى الينا من أمركم وأمره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه وجهاد من صد عن دينه وغير سنة رسوله وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم . فأنهضنا اليكم جيشا من أوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم .

فلما حلت بعقوتكم (2) ونزلت بداركم وأنتم على ما أنتم عليه نهض موليا عنكم وهاربا متسللا من بين أظهركم . وقد كنتم تقدرون على أخذه او أردتموه ويمكنكم من ذلك ومن حصاره

---

(1) لأن عبيد الله المهدي أول ما دخل المغرب نزل بسجلماسة .

(2) العقوة والعقاة : الساحة وما حول الدار والمحلة وجمعها عقاء . وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما : المؤمن الذي يأمن من أمسى بعقوته . انظر لسان العرب ، مج 15 ، ص 79 .

في داره متى احببتموه لو أخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه . لكنكم أقمتم مصرّين على طاعته وتوليه الى أن نزع عنكم وأقدرنا الله (عزوجل) بفضله واحسانه عليه ، كما دتـه الجسيلة ، بلا منع لكم ولا لغيركم في ذلك ، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم وانتم على ما أنتم عليه من غيّكم وضلالكم /وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم ، فسار عبدنا فيكم بما أمرناه به من العفو والصفح والمرحمة ، وانصرف عنكم فأحدثتم بعده ما أحدثتم فماذا تستحقون أن يفعل بكم ؟ !

عماد الدين ادريس : عيون الأخبار ، ص 634 وما بعدها .

ملحق رقم 3 :

خطبة المعز بعد أسر ابن واسول

ثمّ ما وهب الله سبحانه في هذا اللعين صاحب سجلماسة المتسمّي بغير اسمه الجالس غير مجلسه من أنه حين خرجت اليه ودنت منه عساكرنا خرج منها هاربا على وجهه بعد أن كان يَعِدُ من معه الثباتَ والمحاربةَ ويُمَنّيهم الغلبةَ. فلو قد فتحها الله عز وجل علينا عنوةً وهرب، لكان فتحا جليلا ومنّا عظيما. لكن أبى الله بفضله إلاّ بلوغ الأمل الذي أملناه وتمام الرجاء الذي رجوناه، ولقد قال لي بعض من قال قبل ذلك: إنّا لنتخاف عليه أن يهرب، فقلت كلا! ان الله سيمكنني منه لأني لم أتكل فيه على حول ولا قوة ولم أرج في الظفر به والتمكين منه الا هو وحده لا شريك له فحقق الله ذلك الأمل وتمّم ذلك الرجاء وردّ الخائب من المكان الذي هرب اليه وحده حتى امكن منه بلا عهد ولا ذمة، أفهذا عطاء يقادر قدره أو يبلغ شكره؟

*القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص 217-218.

ملحق رقم 4 :

المعـز يعاتب ابن واسول

قال، وكان هذا العيد وقد أمكنه الله من محمد بن واسول المدّعي امامة المسلمين والمسمّى بأمير المؤمنين ومن ابن بكر صاحب مدينة فاس الغامط نعمته الكافر احسانه ، وكانا يومئذ معتقلين في سقيفة القصر ، وكان وصولهما في آخر شعبان .

وظن الناس أن سيقتلا اذا وصلا فلما أبقيا قيل أنهما يوم الفطر يقتلان .

فلما انصرف (ص) ودخل الى داخل قصره ، أحضرهما اليه ، فمثُلا بين يديه ، وهو قائم على فرسه والرمح بيده ، فقبّلا الارض ووقفا ، فقال لهما : أيهما كان أحسن لكما أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمعصيتكما وعداوتكما أو تكونا اليوم في جملة أوليائنا . . . فتقضيان فرضكما معنا ، أو حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله – تعالى عليكما وعلى سائر خلقه وانتما وادعان سالمان آمنان ؟

فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله ، وأظن الخوف والذعر غلب عليه فقال : بل الذى نحن فيه يامولانا أفضل . فتبسم أمير المؤمنين لمّا علم بأنه لم يفهم منه .

وأظن البائس انما ظنّ انه خاطبه بمثل ما خاطبه به قبل ذلك . فانه (صلع) قال له قبل ذلك في يوم أحضره اليه : والله انك في حالك هذه التي أنت فيها ، وان كنت في الأسر والوثاق لأفضل مما كنت فيه من معصية الله بتخطيك الى ما تخطيت اليه وتسميك بما تسميت به ، وان كرهت ما أنت اليوم فيه . فقال : هو كما قال أمير

المؤمنين (صلع) فأحسبه ظنّ ان الخطاب الذى خاطبه به أمير المؤمنين (ص) في هذا المقام ، كذلك كان .

ثم عطف عليهما (يقصد ابن واسول وأحمد بن بكر) فقال : ما كنتما فاعلين بمن حلّ عندكما مسحلّكما عندى لو أن الله أقدر كل واحد منكما عليه كما أقدرني عليكما ؟ فسكتا . فنظر الى ابن واسول فقال : قل والله الشاهد على ما في قلبك ما كنت صانعا في ذلك ؟

فقال ومن أنا حتى اشبّه بعبد من عبيد أمير المؤمنين (ص) فكيف به في شــــيء من فعله ؟ !

ثم تفـــجّح فرس امير المؤمنين فبال ، فتباعد كثير ممن كان حوله ، وتنحى ابن واسول قليلا ، وكان قبالته ، وقد جرى من بول الفرس نحو . فقال له أمير المؤمنين : لم تأنّـفت من بول الفرس؟ فسكت فقال : قل لي في ذلك ولا عليك فقد ترى كــثيرا من عبيدنا فعل مثل ما فعلت فقال : يا أمير المؤمنين ، قيل انه نجس ، فقال : ولم قلتم انه نجس قال : لانه لا يؤكل لحمه ، وما لم يؤكل لحمه فبواله نجس .

فقال له وكيف لا يؤكل لحمه ؟ أو لم يبلغك أنه يباع في مجازر المسلمين في كثير من أمصارهم ثم نظر اليّ فقال : ما تقول أنت يانعمان في ذلك؟

فتبسم (صلع) وصرف عنان فرسه فدخل من باب الخاصةَ الى داخل قصره ، وقد نصبت الموائد للناس . وصرف القيّم على الطعام ابن واسول وابن بكر الى حجرةٍ وقرب اليهما مائدةً فأكلا وصرفا الى مكانهما .

القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص458–462 .

ملحق رقم 5 :

ردّ المعز على طلب ابن واسول الصلاة خلفه يوم الجمعة

وسمعت الامام المعز لدين الله (صلع) يقول وقد أُتي بابن واسول المدعي الامامة والمتسمى بأمير المؤمنين بسجلماسة فأمر بتصييره في سقيفة القصر في وثاق. ودخل شهر رمضان. فسأل ابنُ واسول أن يصلي الجمعة خلف امير المؤمنين المعز لدين الله (ص) وأخبر بذلك عنه فقال الذي أدّى اليه ذلك عنه قل له: ان الصلاة وجمع المال لا تقبل الا بنية واعتقاد، ولو كنت تعتقد امامتنا لم تحلّ هذا المحل ولم نكن لنبخل عليك بسجلماسة ولا لها عندنا من الوزن ولا للدنيا بما فيها وما كنا نتكلّف في ذلك ما كنا تكلّفناه من بعثة أوليائنا في العساكر نحوك واتعاب انفسنا في تدبير ذلك واقامته لك. فلو كنت رغبت من نية منك في أن تأتمّ بنا لنلت فضل ذلك وثوابه / وأنت وادع في مكانك آمن في سلطانك باقامتنا ذلك لك - واذ قد أنكرت امامتنا وادعيت الامامة دوننا الى أن أظفرنا الله بك وأقدرنا عليك فماذا يعنيك أن تأتمّ بنا في صلاتنا وأنت أسير في ايدينا على ادعائك مقامنا.

وان كان الذي أردته من صلاتك بصلاتنا ما تبتغي به من الفضل، وكان ذلك عقد نيتك وأنت معترف بامامتنا مُنكِر لما كنت عليه نادم راجع عنه، فوالله لا ينفعك ذلك صليت بصلاتنا ام لم تصلّ !

وان كنت انما أردت أن ترينا من نفسك الميل الينا وتتوسل بذلك الى ما يرضينا فوالله لا يرضينا منك الا ما أرضى الله (عج) عنك وان قلوبنا لَبِيَدِه وما يصرفها الا امن

رضي عنه وارتضى عمله وأحب سعادته . فان أردت منا ذلك فاخلص لله (عج) فيما بينك وبينه ، واعتقد ذلك تجد ذلك عنده جل ذكره في الآجل ، وعندنا بما يجعله لك في قلوبنا في العاجل ، وَدَعْ عنك التزين بالباطل .

قال الرسول : فلما بلّغته ذلك تحير ولم يدر ما يقول غير انه قال : والله ما هذا الا من كلام النبوة ، وهو ابن رسول الله (ص) حقا وهذا من ميراث حكمته .

القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ،

ص 411/ 412 .

ملحق رقم 6 :

وصف العجلة التي عزز عليها ابن واسول

ولما قرب وصول الجيش من المغرب الى الحضرة أمر الامام المعز لدين الله (عم) لابن واسول وابن بكر بعمل عجلتين ليكون كل واحد منهما على واحدة تجر به في حين النداء عليه وذلك مما لم يعلم أنه سبق اليه ولا رآه أحد . وجعل يصفهما للنجارين فقال : يجعل سطح من ألواح وعلى خشبة مصلّبة ويرفع على أربع فلك ويبنى عليه برج من ألواح واسع الاسفل ضيق الأعلى ، يكون طوله عشرة أذرع ، ويكون في أسفله قفص من خشب ، ويشق له من خلفه باب يدخل فيه أسير ويغلق عليه ، وله سقف فوقه تابوت من البرج ، له باب يفتح ويغلق ، وفيه شباك يسير بقدر ما يدخل منه الضوء ، وفي وسط القفص خشبة عظيمة كصارى المركب في أسفلها مزود على سطح السرير يخرج من وسط سقف القفص وسقف التابوت الذى فوقه ويظهر على سقفه منها مثل قامة ، وعلى رأسها سرير بمقدار ما يجلس فيه الجالس حوله حاجز من شباك مخروط يمنع من السقوط عليه . ويكّن في التابوت رجلان لا يريان وفي الخشبة معهما وتدان بهما يديرانها فيدور السرير الاعلى بمن يكون عليه ليرى كل من حوله وجهه .

فتعجبنا لذلك لما عمل ورأيناه ، كيف اخترع ذلك واهتدى اليه صلوات الله عليه .

فقال : رأيته فيما يرى النائم قبل أخذ هذين الفاسقين بمدة فجعلت أنظر اليه كما هو الآن بين يدى وأقلّبه وأقول ما هذا ؟ فيقال لي هذا يكون ينادّى على اعدائك عليه ، ففهمت صورته وعملته على ذلك .

عماد الدين ادريس : عيون الاخبار ، ص 613ـ614 .

ملحق رقم 7 :

هجاء ابن هانىء لابن واسول بعد أسره

وأدركت سولا في ابن واسول عنوة ... وزحزحت منه يذبلا ، فتزحزحا
والا أبنه في العصاة فانني ... أرى شاربا منه يميل مرنّحا
يموت ويحيا بين راج وآيس ... فكان له الهلك والمواشك أروحا
تضمّنه حَجْل كلبّة أرقم ... اذا خرس الحادى ترنّم مفصحا
أُريك بمرآة الامامة كاسمها ... على كُور عَنَس ، والامام المرشّحا
وقد سَلَبته الزّاعبية ما ادّعى ... فاصبح تِبْيناً ، وأمسى ذُرَحْرَحا
نما خطبه ، شاهت وجوهُ دُعاتِه ... وجُدّع من مأفون رأي ، وقُبِّحا
وكان الجُذاميّ ، الطويل نجاده ، ... بَهيمًا مدى أعْصَارِه ، فتوَضّحا
أقول له ، في موثَقِ الأسْرِ ، عاتبا ... تجاذ به الاغلال ، والقيد مُقْمحا
لئن حَمَلت أشياعُ بَغْيِك فادحا ... يقولُ ، لقد حُمِّلتَ ما كان أفدحا

وكان لابن واسول ولد يقال أنه هو الذى حمل أباه على التمرد على الفاطميين فقتله بعض عساكر جوهر القائد ، وفيه يقول ابن هانىء :

ولا كابْنه أذكى شهابا بِمَعْتَرَكٍ ... وأجمح ، في ثَنْيِ العنان ، وأطمحا
مَرَت لك ، في الهَيْجاء ، ماءَ شبابه ... يدٌ فجرت منه جداول سُيّحا
وأثكلته منه القضيبَ تهصّرت ... أعاليه والرَوض المُفَوّف صُوّحا
لعَمري ، لئن ألحقته أهل ودّه ... لقد كان أوحاهم الى مأزِق الرّحى

وكم هاجعٍ ليلَ البياتِ اهتبلْتَـــهُ   فصبّحْتَه كأسَ المنيّةِ مُصْبِحـــا
وهدّمتَ ما شاد العِنادُ وقدْ رسَـــتْ   أواخِيه في تلك الهزاهِزِ رجّحـــا

من عيون الاخبار لعماد الدين ادريس
622 - 621

ملحق رقم 8 :

باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما

يستحب من الذهب سبيكة ، وغير سبيكه، وأن يكون كنار خامدة وشعاع مركم وكبريت قانيء ، وانما دامت دولته لأنه لا يعضه خبث الكير ولا يفسده مر الدهور ، وقيل انما صار الذهب ثمينا لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الأشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة.

وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الأوائل انما يستحسن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استراره فيهما . والنبهرج [1] من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مرصديء ، والنبهرج من الدراهم مالح جرس الطنين، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صمم وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

الجاحظ (عمرو بن بحر) : كتاب التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، ص 16-17 ، ط 2 ، بيروت 1983

---

(1) النبهرج : معرب نبهره الفارسية: الدينار او الدرهم المموه، الزيف الرديء .

ملحق رقم 9 :

سجلماسة من خلال (معجم البلدان) لياقوت الحموي

سجلماسة بكسر أوله وثانيه وسكون اللام ، وبعد الألف سين مهملة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب . وهي في منقطع جبل درن ، وهي في وسط رمال كرمال زرود . ويتصل بها من شم اليها مدد من الأرض يمر بها نهر كبير يخاض ، قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مدّ البصر على أربعة فراسخ ، منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري فيه من الأعناب الشديدة الحلاوة مالا يحدّ . وفيه ستة عشر صنفا من التمر ما بين عجوة ودقلة . وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر ، وغلتهم قليلة ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف ، فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذى بمصر ، يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين دينارا وأكثر كأرفع ما يكون من القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ، ويصبغونه بأنواع الأصباغ . وبين سجلماسة ودرعة أربعة أيام وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها .

ص 45-46 .

ملحق رقم 10 :

سجلماسة من خلال كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب

لعبيد الله البكــــــــــــري

ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة وبعمارتها خلت مدينة ترغه وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز أيضا . ومدينة سجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة حولها أرباض كثيرة وفيها دور رفيعة ومبان سرية، ولها بساتين كثيرة وسورها أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب بناه اليسع ابو منصور بن ابي القاسم من ماله لم يشركه في الانفاق عليه أحد .أنفق فيه ألف مدى (كذا) طعام وله اثنا عشر بابا الثمانية منها حديد وكان بنا (كذا) اليسع له سنة تسع وتسعين ومائة وارتحل اليها سنة مايتين وقسمها على التبايل على ما هي عليه اليوم وهم يلتزمون النقاب فاذا حسر أحدهم عن وجهه لم يميزه أحد من أهله، وهي على نهرين عنصرهما من موضع يقال له احـــلــف تمده عيون كثيرة فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها . وجامعها متقن البنا بناه اليسع فاجاد . وحماماتها رديه المبنا (كذ) غير محكمة العمل وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط (كذا) من الماء بسجلماسة وشرب زروعهم من النهر في حياض كحياض البساتين وهي كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه وزبيب عنبها المعرش الذى لا تناله الشمس لا يزبب الا في الظل ويعرفونه بالظلي وما أصابته الشمس منه زبب في الشمس .

ومدينه سجلماسة في أول الصحراء لا يعرف في غربيها ولا قبليها عمران وليس بسجلماسة ذباب ولا يتجذم من أهلها أحد واذا دخلها مجذم توقفت عنه علته .

وأهل سجلماسة يسمنون الكلاب ويأكلونها كما يصنع أهل مدينة قفصة وقسطيلية ويأكلون الزرع اذا أخرج شطأه وهو عندهم مستطرف والمجذمون عندهم هم الكناثون والبنّاون (كذا) عندهم يهود لا يتجاوزهم (كذا) هذه الصناعة . ص 148-149 .

ملحق رقم 11 :

سجلماسة من خلال (صورة الارض) لابن حوقل

(1) وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل ،على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة ، وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زرعه ، وتواترت السنون بالمياه . فكلما أغدقت تلك الارض سنة في عقب أخرى حصدوه الى سبع سنين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشعير ، بحب صلب المتكسر لذيذ المطعم ، وخلقته ما بين القمح والشعير ولها نخيل وبساتين حسنة ، وأجنة ، ولهم رطب أخضر من السلق في غاية الحلاوة .

وأهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر ، مع علم وستر وصيانة ، وجمال ، واستعمال للمروءة (كذا) ، وسماحة ، ورجاحة ، وأبنيتها كأبنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية .

(ص 91)

(2) ويقارب القيروان سجلماسة في صحة الهواء ومجاورة البيداء مع تجارة غير منقطعة منها الى بلد السودان وسائر البلدان وأرباح متوافرة ورفاق متقاطرة وسيادة في الأفعال وحسن كمال في الأخلاق والأعمال . يخرجون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملاتهم وعاداتهم الى عمل بالظاهر كثير وتقدم في أفعال الخير شهير ، وحنو بعض على بعض من جهة المروءة والفتوة ، وان كانت بينهم الحنات (كذا) ، والترات (كذا) القديمة تواضعوها عند الحاجة ، واطّرحوها رياسة وسماحة ، وكرم سجية تختصهم ،

وأدب نفوس وقف عليهم لكثرة أسفارهم وطول تغربهم عن ديارهم وتحزّبهم (كذا) عن أوطانهم . ودخلتها في سنة أربعين فلم أر بالمغرب أكثر مشائخ لي حسن سمت وممازجة للعلم وأهله ، الى سعة نفوس عالية وهم سامعة سامية وسائر أرباب المدن دونهم في اليسار وسعة الحال ، وتتقارب بالعصبية أوصافهم وتتشاكل أحوالهم .

ولقد رأيت بأودغست صكّا فيه ذكر حقّ لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيرا . ولقد حكيتها بالعراق ، وفارس وخراسان فاستطرفت . ولم يزل المعتز أيام ولايتها وهو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان ، وعشر وخراج ، وقوانين قديمة على ما يباع بها ويشترى من ابل وغنم وبقر ، الى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية ، وفاس ، والاندلس ، والسوس ، وأغمات ، الى غير ذلك مما على دار الضرب والسكة زهاء أربع مائة الف دينار ، تختص بها وبعملها .

ص 99 — 100

ملحق رقم 12 :

وصف لسان الدين بن الخطيب لسجلماسة

من خلال (معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار)

قلت فسجلماسة ، فقال تلك كورة وقاعدة مذكورة ومدينة محمودة مشكورة . كانت ذات تقديم ، ودار ملك قديم ، وبلد تبر وأديم ، ومنسوبي تجر ومكسب عديم . معدن التمر ، بحكمة صاحب الخلق والأمر ، تتعدد أنواعه فتعيي الحساب ، وتجم بهـا فوائده فتحسب الاقتناء والاكتساب . قد استدار بها لحلق السور الأمر العجاب والقطر الذي يحار في ساحته النجاب ، فضرب منه على عذارها الحجاب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ، يحيط بها مرحلة راكب ، ويصيرها سماء مخضرة ذات كواكب . فمنازلها لا تنال بهوان ، وفدنها ودمنها تحت صوان ، ونخلها تطل من خلف الجدار وتتبوأ الايمان والدار ، وحالها مبثوثة بين الدمن ، وضياعها تتملك على مر الزمن ، وسوائمها آلفة للسمن ، موجودة بنزر الثمن وفواكهها حمية ، ونعمها عميمة ، وسورها حصين مشيد ، وجسرها يعجز عن مثله معتصم رشيد ، وسقيها يخص دار الملك بحظ مسلم ويرجع الى وال يكف كل ظالم ، وهي أم البلدان ، المجاورة لحدود السودان فتقصدها بالتبر القوافل ، وتهدى الى محاربها النوافل ، والرفاهية بها فاشية ، والنشا في الحلية ناشية ، لكنها معركة غبار ، وقتيل عقربها جبار ، ولباسها خامل ، والجفاء بها شامل ، والجو يسفر على الوجه القطوب ، والمطر معدود من الخطوب ، ابناء جدرانها بالطوب والقرع برؤوس أهلها عابث ، والعمش في جفونهم لابث ، والحصا يصيبهم ، ويتوفر منه نصيبهم .

ص 113-114 . تحقيق احمد مختار العبادي

الاسكندريه 1983 .

ملحق رقم 13 :

سجلماسة من خلال (كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر)

للدمشقي

سجلماسة : " مدينة سهلية سبخة لها غابات نخيل ولها نهر كالنيل في زيادته يسمى زيز يجتمع من أنهار تخرج من جبل درن ويصب في وادى درعة . ويحيط بسجلماسة سور احاطته اثنا عشر فرسخا ، لا يعرف قبليها ولا غربيها عمران ومنه يدخل الداخل الى بلاد السودان مسيرة شهرين في صحراء عامرة بطوائف من البربر متوحشين لا يعرفون غير البادية ، تتصل مساكنهم ببلد غدامس وهم خلائق لا يحصى عددهم الا الله تع ، وأموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن وحبوب تنبتها أرضهم زمن الربيع ، والذرة تجلب اليهم يمر على أحدهم العمر الطويل ولا يرى على يده خبزا الا ما يحمله التجار الواردون عليهم من بلاد المغرب وهم ظواعن في طلب الكلاء (كذا) لا يستقر بهم منزل يلبسون الجلود الا قليلا منهم فانه يلبس القطن و يجلب اليهم من بلد كوكو واليها يسافرون للانتجاع .

ص 238 ـ 239 .

ملحق رقم 14 :

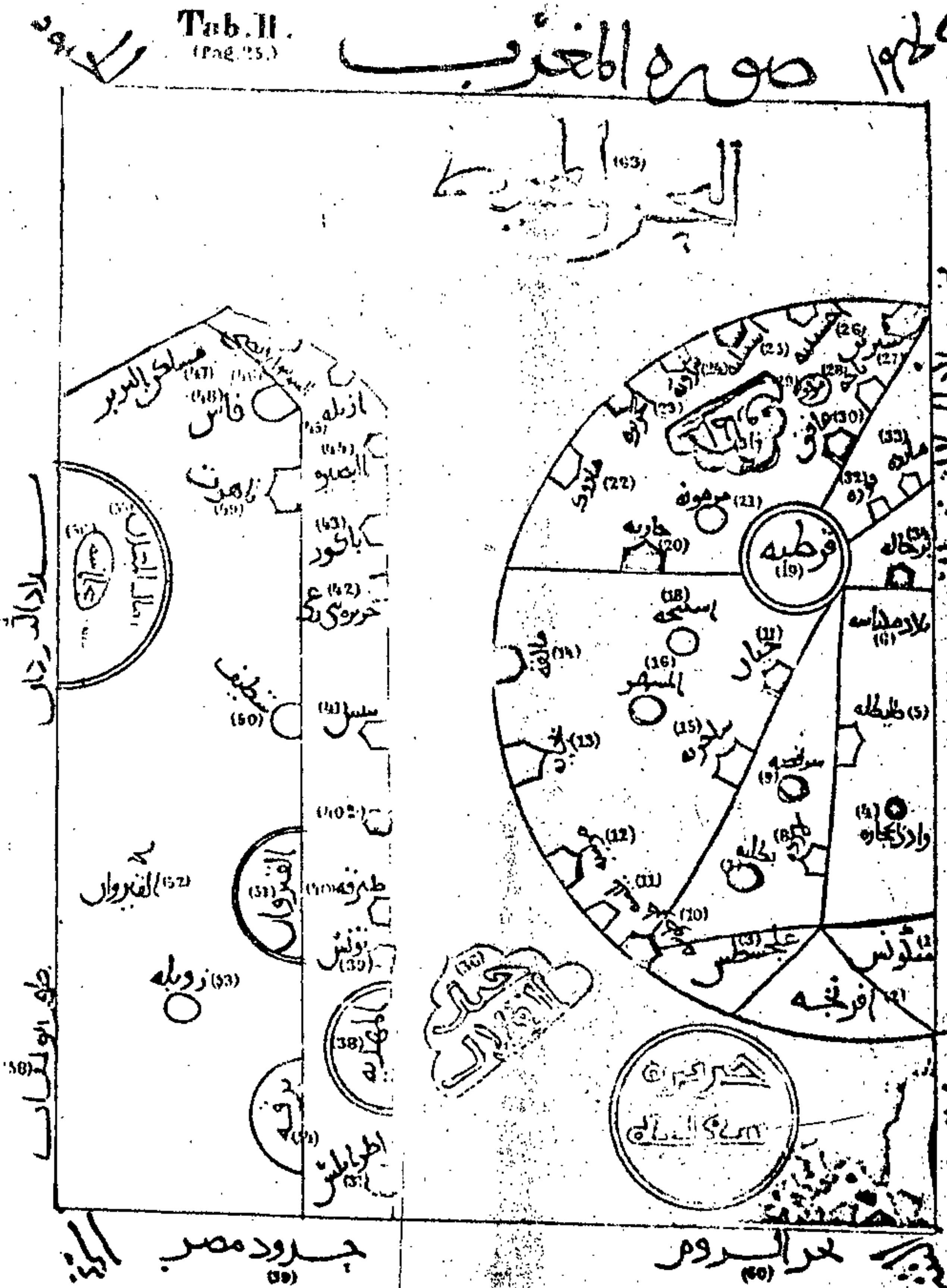
سجلماسة من خلال كتاب (المسالك والممالك) للاصطخرى

وسجلماسة مدينه وسطة من حد تاهرت الا أنها منقطعة لا يسلك اليها الا في القفار والرمال . وهي قريبة من معدن الذهب بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة . ويقال انه لا يعرف معدن للذهب أوسع ذهبا ولا أصفى منه ، الا أن المسلك اليه صعب والاستعداد شاق جدا ، وهي من مملكة عبيد الله .

ص 39 .

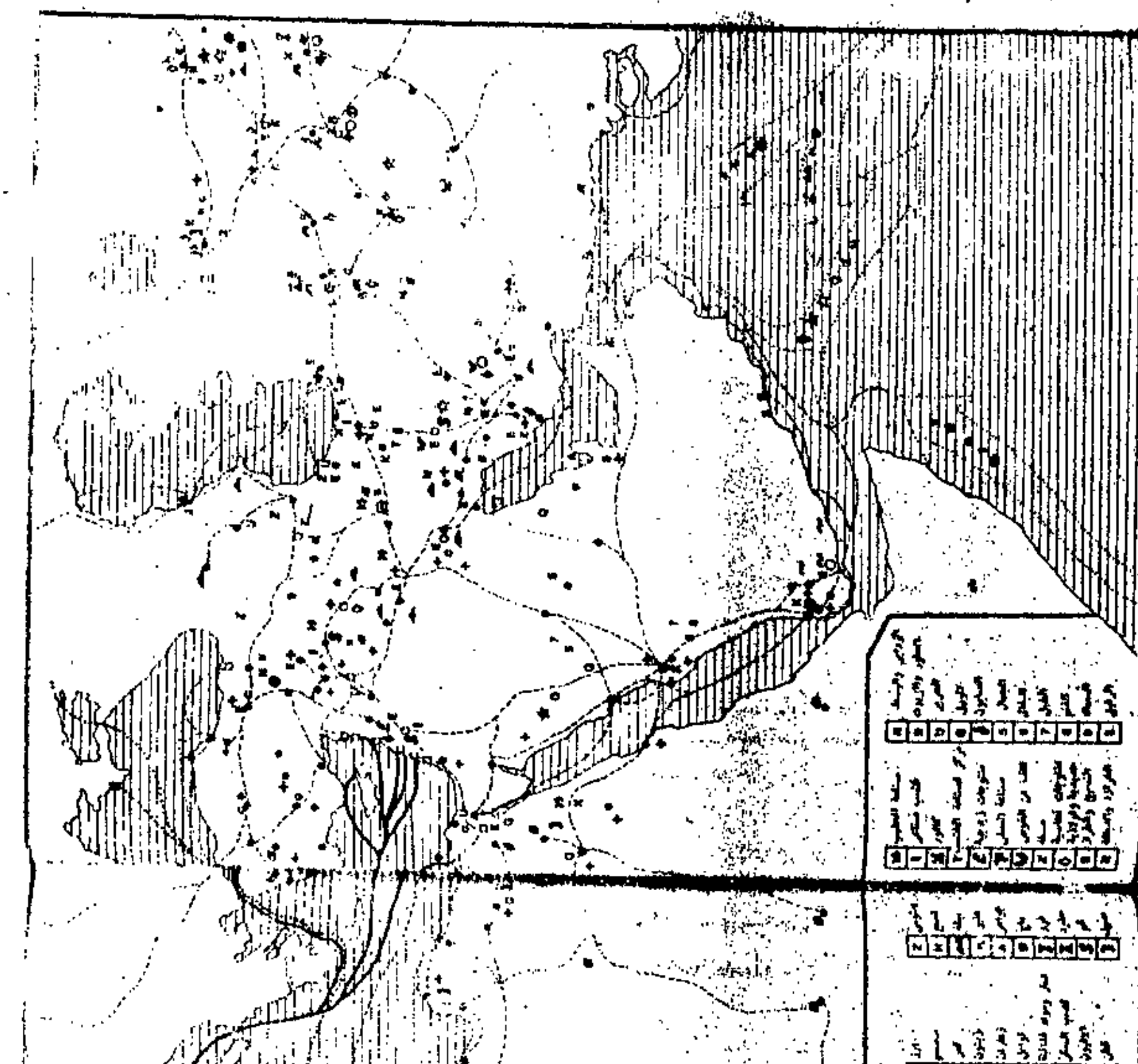
الخـرائط والأشكال

خريطة رقم 1



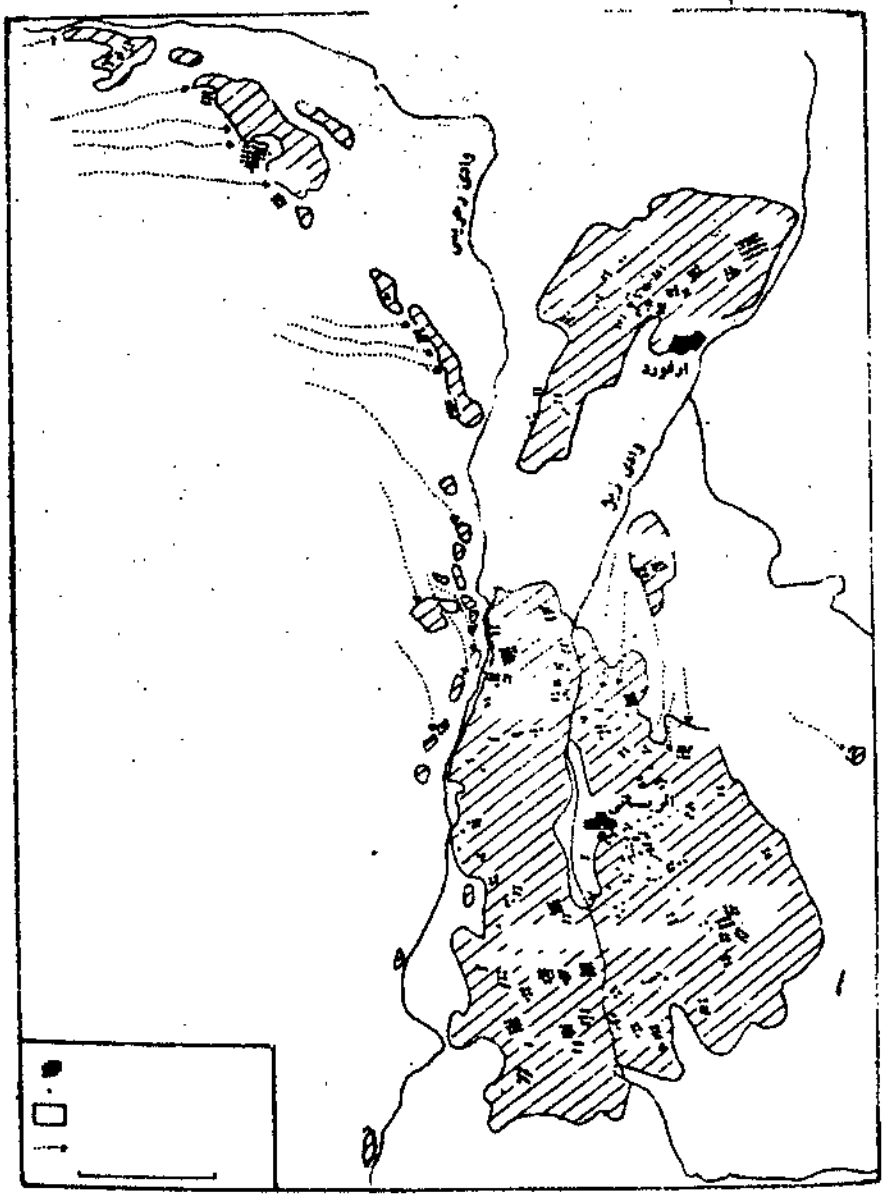
عن الاصطخري

خريطه رقم 2:



عن/ المغرب الاسلامي للحبيب الجنحاني

خريطه رقم 3 :

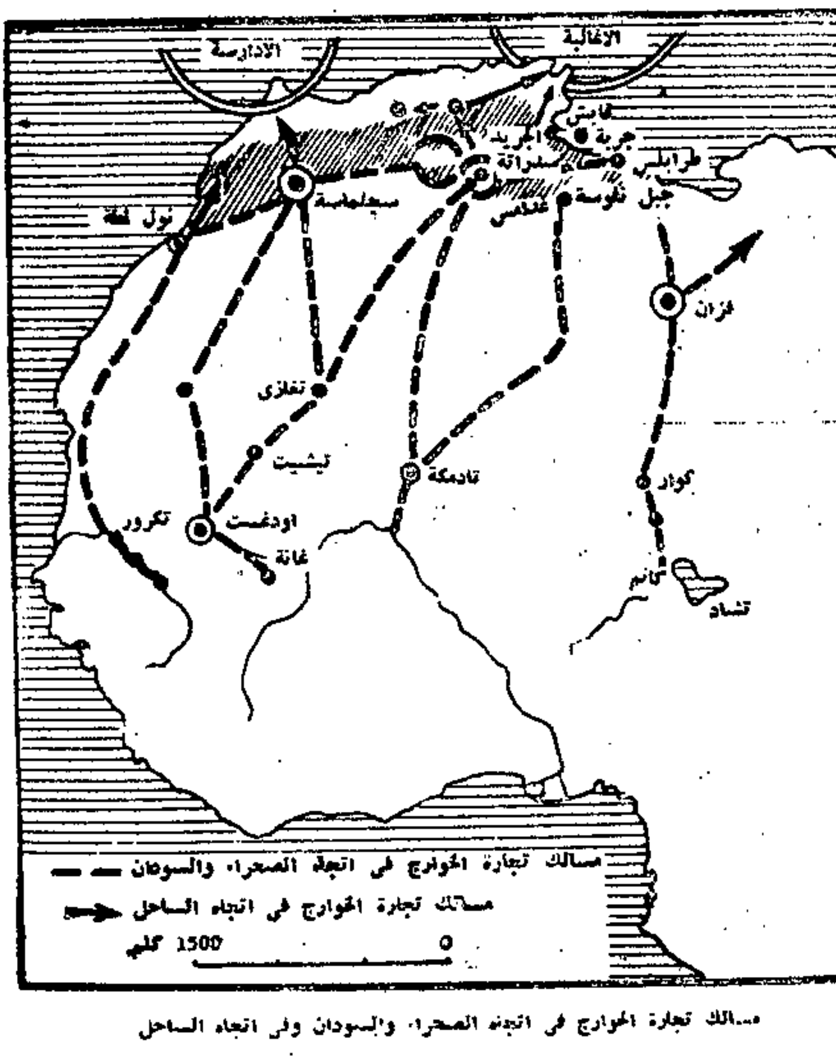


منطقة تافللت

عن / المغرب الاسلامي للجنحاني

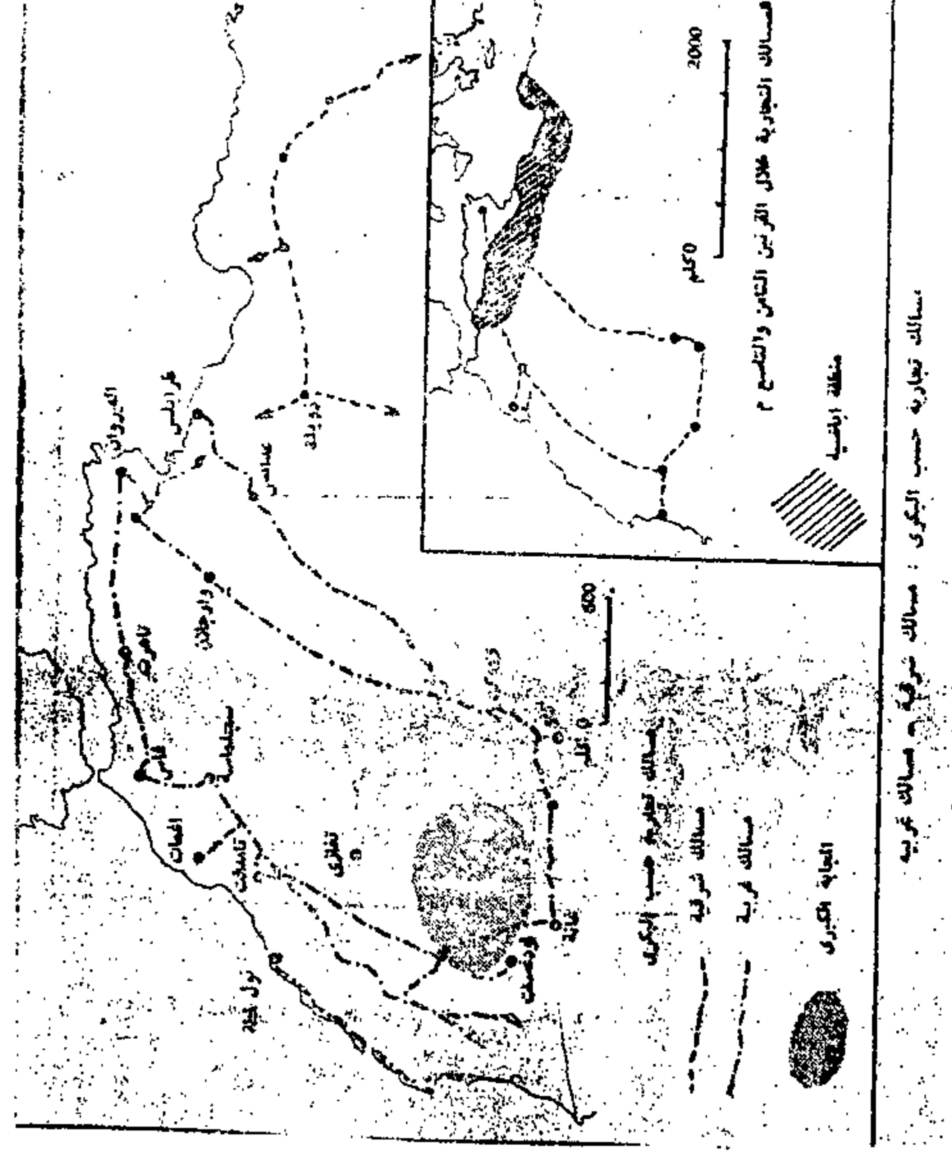
تقع سجلماسة قرب الريساني اليوم

خريطة رقم 4:



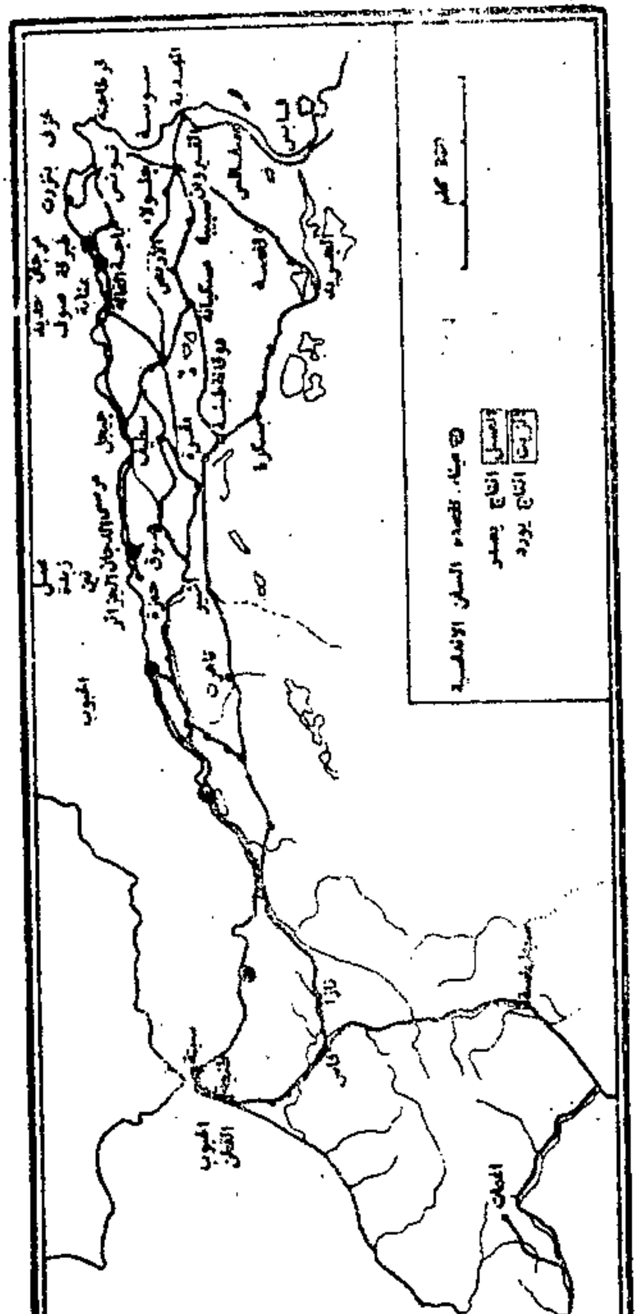
مسالك تجارة الخوارج في اتجاه الصحراء والسودان وفي اتجاه الساحل

عن/ المغرب الاسلامي للجنحاني



عن/ المغرب الاسلامي للجنحاني

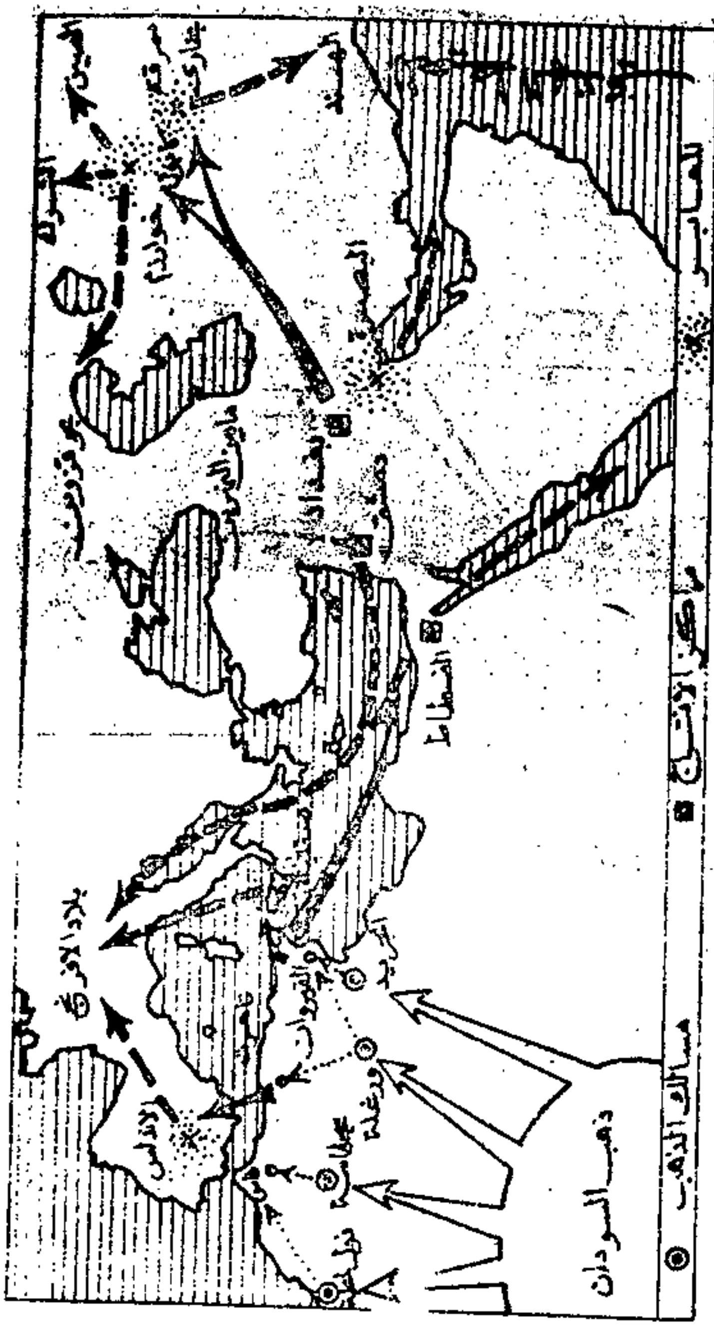
خريطه رقم 6 ، 212



المسالك والموانئ في القرنين التاسع والعاشر م

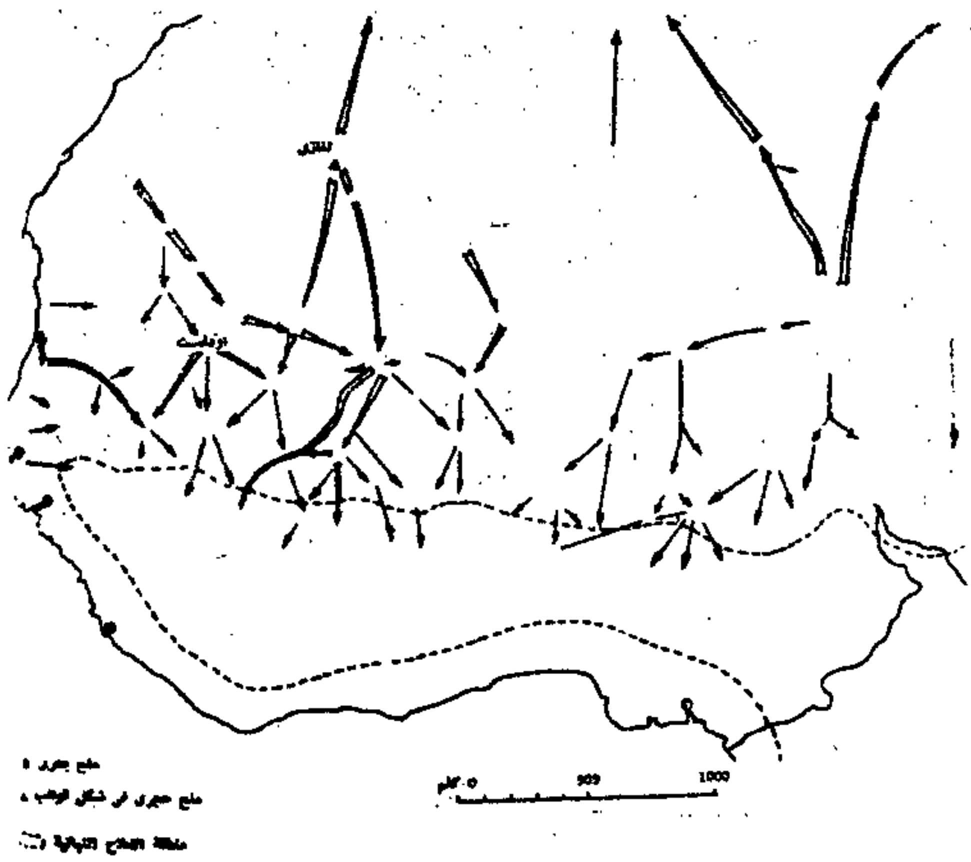
عن / المغرب الاسلامي للجنحد

خريطه رقم 7 :



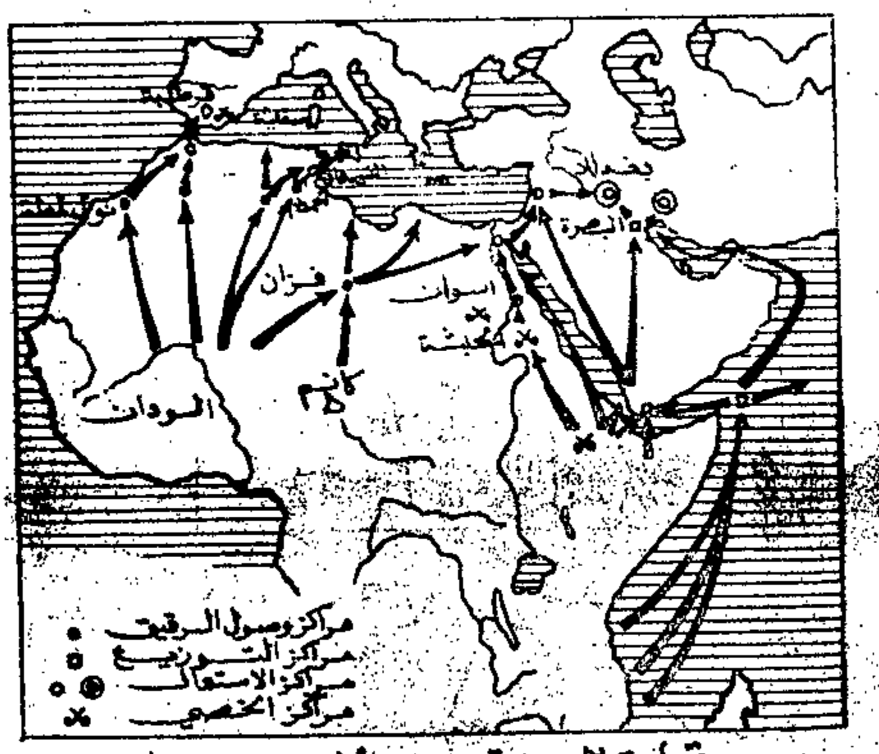
عن / المغرب الاسلامي للجنحاني

خريطه رقم 8 :



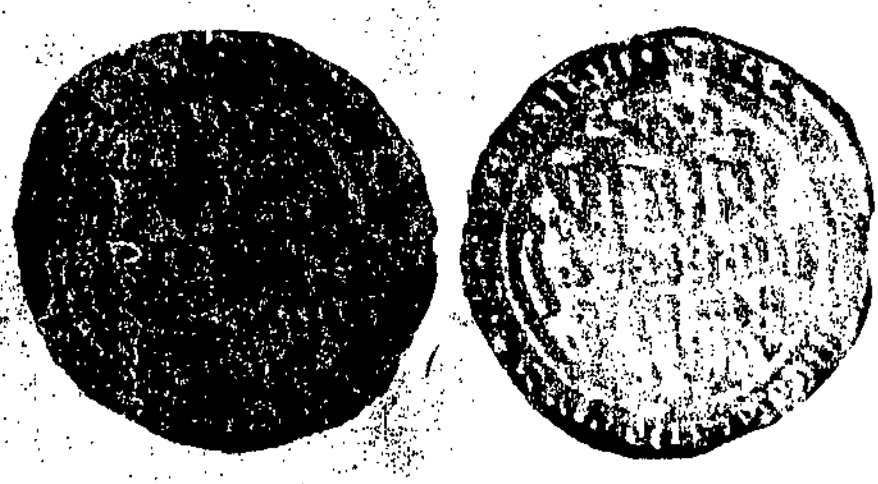
عن/ المغرب الاسلامي للجنحاني

خريطه رقم ٩



تجارة الرقيق الاسود

عن / المغرب الاسلامي للجنحاني



ب
أ

دينار الشاكر لله

أ ــ الوجه : الهامش : محمد رسول الله ارسله بالهدا (كذا) ليظهره على الدين كله
المركز: لا محمد لا اله الا الله وحده لا شريك له امير المؤمنين
ب ــ الظهر: الهامش : بسم الله ضرب هذا الدينار سنه خمس واربعين وثلاثمائه
المركز: الامام
محمد
رسول

(عن / المسكوكات المغربيه لصالح بن قربه)

أولا : المصادر التاريخية:

ابن الابار (أبوعبد الله محمد بن عبد الله . ت 658 هـ/ 1260م) الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهره 1963 .

ابن أبي دينار (أبوعبد الله محمد بن أبي القاسم . من علماء القرن 12هـ/ 18م) : المؤنس في أخبار افريقيه وتونس ، ط 1 ، تونس 1286 .

ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله . ت بعد 724 هـ/ 1324م) : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، بدون تاريخ

ابن الاثير (عز الدين . ت 630 هـ/ 1238م) : الكامل في التاريخ ، الاجزاء 3، 4، 5، 6، بيروت 1967 .

ابن حماد (محمد بن ابي بكر الصنهاجي . ت بعد 628هـ/ 1231م) : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق جلول بدوي ، الجزائر 1984 .

ابن حيون (المعروف بالقاضي النعمان . ت 363 هـ/ 973م) : كتاب افتتاح الدعوة تحقيق فرحات الدشراوي ، تونس 1986 .

" " " : المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وآخرين ، تونس 1978 .

ابن خلدون (عبد الرحمن . ت 808هـ/ 1405م) : كتاب العبر ، اجزاء مختلفة ، ط . بيروت 1986 .

" " " : المقدمة ، بيروت 1986 .

ابن الصغير (من علماء القرن 3هـ/ 9م) : سيره الائمة الرستميين ، تحقيق ونشر موتيلينسكي ، ضمن اعمال المؤتمر 14 للمستشرقين بالجزائر 1908 .
1905 ـ القسم الثالث باريس 1908 .
وكذلك تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز بعنوان اخبار الائمة الرستميين ، الجزائر 1986 .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن . ت 257 هـ/ 870 م) : فتوح مصر واخبارها ، ط . ليدن 1930 .

ابن عذارى (ابو عبد الله محمد المراكشي . من علماء نهاية القرن 7هـ/ 13م) :
البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، نشر ليفي بروفنصال ، بيروت 1983 .

ادريس (عماد الدين . ؟) : عيون الاخبار ، القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، تحقيق محمد اليعلاوى ، ط 1 ، بيروت 1985 .

التنسي (ابوعبد الله . ؟) : نظم الدر والعقيان ، القسم الاول حققه عبد الحميد حاجيات بعنوان تاريخ دولة الادارسة ، الجزائر 1984 .

الجاحظ (عمرو بن بحر . ؟) : كتاب التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، بيروت 1983 .

الدواداري (أبو بكر عبد الله بن ايبك . ت 736 هـ/ 1336م) : الدرر المضية في اخبار الدوله الفاطمية ، الجزء السادس من كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة 1961 .

الشنقيطي (احمد الامين) : الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ، مصر 1911 .

الطبرى (ابن جرير . ت 311 هـ/ 922 م) : تاريخ الرسل والملوك، ج 5، 7، ط بريل 1964 .

القلقشندى (أبو العباس احمد بن علي . ت 821 هـ/ 1418م) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج 5 ، القاهرة 1955 .

المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد . ؟) : كتاب الكامل، ج 2، القاهرة 1956 .

مجهول : اخبار مجموعة ، بيروت 1981 .

مجهول (الفه سنه 712هـ/ 1312م) : مفاخر البربر ، نشر ليفي بروفنصال ، الرباط 1934

المسعودى (ابو الحسن علي بن الحسين . ت 346 هـ/ 957م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 2 ، 3 ، بيروت ، بدون تاريخ .

المقرى (ابو العباس .ت 1041 هـ/ 1631م) : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج 4، 5 ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، بدون تاريخ .

المقريزى (تقي الدين . ت 845 هـ/ 1442م) : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة 1948 .

اليماني (محمد بن محمد . كان موجود اواخر القرن 4هـ/ 10م) : سيرة الحاجب جعفر، نشر ايفانوف بمجلة كلية الاداب ، مج 4، ج 2، القاهرة 1936 .

المصادر الجغرافية وكتب الرحلات :

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله) : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن حوقل (ابو القاسم محمد النصيبي .ت بعد 367 هـ/ 977م) : كتاب صورة الارض، ط 2 ، ليدن 1967 .

ابن الخطيب (لسان الدين .ت 776هـ/ 1374م) : معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق احمد مختار العبادي، الاسكندرية 1983 .

ابن سعيد (علي بن موسى المغربي .ت 673 هـ/ 1275م) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، الجزائر 1982 .

الادريسي (ابوعبد الله محمد الشريف .ت 560 هـ/ 1164م) : نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، نشر القسم الخاص بـ(القاهرة الافريقية وجزيرة الاندلس) اسماعيل العربي ، الجزائر 1983 .

البغدادي (ابن عبد المؤمن .ت 839 هـ/ 1338م) : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي، ط 1954 .

البكري (ابوعبيد الله .ت 487 هـ/ 1094م) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب باريس 1965 .

الاصطخري (ابو اسحق ابراهيم الكرخي/ ت 346هـ/ 957م) : المسالك والممالك نشر محمد جابر عبد العالي الحسيني، القاهرة 1961

الحميري(محمد بن عبد المنعم) : كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس 1975 . وكذلك تحقيق ليفي بروفنصال بعنوان (صفة جزيرة الاندلس) ط 2 ، بيروت 1988 .

الدمشقي (شمس الدين .؟) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ط لايبزيغ 1923 .

الوزان (الحسن بن محمد - ليو الافريقي) : وصف افريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة الرياض 1399 هـ .

العمري (ابن فضل الله . ت 749 هـ/ 1349 م) : مسالك الابصار في ممالك الامصار: تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب .

العياشي (ابو سليم عبد الله بن محمد . ؟) : ماء الموائد المعروفة بـ(رحلة العياشي) طبعة فاس الحجرية 1316 .

الغرناطي (ابو حامد محمد) تحفة الالباب ، نشرت في المجلة الاسيوية جويلية/ سبتمبر 1925 .

مجهول (عاش اواخر القرن 6هـ/ 12م : الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق ونشر عبد الحميد زغلول ، الاسكندرية 1958

المقدسي (ابو عبد الله محمد .ت 387 هـ/ 997م) : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن 1906 .

الهمذاني (ابو بكر احمد بن محمد . ت 290 هـ/ 902م) : مختصر كتاب البلدان ، ليدن 1967 .

ياقوت (الحموى) معجم البلدان ، مجلدات مختلفه ، طهران 1965 .

اليعقوبي (ابن واضح .ت 284 هـ/ 897م) : كتاب البلدان ، ليدن 1967 .

كتب الطبقات والتراجم :

ابن بشكوال (ابو القاسم خلف بن عبد الله .ت 578هـ/ 1183م) : كتاب الصله في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، نشر وتصحيح عزت العطار الحسيني ، ج 2 ، مصر 1955 .

ابن حزم (علي الظاهرى .ت 456 هـ/ 1064م) : نقط العروس في تواريخ الخلفاء رواية الحميدى ، نشر شوقي ضيف ، مصر 1951 .

وكذلك تحقيق احسان عباس ضمن (رسائل ابن حزم الاندلسي) ج 2 ، ط 1 ، بيروت 1981 .

ابن الخطيب (لسان الدين .ت 776هـ/ 1374 م) : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، ج 3 نشر وتحقيق ابراهيم الكتاني واحمد مختار العبادى ، تحت عنوان : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، الدار البيضاء 1964 .

ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد) : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ج 1 ، نشر وتصحيح عزت العطار الحسيني ، مصر 1954 .

ابو زكريا (يحيى بن ابي بكر . القرن 5 هـ/ 11م) : سيرة الائمة الرستميين ، تحقيق اسماعيل العربي ، الجزائر 1979 .

الخشني (محمد بن الحارث بن اسد ت 361هـ/ 971م) : طبقات علماء افريقية ، بيروت ، بدون تاريخ .

الدرجيني (ابو العباس احمد بن سعيد .ت بعد 650هـ/ 1252م) : طبقات المشايخ بالمغرب ،ج 1، تحقيق ابراهيم طلاى ، قسنطينة بدون تاريخ .

السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى،ج 3، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، مصر 1965 .

العسقلاني (شهاب الدين) : الاصابة في تمييز الصحابة ،ج 1، ط 1، مصر 1328 هـ .

عياض (ابو الفضل موسى اليحصبي .ت 544 هـ/ 1149م) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، بيروت ، بدون تاريخ .

المالكي (ابو بكر عبد الله . كان حيا في القرن 5 هـ/ 11م) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية،ج 1، تحقيق حسين مؤنس، مصر 1951 .

المصادر الفقهية وكتب الملل والنحل :

ابن جزى (ابو القاسم محمد بن احمد) : القوانين الفقهية، الجزائر 1987 .

الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم .ت548هـ/ 1153م) : الملل والنحل،ج 1، 2 ، مصر ، بدون تاريخ .

الونشريسي (احمد بن يحيى التلمساني .ت 914 هـ/ 1508م) : المعيار المعرب في فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب ، طبعة فاس الحجرية ، بدون تاريخ .

المصادر والمراجع اللغويه والادبيه:

ابن ثابت (حسان) : ديوان حسان بن ثابت ، بيروت 1961 .

ابن منظور ت 711هـ/ 1311م : لسان العرب ،مجلدات مختلفة، بيروت 1956 .

الاصفهاني (ابو القاسم الحسين) : المفردات في غرائب القرآن ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، مصر 1961 .

البستاني (عبد الله) : البستان ، ج 2 ، بيروت 1930 .

جماعه من علماء العربية ، بعناية مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مصر 1970 .

دوزى : ملحق المعجمات العربية، مج 2، ط 3 ، باريس 1967 .

رضا (احمد) : معجم متن اللغة ، بيروت 1959، 1960 .

الزبيدى (محمد مرتضى) : تاج العروس من جواهر القاموس، بدون تاريخ .

المراجع العربية والمعربة:

ابن قربه (صالح) : المسكوكات المغربية، الجزائر 1986 .

ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية، ترجمة احمد محمد عيسى ، ومحمد شفيق غربال ، القاهرة، بدون تاريخ .

امين (احمد) : فجر الاسلام ، ط 2 ، بيروت 1979 .

باجيه (صالح) : الاباضية بالجريد ، تونس 1976 .

بحاز (ابراهيم) : الدوله الرستمية : دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط 1 ، الجزائر 1985 .

بشارى (لطيفة) : التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية، الجزائر 1986 رساله ماجستير.

بل (الفرد) : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ترجمة عبد الرحمن بدوى، بيروت 1981 .

بوخالفة (نور الهدى) : دولة بني واسول في سجلماسة علاقاتها ودورها الحضارى في المغرب الوسيط ، وهران 1976 .

بيضون (ابراهيم) : الدولة العربيه في اسبانيا، بيرون 1980 .

" : ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجرى، بيروت 1979 .

الترمانيني (عبد السلام) : الرق : ماضيه وحاضره ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1985

الجنحاني (الحبيب) : المغرب الاسلامي ، تونس 1978 .

جودت (عبد الكريم يوسف) : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر 1984 .

حسن (ابراهيم حسن) : انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ط 2 ، مصر 1964 .

" " : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ط 3 ، مصر 1963 .

زياده (نقولا) : الحسبة والمحتسب في الاسلام ، بيروت 1963 .

السعدى (عبد الرحمن) : تاريخ السودان ، حققه ونشره هوداس و بنوا ، باريس 1898 .

السلاوى (احمد بن خالد الناصرى .ت 1315هـ/ 1897م) : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج 1 ، الدار البيضاء 1954 .

شعيره (محمد عبد الهادى) : المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية ، وهو مقال
ضمن كتاب (الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) ، باشراف عبد الرحمن
بدوى ، مصر 1962 .

شنيتي (محمد البشير) : سياسة الرومنة في بلاد المغرب ، الجزائر 1982 .

طرخان (ابراهيم علي) : امبراطورية غانة الاسلامية ، مصر 1970 .

" " : دولة مالي الاسلامية ، مصر 1973 .

العبادى (احمد مختار) : في التاريخ العباسي والاندلسي ، بيروت 1971 .

عبد الستار (محمد عثمان) : المدينة الاسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 1988

عبد الوهاب (حسن حسني .ت 1968) : خلاصه تاريخ تونس ، تونس 1983 .

العربي (اسماعيل) : دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، الجزائر 1983 .

" " : المدن المغربية ، الجزائر 1984 .

عرفان (عبد الحميد) : دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، ط1 ، بغداد 1967

عوض الله (الشيخ الامين) : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها
الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادى . ضمن كتاب تجارة القوافل
ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر . معهد البحوث والدراسات
العربية ، بغداد 1984 .

قداح (نعيم) : حضارة الاسلام وحضارة اوربا في افريقيا الغربية ، الجزائر 1975 .

كول (مالك) : الروايات التاريخية عن تاسيس سجلماسة وغانة ، ترجمة محمد الحمداوى
الدار البيضاء ، بدون تاريخ .

لقبال (موسى) : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ، الجزائر 1971 .
" " : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر 1979 .
" " : المغرب الاسلامي ، ط 2 ، الجزائر 1981 .
لومبارد (لويس) : الاسلام في مجده الاول ، ترجمة اسماعيل العربي ، الجزائر 1979 .
المجدوب (عبد العزيز) : الصراع المذهبي بافريقية الى قيام الدولة الزيرية ، تونس 1985
محمود (اسماعيل) : الخوارج في المغرب الاسلامي ، بيروت 1976 .
مرمول (محمد الصالح) : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي الجزائر 1983 .
معروف (نايف) : الخوارج في العصر الاموي ، ط 2 ، بيروت 1981 .
موسى (عز الدين احمد) : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، بيروت 1983 .
مؤنس (حسين) : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ط 1 ، القاهره 1980 .
ميتز (آدم) : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج 1 ، 2 ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط 4 ، بيروت 1967 .
الناضوري (رشيد) : المغرب الكبير ، ج 1 ، (العصور القديمة) ، بيروت 1967 .
النفوسي (سليمان الباروني) : الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، القسم الثاني ، بدون تاريخ .

د وائر المعارف والموسوعات :

الزركلي (خير الدين) : الاعلام ، مجلدات مختلفة ، ط 7 ، بيروت 1986 .

الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير) : فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والشخصيات والمسلسلات ، ج 1 ، نشر احسان عباس ، بيروت 1982 .

كحالة (عمر رضا) : معجم المؤلفين ، دمشق 1960 .

المراكشي (عباس بن ابراهيم) : الاعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الاعلام ، ج 5 ، ط 1 ، فاس 1937 .

الدوريات :

ابن تاويت (محمد التيطواني) : دولة الرستميين أصحاب تاهرت ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، مج 5 ، ع 1 ، 2 ، مدريد 1971 .

بن عميره (محمد) : الصفرية ، منذ ظهورها الى انقراضها ، مجله الثقافة ، ع 61 ، يناير- فبراير ، 1981 ، الجزائر

حاجيات (عبد الحميد) : مذهب الصفرية في سجلماسة ، مجلة التاريخ ، ع 6 ، جويلية 1978 ، الجزائر.

دهينة (عطاء الله) : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء ، مجلة الاصالة ، ع 26 ، جويليه/ اوت 1975 ، الجزائر.

كولن : مادة سجلماسة ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج 11 .

لقبال (موسى) : طبنه بين ماض، حافل عريق، وحاضر متواضع غريب . مجله المجاهد الثقافي ،ماى 1968 - الجزائر.

بروفنصال (ليفي) : ماده تافيلالت ، دائره المعارف الاسلاميه ، مج 4 .

المراجع الأجنبية :

Dachraoui (Farhat): La captivité d'Ibn Wassul le rebelle de Sijilmassa, d'après le Cadi An Numan, Les Cahiers de Tunisie, n° 15, 3 eme trimestre 1956.

Fournel (Henri): Les berberes, etudes sur la conquête de l'Afrique du Nord par les arabes, t. I, vol. 2, 1875.

Cuoq (Joseph): Recueil des sources arabes concernant l'Afrique Occidentale.

Gaudefroy (Demombyner): Masalik el Absar fi mamalik el-amsar, ecrit par Ibn Fadhl Allah el-Oumari, Paris 1927.

Gautier (E. F.): Le passé de l'Afrique du Nord.

Marçais (George): La berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-Age, Paris 1946.

Julien (C. André): Histoire de l'Afrique du Nord, France 1970.

Provencal (Levi): Histoire de l'Espagne musulmane, t. I, 1950; t. 2 1953.

فهـــرس الاعـــلام

ـ أ ـ

فهـــرس الامـــاكن

فهرس القبائل والشعوب والأمم والأجناس

فهرس الأديان والمذاهب والفرق

المحتوى

الفصل الرابع

الفصل الخامس ٤٢٠٢٢٨